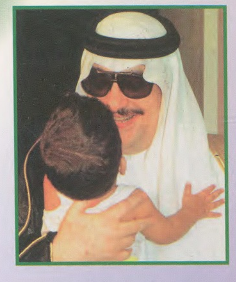
المنهل

AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٦١) المجلد (٦١) العام [٦٥] رجب ١٤٢٠ هـ - أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٩م



فيصل بن فهد
الأمير الذي فقدناه

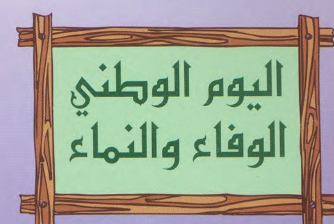
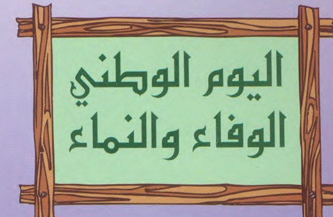
ابن ميمون ..
تلمودي حتى النخاع

الخلُّ الوفيّ ... ؟!!!

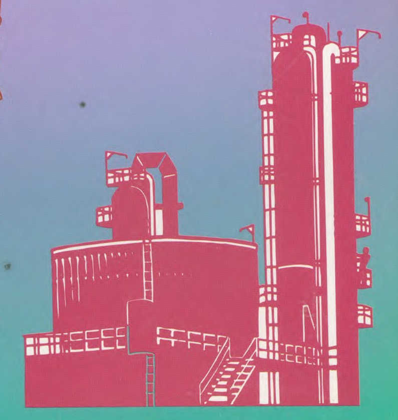
الجمالية
والبحث العقلي

مجلس الشورى حملتني
اليه أجنحة الكلمة !

سكينة فؤاد

اليوم الوطني
الوفاء والنماء



الهيدروجين
طاقة القرن المقبل

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



بمناسبة ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية

تعود الينا هذه الذكرى العزيزة: ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية، كلما اشرقت على الدنيا عامة وعلينا خاصة، شمس اليوم الأول من برج الميزان في كل عام.

وفصل الميزان فصل يتسم باعتدال الجو وجمال الدنيا، وبهجة الأحلام.. وموافقة اليوم الوطني لمستهله يحمل في طياته بشرى ديمومة استقبالنا لهذه الذكرى الماجدة ان شاء الله.

ولعل من الملائم أن نشيد بموجز عن يوم الذكرى ومناسباتها الرفافة في هذه المناسبة الوطنية الحفيلة.. ذلك ان جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة وموحد شمل البلاد جعل هجيراه وهو ناعم الاظفار أن يستعيد ملك أبائه وأجداده وأن يؤسس مملكة عربية اسلامية في الأقطار التي كانت مهد العروبة والاسلام. وقد وفقه الله تعالى الى تحقيق أحلامه الكبرى تلك بعد ما كابد في ذلك ما يكابده الأبطال المصلحون في سبيل تحقيق الآمال الضخمة الجليلة.. وقد نجح برغم كل المتاعب في تحقيق ذلك المرام العظيم فضم اشتات تلك البلاد في هذه الجزيرة، ثم استطاع بتوفيق الله تعالى ثم بحكمته السامية وعبقريته الملهمة أن يوحد شملها وأن يكون منها مملكة منضامة متضامنة يشعر الفرد في كل بلد وصقع فيها بأنه انسان له مكانه ومكانته في مجتمعه المتضامن الرشيد، ويشعر جمهورها بأنهم أمة واحدة في كل شيء.. فلما تم له هذا المطلب الرفيع وفق جلالته الى وضع الاسم المناسب الذي يجسد معالم الوحدة الفعلية ألا وهو اسم (المملكة العربية السعودية) وهكذا اتحد (المسمى) أولا فوضع له (الاسم) المناسب ثانيا..

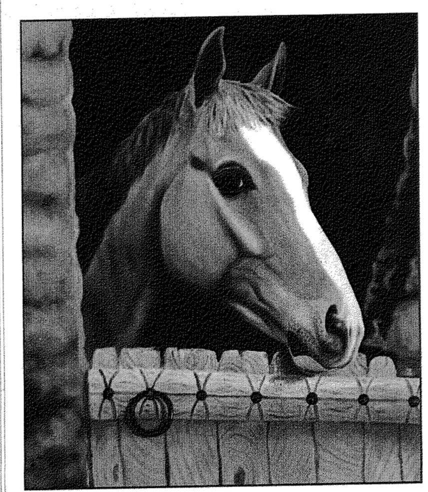
ونحن الألى شهدوا من كثب جهاد جلالته وميلاد المملكة المتحدة على يديه ككيان ضخم فذ من ثمار ذلك الجهاد السديد الرشيد تسودنا الغبطة وتعمنا البهجة كلما رأينا هذا الكيان الضخم يبرز للعيان عالي البناء، مرموق الكيان بين دول العالم كدولة عربية مسلمة محترمة ذات مكانة مرموقة بارزة بين دول العالم المتحضر، وكدولة اسلامية يجد المسلم فيها أينما كان موطنه ملجأ وحمى يرفع من مستواه ويقدم له ما ينقذه من المهاوي المادية والسياسية في كل مكان.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ذو القعدة ١٣٨٣هـ/ اكتوبر ١٩٧٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف ولون



اللوحة للفنان : ابراهيم السويل ـ السعودية

السيد .. خلف البوابة

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

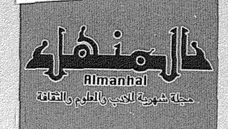


غلاف العدد

اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة
تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ ـ فاكس : ٦٦٠٤٦٧٦



العدد: (٥٦١)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)

الفهرس



وكلاء التوزيع
الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ –
الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ –
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

فقرات مستقلة

منهليات

الرياض عاصمة الثقافة ٢٠٠٠

الثقافة، ليست نمطاً للحياة يُستحدَثُ، بل هو عمق في وجدان الأمة، بعيد الغور في سراديب حياتها، ونسيج فعالياتها٠٠ وما الحكمة والمثل السائر إلا ترجمان فاعل لهذا العمق، بعيد المدى٠٠

وتتعاقب الأجيال، وتتجدد الرؤى، وتأتي الصياغات متداخلة، قديمها وجديدها لتضيف بعداً إلى بعد، وحياة إلى حياة، في تناغم وتناسق، يكون ناتجه الكلى نظام للحياة والأحياء، ونهج مرتضى في الفكر٠٠ يرفده من ورائه عطاء وجداني وروحي يكسبه القوة والدفع٠

في المملكة العربية السعودية، كان للأمير الراحل فيصل بن فهد، دوره المشهود والمشكور في رعاية الحركة الثقافية، حتى وصلت إلى ما وصلت اليه الآن٠

الحركة الثقافية في كل عطاءاتها اكتسبت زخماً محلياً واقليمياً ودولياً٠٠

الجامعات والاندية والمهرجانات، والندوات والمحاضرات واللقاءات، كل تلك مجتمعة كان لها دورها الفاعل في تشكيل هذا الزخم الفكري والثقافي٠٠ ولا شك ان (مهرجان الجنادرية) أصبح معلمة من معالم الحركة الفكرية والثقافية في المملكة٠

المحرر

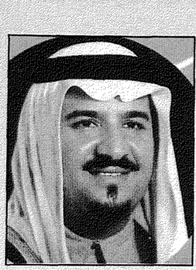
٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ١٩١٠٦٣٠ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.



ولي العهد صاحب السمو الملكي
الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود



خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود



النائب الثاني صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود

اليوم الوطني .. حلم الأمة

اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية، يتجدد، وتتجدد معه آفاق الرؤية الراكزة في ضمير الأمة عطاء غير منقطع، ونماء لا تخطؤه العين، وأخذاً بأسباب التطور الدائم وفق سنن الحياة، وأبجديات التجديد، في إطار ثوابت هذه الأمة العقدية والاخلاقية والاجتماعية والاقصادية.

وعندما يأتي (الأول من الميزان) كل عام تتداعى الى النفس كل مجاهدات الماضين، بقيادة الملك عبد العزيز - عليه رحمة الله - في توحيد أطراف هذا الكيان الكبير، وفي ترسيم قواعد وثوابت النهضة الكبرى لهذه الأمة، ذلك من خلال رؤية مستقبلية واسعة وحكيمة، تسعى وسعها لبناء مجد، هو القمة.

هذه البلاد قبل ان تكون ما هي عليه الآن كانت قبائل متناحرة متفرقة، لا يجمع بينها جامع، ولا يؤلف بينها مؤتلف، حرب ودمار وتقتيل، فلما توفر الأمن وأسبابه، وكان التوحد ونتائجه، تكونت الأمة، ونهضت.

إذن، كان الملك عبد العزيز - عليه رحمة الله - اكثر حرصاً على توحيد هذا الشتات المتنافر، قلبا وقالباً... وحينئذ تتلاقى الاكف في العطاء الموحد المتحد.

كان الانتماء للقبيلة، وبعد التوحد، غدا الانتماء للوطن، وهذه نقلة لها ما بعدها، إذ قضية الانتماء تمثل واحدة من قضايا النهضة.. ولما كان أمر (الانتماء) قضية مصيرية لكل أمة من الأمم، أصبحت شاغل الملك عبد العزيز - عليه رحمة الله - .

والانتماء الذى كان يسعى في تحقيقه هو (الانتماء الديني والوطني) وهما قاعدتان أساسيتان



من انجازات المملكة

لبناء النهضة.

في الانتماء الديني: كان الملك عبد العزيز - عليه رحمة الله - اكثر وضوحاً وأشد تمسكا، وأقوى قولا وعملا في التمسك بدين الله، وتطبيق شرعه «.. ان خطتي التي سرت عليها ولا أزال اسير عليها هي إقامة الشريعة السمحة».. «كلمة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، إني والله وبالله وتالله اقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة، لا أضن به».. «إنكم تعلمون ان أساس احكامنا هو الشرع الاسلامي».

هذه اطراف من كلمات الملك المؤسس، عبد العزيز آل سعود وهي بلا شك تمثل منهجية مرتكزات هذه الدولة الوليدة.

وفي الانتماء للوطن، استطاع الملك عبد العزيز، أن يقيم أمة موحّدة، متلاقية الأهداف والغايات، كانت هي ركيزة هذه المملكة.. وجاء ابناؤه من بعده، فساروا على نهجه وثوابته، وأخذوا بكل اسباب التطور والرقي والتنمية، لايجاد مجتمع حضاري في كل بنياته النفسية والاجتماعية والاقتصادية.

والمملكة العربية السعودية الآن، واحة للأمن والأمان، وهي قبلة المسلمين، إذ تضم بين جناحيها الحرمين الشريفين، وهي الساعية بالخير والمعروف بين الدول الاسلامية والعربية.

رحل أمير الشباب

انجازات وأوسمة دولية على كافة المستويات

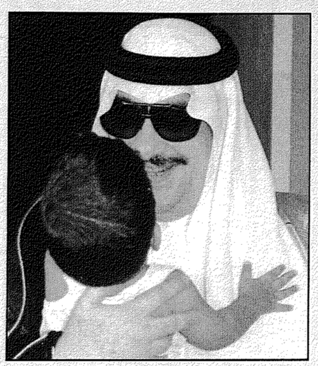
ولد صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله في الرياض عام ١٩٤٦م، متزوج وله من الأبناء نواف وخالد وثلاث بنات.

تخرج سموه في جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧١ وتولى الرئاسة العامة لرعاية الشباب عام ١٩٧٤م كما تولى سموه رحمه الله بالاضافة الى ذلك المناصب التالية:

- رئيس اللجنة الأولمبية العربية السعودية ٧٥م.
- رئيس الاتحاد العربي للالعاب الرياضية ٧٦م.
- رئيس الاتحاد العربي لكرة القدم ٧٦م.
- رئيس الاتحاد السعودي لكرة القدم ٧١م.
- رئيس الاتحاد الرياضي للتضامن الاسلامي ٨١م.
- عضو اللجنة الأولمبية الدولية ٨٤م.
- رئيس الجمعية السعودية لبيوت الشباب ٧٣م.
- رئيس اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الاسلامي ٨٢م.
- رئيس اللجنة العليا لجائزة الدولة التقديرية في الأدب بالمملكة العربية السعودية ٧٩م.
- رئيس اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات ٨٤م.
- رئيس الاتحاد السعودي لرياضة المعاقين ٩٢م.

وحصل سموه رحمه الله على الأوسمة والميداليات والنياشين التالية:

- تفضل خادم الحرمين الشريفين حفظه الله ومنح سموه وشاح الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى (أعلى وسام بالمملكة) عام ٩٣م.
- حصل على وشاح الملك فيصل.
- تفضل الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية وانعم على سموه بوسام العرش عام ٨٥م.
- منح فخامة الحبيب بورقيبة الرئيس السابق للجمهورية التونسية سموه وسام الجمهورية من الطبقة الاولى عام ٨٦م.
- منح سمو امير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح سموه وسام الكويت ذا الوشاح من الدرجة الممتازة عام ٩٣م.
- حصل سموه على وسام (أوردر) عضوية اللجنة الأولمبية الدولية من اللجنة الأولمبية الدولية.
- منحت مجلة بطل افريقيا الرياضية في تونس سموه الميدالية الذهبية الأولى عام ٨٩م.
- منحت جمعية بيوت الشباب العربية سموه وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام ٨٩م.



صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

- تسلم سموه شهادة الزمالة للمنظمة الكشفية العالمية زمالة بادن باول وذلك عام ٩٣م.
- تقلد سموه الكريم الوسام العالمي للاتحاد الدولي لكرة اليد عام ٩٧م.

وكان لسموه رحمه الله العديد من الاعمال والمجهودات البارزة تجاه وجهات النظر والمواقف العربية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية وله بصمات مشهود بها في تطوير الرياضة والثقافة والحركة الشبابية في المملكة العربية السعودية، وكل انحاء العالم العربي، وذلك عن طريق البرامج الوطنية الطموحة التي رعاها من خلال الرئاسة العامة لرعاية الشباب وفي مقدمتها مكافحة المخدرات وحملاتها الناجحة تحت شعار (لا للمخدرات).. الى جانب النشاط المستمر من خلال الاتحاد العربي للألعاب الرياضية لتعميم البرامج التي تسعى الى انتشار وتوسيع اعداد الممارسين للرياضة.

كما كانت لسموه رحمه الله جهود مميزة في المجالات الانسانية والتبرعات تجاه العديد من أصحاب ذوي الحاجات في مجالات البر والخير ودعم المؤسسات الانسانية والخيرية، كذلك كانت لسموه اسهامات مميزة في انشاء ودعم بعض المراكز الطبية في داخل المملكة وخارجها.

نعم .. فقدنا الأمير

هذا الامير .. الانسان .. أولا وعاشرا:

كما كان يعطي ويهب ويمنح في هدوء .. رحل أيضا في هدوء.. ملامح وجهه وتقاسيم جبينه ومحياه هادئة.. كلها تغريك بمحبته بالحديث اليه، انه من (الموطَّئين أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون).

انه الابتسامة الهادئة الدافئة، تنبسط معها أسارير النفس، هادىء في حديثه ونبرات صوته بل هو هادىء حتى وان اضْطُر لرفع صوته.

جعل من البر والخير ميدانا فسيحا، تتسع دائرته وتتداح باتساع نفسه، وانبساط اريحيته، وموفور كرمه.. حتى غدت أياديه الى الخير سباقة، والى المعروف ناشطة.

لسنا بسبيل تعداد مآثر الخير فيه، وأيادى المعروف عنده، بل يكفي أن نشير الى عشرات الملايين التي أنفقها في اعمال الخير والبر والاحسان والمعروف.. يأتيه اصحاب الحاجات الملحة، ويأتيه المرضى والمحتاجون، لا ينصرف احدهم منه الا وقد قضيت حاجته واستجاب لطلبه.

ليس هذا فحسب، بل يتتبع الحالات الانسانية التي تكتبها الصحف داخليا وخارجيا، فيسعى في حلها، والاستجابة لندائها.. حقيقة انه الساعي على الارملة والمحتاج واليتيم.

كان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.. الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم اليه أنفعهم لعباده..

نسأل الله جلت قدرته ان يجعل كل عمل خير عمله أو سعى فيه، أو نوى أن يعمله، ان يكتبه في ميزان حسناته، وان يثيبه بالاحسان فضلا واحسانا.

وآخر عمل خير ومعروف سعى فيه (رحمه الله) موضوع (الصبية قمر) وقضت ارادة الله أن ينفذ خادم الحرمين الشريفين (يحفظه الله) أمنيته هذا جانب من جوانب انسانيته فيما يتعلق بالافراد وحاجاتهم.

وجانب آخر، حاجات الجماعات، فانه باذن الله تعالى وتوفيقه قاضيها والساهم في انجازها ما وسعه الامر. وحدث في هذا الشأن ولا حرج (تأسيس مستشفيات، والمساهمة في تأسيسها أو تسييرها، المساهمة في اعمال مراكز الاطفال المعاقين، وكذلك دور الايتام والمدارس والمعاهد والكثير الكثير) كل هذا على مستوى العالم العربي والاسلامي.. (انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا)

هذا الامير .. أمير الثقافة:

انه شعلة متقدة، وحركة دائبة، ونشاط مستمر، وسعي في الانجاز لا يعرف الملل.. هذا، على كل المستويات (المحلية الاقليمية العالمية).

تولى امر الثقافة، فغدت كأنها قد نشطت من عقال.. اندية ثقافية وجمعيات للثقافة والفنون في أنحاء المملكة ترعى أمر الثقافة والفكر والادب والفنون والمعرفة، وهل الثقافة الا ركيزة من ركائز الحضارة؟ وهل تقوم حضارة ونهضة من غير ثقافة؟.

وهكذا، كانت نقطة البداية عنده واضحة، والمرتكز قائم على ذهنية وضاءة نيرة، في ربوع المملكة انتشر العلم والعلماء، والثقافة والمثقفون والفكر والمفكرون. كانت بدايته بالانسان اولا.. وفي الانسان، عقله وفكره اولا.. وعندئذ تأتي الحضارة تبعا.. مؤتمرات، وندوات، ولقاءات، ومهرجانات، وجوائز، تبناها واشرف عليها ورعاها الامير الفقيد.. إنه جهد امير الثقافة في الداخل والخارج.

هذا الامير .. أمير الشباب:

الرياضة، بكل فروعها ومسمياتها، لم تعد شأناً لا يؤبه به.. بل غدت شأنا عالميا ترصد لها الميزانيات الضخام، وتتنافس فيها الدول والقارات.. لقد أصبحت مظهرا من مظاهر الحضارة والتقدم.. وهذه، رعاها أمير الشباب، وأخرجها من المحلية الي العالمية، ولم يقف جهده في حدود الوطن، ولم يقصر همه في المملكة وحسب، بل رعى أمر الرياضة في كل العالم العربي، دعما ماليا وادبيا واداريا..

وتشهد له (الرياضة) على مستوى العالم العربي بمدى الجهد الذى قام به من أجل تنشيطها ومعاونتها في القفز على كل العثرات والحواجز لتلحق بركب الرياضة على مستوى العالم.

لقد رحل الامير الانسان (طيب القلب) عن دنيانا، الى جوار ربه الرحيم الكريم الغفار.. والى الله عز وجل نضرع بالدعاء رحمة ومغفرة وحسن جوار، انه سميع الدعاء، مجيب النداء.

ألا رحم الله (فيصل) وأحسن اليه وجعل الجنة مثواه .. وألهمنا جميعا فيه الصبر وحسن العزاء..

رئيس تحرير

مكتبة الأمير فيصل بن فهد

إعترافا بفضل وجهود صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز آل سعود الرئيس العام لرعاية الشباب راعي الثقافة والأدب والفكر يرحمه الله .. وإيمانا بدوره الرائد في ترسيخ المفهوم الثقافي وتفعيله ودعمه المتواصل ماليا وإداريا ومعنويا من خلال برامجه النموذجية التي تعتمد على المنهجية الصحيحه والتأسيس القوي للبناء السليم فقد أطلق نادي الرياض الأدبي اسمه الكريم على مكتبة النادي.. وحينما يعتمد النادي هذا الأمر المهم فإنما يضع الأمر في نصابه الحقيقي نظرا لما للمكتبة من أهمية كبيرة لدى سموه الكريم والذي كانت له اليد الطولى في دعمها ووصولها إلى ما وصلت إليه من سعة وانتشار وحقق لها سمعة رائعة وواسعة بين المثقفين ويتضح ذلك من خلال زوارها والمستفيدين منها حيث تأسست على مستوى رفيع من كافة الجوانب مكانا وزمانا ومحتوى.. فهي تضم كمًا كبيرا من أمهات كتب الثقافة والأدب العربي الرئيسة إضافة الى الكتب الأخرى المتنوعة والدوريات التي تقدر بحوالي ١٠٢٧٠ عنوانا عدا المتكرر؛ منها ٥٠٠ كتاب أفرنجي والباقي باللغة العربية ويقدر عدد الدوريات العربية بـ ١٥٠ دورية منها مجلدات قيمة مثل: الرسالة للآداب، المقتطف، المسرح، الشعر، الكاتب. ولكي نواكب النظم الحديثة المعمول بها علميا فقد تم إدخال أنظمة الحاسب الآلي في فهرسة المكتبة وحفظ المعلومات منذ زمن بعيد.. كما تعتمد المكتبة على الشراء والإهداء في تزويد مقتنياتها.. وتجدر الإشارة في سياق هذا المقام الى ما تضمه أيضا من المجلات والدوريات الاستشراقية (بثلاثة عشر لغة) والتي لا يوجد منها شيء في المملكة الا جزء لدى جامعة الملك سعود بالرياض.

والنادي الأدبي بالرياض حينما يعلن عن هذا الواجب البسيط في حق رجل لا يمكن أن يحاط بتكريمه لسعة مكانته وسمو قدره وعظيم إنجازاته في هذه البلاد الطاهرة والتي تتمثل في المجال الشبابي والثقافي والنواحي الاجتماعية.. فإنما يضع اللبنة الأولى، ولذلك فإن النادي يدرس حالياً ما يمكن أن يقوم به مستقبلا من برامج تتشرف باسمه وسيعلن عنها في حينه بإذن الله.

أربعينية (العرب

الكويت ـ المنهل:

شهدت الكويت خلال الفترة من ١٠ الى ١٢ أبريل ١٩٩٩م فعاليات احتفال مجلة «العربي» بمرور أربعين عاما على إصدارها وتحت عنوان «لقاء الأشقاء».

وشهدت الأيام الثلاثة للمهرجان العديد من الندوات الهامة التي انطلقت من نجاح نموذج مجلة «العربي» على مدى ٤٠ عاماً لمناقشة الواقع الثقافي العربي بكافة أبعاده، ودراسة أسباب أزمته الراهنة وطرح الحلول لها.

وفي مناسبة هذه الندوة احتشد ما يزيد على ٩٥ كاتباً ومفكراً وأديباً ساهم معظمهم بفاعلية في إثراء النقاش حول القضايا التي طرحتها الندوات والتي تنوعت فيها البحوث من «التحديات التكنولوجية وثقافة عصر الإنترنت» إلى أدب الرحلات وتطور مجلة «العربي» فنيا وتحريريا إلى إلقاء الضوء على المشروع الثقافي بأكمله والتي تعتبر «العربي» إحدى علاماته الفارقة وأقدمها وأكثرها أثراً.

واتفق الحاضرون على أن استمرار مجلة «العربي» في الصدور طيلة تلك السنوات في وقت توقفت فيه مجلات ثقافية عديدة، يعني سلامة الخط الذي انتهجته المجلة والذي تخاطب من خلاله كل فرد في الوطن العربي، إضافة إلى عرب المهجر، كما يعني أن الدعم المعنوي والمادي الذي تقدمه الحكومة الكويتية للمجلة دون التدخل في خطها مثل رافداً ساهم في استمرار المجلة في السير على نفس الطريق حتى بعد كارثة الغزو العراقي لدولة الكويت.

وأكد هؤلاء أن «العربي» تمثل واجهة ساهمت في إيصال الثقافة العربية إلى مختلف بلاد العالم ومثلت خير سفير لأمتها في كافة المناطق طيلة سنواتها الأربعين.

وأشار المتحدثون في الندوات والذين استخدموا أحيانا الوسائل الإيضاحية في تقديم المحاضرات لجمهور الحاضرين الى ارتباط مجلة «العربي» لديهم بالثقافة المستنيرة التي ساهمت في تكوينهم الفكري ومثلت لمعظمهم بداية الالتقاء

ـي) .. ومستقبل الثقافة

بالمعرفة ومن ثم الانفتاح مع مجلة «العربي» على عالم واسع من الثقافة الجادة.

ومن العناوين التى قدمت في الندوة الاحتفالية:

- (المشروع الثقافي الكويتي وآفاقه العربية - التصور التاريخي والمعوقات) دراسة للدكتور يعقوب الغنيم.
- (المشروع الثقافي الكويتى كما يراه العالم العربي رؤية من المشرق العربي) محاضرة للدكتور جابر عصفور.
- (رؤية المغرب العربي للمشروع الثقافي الكويتي) محاضرة للدكتور المنصف الشنوفي.
- (سبعة عشر عاماً من التلاقي - رؤية رئيس التحرير) للدكتور محمد الرميحي.
- (التطور التاريخي والفنى لتجربة مجلة العربي) دراسة للدكتور محمود المراغي.
- (أدب الرحلات العربي وتطوره) دراسة للدكتور محمد رجب النجار.
- (أزمة المجلات الثقافية في العالم العربي) محاضرة للدكتور ابراهيم غلوم.
- (التحديات التكنولوجية التي تواجه المجلات الثقافية) دراسة للدكتور نبيل علي.

وفي هذه الاحتفالية تم تكريم مؤسسي مجلة العربي وقدامى العاملين فيها ومن بينهم اسماء المرحومين الدكتور أحمد زكي أبو شادي، والاستاذ احمد بهاء الدين، اضافة الى الأساتذة: فهمي هويدي، ود. محمود السمرة، ومصطفى نبيل، واحمد السقاف، وبدر خالد البدر والفنان الراحل حسن حاكم.

وبهذه المناسبة الاحتفالية العظيمة للزميلة الرصينة (مجلة العربي) تسوق اليها (مجلة المنهل) صادق تحاياها، وخالص تقديرها وأمنياتها لها بالتقدم الدائم والازدهار، خدمة أمينة في ميدان الكلمة، وحمل أمانتها، ورفعة للثقافة العربية، فقد أكدت التجربة الثقافية والفكرية لمجلة العربى خلال أربعة عقود الصدق في التوجه، والجدية في الطرح.

غلاف مجلة العربي


د. أحمد زكي أبو شادي - أول رئيس تحرير للمجلة


أحمد بهاء الدين


د. الرميحي

مؤتمر الشعر العربي الأول بفاس المغربية

احتضنت فاس العاصمة العلمية للمملكة المغربية مؤخرا أشغال مؤتمر الشعر العربي الأول والذي تميز بحضور شعراء وأدباء ونقاد من جميع الدول العربية. ناقشوا على امتداد ثلاثة أيام جملة محاور هامة تخص التواصل الإبداعي بين الماضي والحاضر.

وكان الدكتور (عبد الكبير العلوي المدغري) وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربي، قد أكد في الجلسة الافتتاحية لهذا المؤتمر على أن التظاهرة تتيح وقفة تأملية في واقع الشعر العربي ومستقبله، وتشكل مناسبة لإنجاز وقفة تقييمية متأنية حول الفوضى التي تطبع راهن الممارسة الشعرية من حيث كثرة «المتشاعرين». وقال إنه رغم كثرة الصراعات التي عرفتها الأمة العربية، فقد بقي نبع الشعر فياضا، ومازال هناك شعراء نبغاء، كما تحدث عن وضع الشعر في الإسلام. مؤكداً أن هذا الدين الحنيف لم يتنكر للشعر، بل اهتم به وارتقى به عن مستوى الفطرة الى مستوى الأصل الراسخ في المنهج التربوي.. ويتجسد هذا التعامل في ثلاثة عناصر: (التأصيل [طبع الشعر بالمنبع الأول: روح الإيمان] - التهذيب [إعطاء الشعر بعداً أخلاقيا] - التوظيف [جعله في خدمة الرسالة الهادية].

وتناول الكلمة كذلك الشاعر الدكتور «مانع سعيد العتيبة» المستشار الخاص لرئيس دولة الامارات - اعتبر فيها الشعر خبزاً للعقل والفكر، وصرح «انني كاقتصادي مشدود أكثر للشعر لأنه يتيح لي مجالا أرحب من الاقتصاد، الشعر أغنى ثروة وأكثرها وأخلدها، وهو للأمم - خاصة الأمة العربية - ثقافة وتراثاً وحضارة وعملية متواصلة في الماضي والحاضر واستشرافا للمستقبل».

وكانت الجلسة الإفتتاحية، مناسبة للاستماع إلى قصائد ألقاها كل من: الدكتور «مانع سعيد العتيبة» أحمد دحبور (فلسطين) عبد العزيز محيي الدين خوجة (السعودية) - أمينة المريني (المغرب) - عبد العزيز البابطين (الكويت) - جميلة الماجري (تونس). وذلك على نغمات عزف منفرد على آلة «السنتور» للأستاذ «أكرم العراقي».

وانطلقت أشغال المؤتمر بتنظيم أول جلسة نقدية حول موضوع «الشعر العربي بين الماضي والحاضر: أية خصوصية؟» شارك فيها الأساتذة: الدكتور محمد بنشريفة (عضو أكاديمية المملكة المغربية) - الدكتور عبد الله الغذامي عن جامعة الملك سعود بالرياض - الدكتور محمد الوالي - الدكتور فوزي عيسى (كلية الآداب - الإسكندرية) - الدكتور عبد الله المعطاني عن جامعة الملك عبد العزيز بجدة - الدكتوران أنور المرتجي ومحمد العمري من المغرب وتناولت الجلسة النقدية الثانية موضوع «الأنماط المتجددة في الشعر العربي (النبطي - الحساني - الملحون) وحقيقة الهوية.



صورة من المؤتمر

وشارك في هذه الجلسة الدكاترة: احمد مفدي (المغرب) - سعد الصويان (المملكة العربية السعودية) - عبد المالك الشامي (المغرب) - عبد الله المعيقل (السعودية) - غسان الحسن (الإمارات العربية المتحدة).

فيما ناقشت الجلسة النقدية الثالثة موضوع «جمالية المكان في القصيدة العربية: الدلالة والرمز. وشارك فيها الدكاترة: عبد الرحمن طنكول (المغرب) - سهام الفريح (الكويت) - جريدي سليم المنصوري (السعودية) - عبد الله بن ناصر العلوي (المغرب) - صبحي حديدي (سوريا) - رشيدة بن مسعود (المغرب).

وثمن المشاركون أجواء الحوار والنقاش الجدي الذي ميز أشغال المؤتمر. منوهين أيضا بالتوصيات التي تم الخروج بها وفي مقدمتها الدعوة الى الاهتمام بالأنماط الشعرية العربية والتي حرصت الذاكرة الجماعية على تداولها وذلك بالسعي إلى إنشاء مؤسسة أكاديمية للحفاظ عليها وتدوينها. كما تم اقتراح إنشاء موسوعة للأشعار العربية غير الفصيحة باعتبارها إرثا جماعيا. والعمل على تقوية حضور المتن الثقافي الشعبي من خلال ربط الاتصال بين الجمعيات والمؤسسات المهتمة بالشعر في الوطن العربي.

وأكدت مديرة المهرجان الدكتورة الشاعرة «لويزابولبرس» في كلمة ختامية «أن مداخلات وأعمال هذا المؤتمر قد أفضت إلى تصورات واقتراحات يمكن إجمالها في الآتي:

- جعل المؤتمر مناسبة لانفتاح الشعر أكثر على المحيط من خلال قنوات مباشرة أو غير مباشرة، كالجامعة والمراكز الثقافية، ودور الشباب.
- التعجيل بطبع أعمال المؤتمر النقدية والابداعية.

لقد ارتفع صوت الشعر هذه الأيام فوق كثير من الأصوات ولا غرابة في ذلك.

خاص بالمنهل: من سعيد بونوار - المغرب

السرقات .. ثانية وعاشرا

في مجلة المنهل، في عددها الصادر في شهر ذي الحجة ١٤١٧هـ، كتبت مجلة المنهل الآتي:

المنهل: تعليق وتعقيب:

** في العدد (٥٢١) من مجلة المنهل الصادر في شهر رمضان ١٤١٥هـ الموافق لشهر فبراير ١٩٩٥م وفي الصفحتين (١٦٢ - ١٦٣) كشف الدكتور الصادقي العماري الاستاذ بكلية الآداب بالمغرب عن سرقة أدبية قام بها (الشيخ كامل محمد محمد عويضة) حيث أصدر هذا الأخير كتاباً باسمه تحت عنوان (حافظ ابراهيم شاعر النيل وأدبه) والكتاب صادر عن (دار الكتب العلمية في بيروت) الطبعة الاولى ١٩٩٣.

وأوضح الدكتور الصادقي العماري في مقاله المنشور في مجلة المنهل في العدد المذكور عاليه أن هذا الكتاب مسروق من عدة مصادر ومن أراد التفاصيل فليرجع لهذا العدد، أضاف الدكتور الصادقي أن (الشيخ كامل محمد محمد عويضة) قد سطا أيضاً على كتاب الدكتور/ محمد أبو الانوار بعنوان «مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأدبه» واصدره بنفس هذا الاسم، واصدرته له نفس الدار السابقة.

وهذه أخرى لـ (الشيخ كامل محمد عويضة) حيث صدر له كتاب بعنوان (التحليل النفسي) ادعى فيه أن الكتاب راجعه الاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة.. حسب ما جاء في الرسالة التى وصلتنا من الأستاذ فرج مجاهد عبد الوهاب من مصر.

وكان أن أجرينا اتصالا هاتفيا بالاستاذ الدكتور محمد رجب البيومي في منزله في المنصورة للتأكد مما جاء في هذه الرسالة، فأبلغنا انه لم يراجع هذا الكتاب، بل لم يعرض عليه أصلا، ولم يسمع به إلا بعد أن عرضه عليه صاحب هذه الرسالة.. وأضاف: كيف أراجع كتاباً لا يدخل في تخصصي العلمي.

** والآن يبقى السؤال الهاجس: كيف ومتى نحمي الفكر والإبداع من أيدى السارقين..؟ يسعدنا أن نجد رأي القراء الاكارم في هذا الطرح.

وكنّا نظن ان هذا الرجل (محمد كامل عويضة) المتهم بهذه السرقات، وهذا التقول الكاذب على الدكتور محمد رجب البيومي، كنا نظن انّه سيرد ويدافع عن نفسه.. ولكنه صمتُ من في القبور.

والأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي تطارده الاسئلة وعلامات الاستفهام من أصدقائه وطلابه وزملائه عن هذه المراجعات المدونة في مقدمة الكتب المنشورة باسم (محمد كامل عويضة).. وهذه الرسالة من الدكتور محمد رجب البيومي تجلي لنا هذا الأمر:

أخي الاستاذ الجليل الدكتور طه أبو كريشه
نائب رئيس جامعة الازهر..
السلام عليكم ورحمة الله .. وبعد.

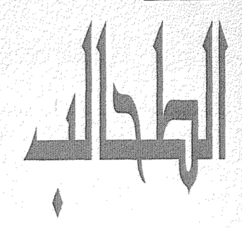
فرداً على استفساركم الخاص بمراجعتى لبعض الكتب المسروقة. أعرض عليكم ما يلي:

لقد فوجئت بكتاب في علم النفس يباع بالمنصورة، وقد كتب عليه أن مراجعه هو الدكتور محمد رجب البيومي، ومؤلفه كان طالبا بكلية الآداب بالمنصورة في الثمانينيات ثم احترف سرقة الكتب ونشرها في لبنان فبادرت بتكذيب نشرته بمجلة المنهل السعودية (عدد ذي الحجة ١٤١٧هـ) واخترت مجلة المنهل بالذات لأنها نشرت مقالا من قبل عن سرقات هذا المؤلف المزعوم بقلم أديب مغربي وعلقت عليه مشكورة ثم فوجئت بخمسة كتب أخرى في علوم التربية والجمال والفلسفة تحمل اسمي مراجعا ففزعت، وأعدت الكرة بمجلة المنهل (عدد ربيع الأول سنة ١٤١٧هـ) فنشرتها مشكورة وقد تفضلت مجلة (الهلال) المصرية فنشرت بعدد يناير سنة ١٩٩٧ تكذيبا على لساني ونفياً لكل صلة لي بالمؤلف والناشر!

هذا، وقد كتبت خطابا لدار النشر اللبنانية أنكر فيه كل صلة لي بها وبالمؤلف، فلم يرد الناشر عليّ! واستمرت الكتب المسروقة تصدر باسمى مراجعا.

وأنا أسألكم الآن! أأعتبر جانياً أم مجنيا عليه؟
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم
محمد رجب البيومي



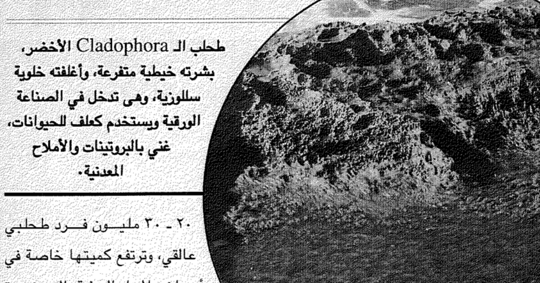
نباتات مائية ذات أهمية اقتصادية كبيرة

تعتبر الطحالب (Algae) مجموعة نباتية ضخمة واسعة الانتشار، قديمة بنشأتها، لها القدرة الكبيرة على القيام بعملية التركيب الضوئي (ذاتية التغذية) وإنتاج المادة العضوية وطرح الأوكسجين، وبالتالي تشكل احتياطاً كبيراً من المواد العضوية النباتية الهامة والمغذية التي تدخل في فروع صناعية تحويلية كثيرة ومتنوعة. كما تلعب دوراً هاماً في الحفاظ على توازن النظم البيئية الطبيعية المائية منها خاصة. وتُقسم الى عدد من المجموعات النباتية غير المتجانسة والمختلفة بأشكالها وأحجامها وألوانها وطرق معيشتها وتكاثرها وبنية طواقمها الصباغية ومدخراتها الخلوية.

تتواجد الطحالب في كل الأمكنة وبشكل خاص في أحواض المياه العذبة والمالحة التي تشكل ٧٦٪ من سطح كرتنا الأرضية تعيش مثبتة على القاع أو طافية بالقرب منه مشكلة نباتات قاعية ضخمة (Phy-tobenthos) أو سابحة بالقرب من السطح نباتات مجهرية عالقية (Phytoplankton) وتتميز الطحالب بأهمية اقتصادية كبيرة في حياة الإنسان لدرجة أن استخدامها أصبح شبه يومي ولكن حتى الآن مازالت في طور الولادة ووضع الخطط الاقتصادية في الكثير من أنحاء العالم باستثناء بعض الدول المتقدمة بزراعتها وتصنيعها واستخدامها مثل اليابان والصين وبعض الدول الأوروبية.

وقد زاد الانتشار الواسع للطحالب العالقية والقاعية من وحيدات خلية وأشكال مستعمرية (تجمع خلوي غير منتظم) حتى الأشكال الطحلبية العملاقة قد زاد من إيمان الباحثين بدورها في التوازن البيئي الحيوي ومن أهميتها الاقتصادية، ومن أجل فهم دورها وأهميتها الكبيرة المتنامية فمن الضروري التوقف أولا عند كميتها الضخمة.. وتقدر غالباً بحساب الوزن أو الكثافة في واحدة المساحة والتي تبدو أنها قليلة.. وبالتالي يضعف هذا من الاعتقاد بدورها وأهميتها

بقلم: د. مهيب اسماعيل
- سوريا -



طحلب الـ Cladophora الأخضر، بشرته خيطية متفرعة، وأغلفته خلوية سللوزية، وهى تدخل في الصناعة الورقية ويستخدم كعلف للحيوانات، غني بالبروتينات والأملاح المعدنية.

حيث لا يمكن مشاهدتها بشكل جيد إلا في حالة المشرات الطحلبية القاعية الضخمة، أو بتلون المياه الذي تسببه الكثافة المرتفعة للعوالق النباتية الحية، عندها فقط يمكن التحدث عن مكانتها، ولكن بعملية حسابية بسيطة يمكننا التأكد من كميتها المرتفعة حتى في حالة عدم مشاهدتها أو ملاحظة آثارها المتغيرة على مدى أيام السنة والمختلفة باختلاف الفصول وحسب الأحواض المائية (عذبة - مالحة).. وخاصة العوالق النباتية فهي أقل ثباتاً من الطحالب القاعية.. وبمثال بسيط نوضح هذا، ففي الأوساط المائية البحرية الفقيرة بالأحياء النباتية العالقية يوجد في كل ١ سم٣ ماء مالا يقل عن ٣ أفراد طحلبية مجهرية عندئذ في كل ١م٣ يوجد ٣ مليون فرد طحلبي مجهري. وبالدراسة لوحظ في مياه البحار الشمالية الباردة والفقيرة بأحيائها أنه في فصل الخريف وفي الطبقات المائية السطحية يوجد تقريباً في كل ١ م٣ من ٢٠ - ٣٠ مليون فرد طحلبي عالقي، وترتفع كميتها خاصة في أحواض المياه العذبة والصغيرة التي تسخن طبقاتها المائية السطحية بسرعة وبشكل جيد، عندها تنمو الطحالب العالقية المجهرية بكميات كبيرة تزيد عن سابقتها بمئات الأضعاف، مما يسبب في كثير من الحالات صباغة المياه بألوانها وخاصة في فصل الصيف الطويل والحار لتصل كميتها الى أكثر من مليون طحلب عالقي مجهري في كل ١سم٣ أي في كل ١م٣ يوجد ١٠٠٠ مليون فرد طحلبي عالقي، ويتشكل عندها وسط مائي لزج وكثيف (حساء طحلبي عالقي). فمثلا في بعض الأجزاء لمياه خليج بحر آزوف شمال البحر الأسود تصل كمية العوالق الطحلبية صيفاً إلى أرقام ضخمة حوالي ٢٧٠ غ/م٣. أما كمية الطحالب القاعية فتحسب أوزانها في واحدة المساحة (م٢) مثل كمية الطحالب الأسمر سيستوزيرا (Cystoseira) بحالته الرطبة في بعض الأجزاء الشاطئية للبحر الأسود تصل من ٦-٧ كغ/م٢ وأحياناً ١٣كغ/م٢.

وتتميز الطحالب بشكل عام بمخطط بنيوي متشابه من أهم مميزاته: أن لها بنية مشرية (Thal-lophyte) (لا جذور - لا سوق - لا أوراق - لا ثمار..). وأعضاؤها التكاثرية الجنسية أو اللاجنسية

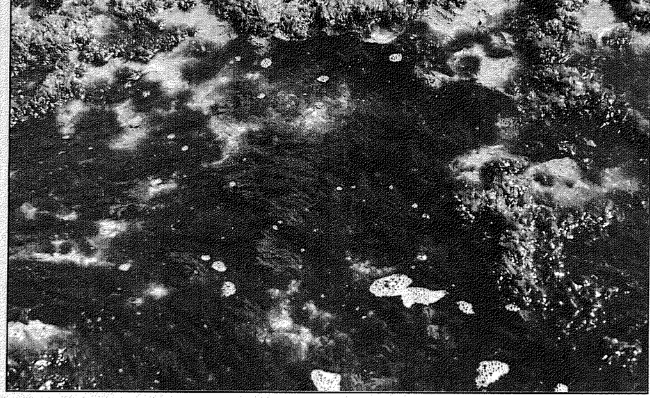
(أعراس ـ أبواغ) عارية، أي خلايا إعاشية عادية تتحول الى خلايا مخصبة غلافها العروسي أو البوغي هو نفسه الغلاف الخلوي للخلية الإعاشية. وصانعاتها اليخضورية تتضمن على جسيمات مختلفة الأشكال تدعى (البيرونوئيدات)، ذات طبيعة بروتينية وظيفتها الأساسية تركيب المادة النشوية (السكاكر المركبة)، وغالبة مشراتها لزجة تحتوي على مركبات ومواد مخاطية توجد بين أغلفتها الخلوية أو تدخل في تركيبها، وتختلف بذلك الطحالب عن النباتات المائية القاعية الأخرى المتميزة ببنيتها الفارعية خاصة (Cormophyte) (جذور ـ سيقان ـ أوراق ـ ثمار..) وتدعى (الأعشاب المائية) مثال الجنس (Zostera) الواسع الإنتشار في أماكن عدة من شواطىء البحر الأبيض المتوسط موجوداً على القيعان الرملية والطينية.

الطحالب وبعض جوانب أهميتها المختلفة:

إن العلاقة المتبادلة بين الإنسان والطحالب متعددة الأوجه حتى أنه يلاحظ ويكتشف في كل مرة عن جوانب جديدة أخرى هامة إقتصادياً، كانت غير معروفة. ومازلنا حتى الآن في أكثر بلداننا العربية نتعامل مع هذه الثروة النباتية الضخمة المتجددة بشكل سلبي مهملين جوانبها الإيجابية المتعددة. فهناك ارتباط جذري ما بين بعض الصناعات التحويلية الهامة والطحالب، فبالإضافة لاستخدامها المباشر ومنذ القدم عند الكثير من الشعوب الساحلية كمادة غذائية هامة، ومستقبلا من غير الممكن تصور الغزو الفضائي المقبل والمركبات الفضائية دون مشاركة هذه الكائنات النباتية الطحلبية وخاصة الطحالب الخضراء، التى تعمل كبطارية ادخارية تقوم بتخزين الأشعة الضوئية وتصنيع المادة العضوية الغنية بالطاقة التي تمد الإنسان في رحلته الفضائية، ويبحث العالم اليوم أيضاً عن مصادر بديلة للوقود الحفري (البترول ـ الفحم ـ الغاز) وأحد هذه المقترحات زراعة الطحالب القاعية وتنميتها ثم استخدامها في انتاج الطاقة. وبذلك تتركز أهميتها في الماضي والحاضر والمستقبل، وكما تحمل للإنسان فائدة كبيرة في ظروف بيئية معينة فقد تسبب له خسائر فادحة في ظروف بيئية أخرى، كتلون أحواض تربية الأسماك في أشهر الصيف الطويلة والحارة بسبب الكثافة المرتفعة من العوالق النباتية وبالتالي تتسبب في نقص كمية الأوكسجين، وإفساد الوسط المائي بمفرزاتها وبالنهاية تؤدي لموت الأسماك وهلاكها. والكثير من الأنواع المجهرية والأشكال المستعمرية العالقية معروفة بسميتها الشديدة من الشعب الطحلبية الخضراء والزرقاء المخضرة والذهبية.. وخاصة في فترة النشاط التكاثري فقد تنتج مواد عضوية سامة تؤدي في حالات كثيرة الى موت المواشي التي تشرب المياه الملوثة. أو تلوث أنابيب مياه الشرب والمحطات المائية، وبالوقت ذاته تعتبر العوالق النباتية كمصدر غذائي هام لكل الأحياء المائية، فلا يمكن توقع وجود حوض مائي خال منها. بالإضافة لهذا فلا ننسى أهمية طحالب التربة (الطحالب الزرقاء المخضرة) بإغناء التربة الرطبة بالمركبات النتراتية وبالآزوت الذي تقوم بامتصاصه من الهواء الجوي، بشكل مشابه للجراثيم العقدية الآزوتية.

وليست الطحالب القاعية الضخمة التي تعيش مثبتة على القاع أو طافية بالقرب منه متساوية





طحلب Enteromorpha (خس البحر) الأخضر ـ بشرته صفيحية غنية بالبروتينات والاملاح المعدنية (الحديد) والفيتامينات (أ ـ ب) ويستخدم في التغذية (سلطة الطحالب الخضراء) وكعلف للحيوانات يتخلله الطحلب Hyphea الاحمر، بشرته حبلية متفرعة ولونه أسمر غني بمركبات الآغار.

بأهميتها بالنسبة لكل أجناسها وأنواعها، وإنما تكون أهميتها بشكل مباشر أو غير مباشر بزيادة إيجابية أو سلبية النشاط الحيوي الطبيعي أو العكس، ويظهر هذا بمقياس كبير بتأثيرها على الحياة المائية المشاعية الحيوانية والنباتية بإمدادها بالمادة العضوية المغذية وبالأوكسجين المنحل. والكثير منها يقوم بدور فعال وإيجابي في عملية التنقية البيولوجية للأوساط المائية وخاصة الطحالب القاعية للمياه العذبة (الخضراء Chlorophyta) التي تقوم بتنقية مياه الشرب باستخدامها لبعض المركبات العضوية البسيطة في تغذيتها (التركيب الضوئي). وبالمقابل تلعب دوراً هاماً كمؤشر على التلوث كماً ونوعاً وتحدد بذلك مدى صلاحية هذه المياه للشرب أو للري أو للاستجمام والصيد.. والدور السلبي للطحالب القاعية في مياه البحار والمحيطات يتمثل بتأثيرها على عملية الملاحة والنقل، بتوضعها على المراكب والسفن وبالتالي الحد من قوتها وسرعتها، وكثيراً ما تؤدي الى تخريبها وإغلاق الفتحات والخراطيم المستخدمة، أو بتشكيل الشعب المرجانية وإعاقة الملاحة.

والاستخدام المباشر لهذه الأحياء النباتية الطحلبية يأتي من أهميتها كمادة أولية مغذية وصناعية غنية بالمركبات العضوية واللاعضوية. ولقد اتجه العالم نحو استثمار هذه الثروة البيولوجية بشكل كبير خاصة بعد نشوب الحرب العالمية الثانية والضائقة الإقتصادية التي نتجت عنها، وقد تم استخدامها في ضماد الجروح للإصابات المختلفة، وفي علاج الكثير من



طحلب الـ Zania الأحمر، بشرته شجرية متكلسة، ويصل المقذوف الطحلبي منه الى الشاطىء بكميات كبيرة، يستخدم كأسمدة عضوية لرفع خصوبة التربة الزراعية، غنى بالاملاح المعدنية (الكالسوم) ويستخدم في الصناعة الصيدلانية كمضادات حيوية.

الأمراض السائدة، وبذلك اتضحت أهمية هذه المواد والمركبات الغروية المخاطية الناتجة عنها في مجالات الحياة المتعددة.

الأهمية الغذائية:

في الموطن الأول للإنسان على الشواطىء ومنذ القدم استخدم الطحالب القاعية بالتغذية. أو كمادة علفية لحيواناته الأليفة من المواشي والدواجن (تزيد نسبة دسم الحليب وبروتين البيض)، أو كأسمدة عضوية للتربة الزراعية غنية بالأملاح (البوتاسيوم، الصوديوم، التوتياء..) وفي اليابان وعلى نطاق واسع استخدمت الطحالب القاعية كأطعمة محلية مغذية وأيضا في شواطىء الصين وأوروبا وبالتغذية تستخدم غالبيتها حيث تنعدم فيها الأجناس الطحلبية القاعية السامة، إلا أنه من غير المستحب استخدام الأنواع الطحلبية الغليظة المشرات الخشنة أو المتكلسة. واستخدامها بالتغذية يتعلق بالدرجة الأولى بالعادات والتقاليد الاجتماعية المتبعة، وبالنزعة الفردية للشخص ذاته الذي يريد تناولها، وبالمقدرة على الطهي الجيد بإضافة التوابل والبهارات والأملاح ومجملات الأطعمة الأخرى ليصبح طعمها مستساغاً، ومن أكثر الأطباق البحرية شيوعاً واستخداماً سلطة الطحالب البحرية، والأنواع الطحلبية المستخدمة لهذا الطبق الغذائي الطحلب الأسمر (Laminaria) والطحالب الأخرى القريبة منه (Undaria-Alaria) والطحلب الأخضر أولفا (Ulva) الذي يدعى (خس البحر) تصنع منه سلطة الطحالب الخضراء والطحلب الأحمر (Rhodomenia) ويعرف المزيج المشري الطحلبي من نباتات رتبة (Laminariales) والخضراء من رتبة (Ulvales) في اليابان باسم (الكامبو) وتستخدم أكثر من ١٢ طريقة في تحضير أطعمة شهية ومتنوعة منه، حيث تؤخذ الطحالب القاعية المستخدمة لتغسل وتجفف وتقطع إلى شرائح ثم توضع وتخزن في براميل حافظة خاصة، غالبا يحضر منها الحساء بإضافة الكرنب العادي أو غيره من أنواع الخضار أو بالطهي مع الرز والسمك أو اللحوم، وتستخدم في



تحضير الكثير من أنواع الحلويات والمربيات والمجففات السكرية المختلفة والمتنوعة. ويستخدم الطحلب الأحمر بورفيرا (Porphyra) المتميز بطعمه الغض واللذيذ المعروف في الكثير من الشواطىء البحرية، بتحضير سلطة الطحالب الحمراء المختلفة بحسب الأجناس والأنواع الداخلة في التحضير من الطحالب الحمراء الأخرى (Rhodophyta) وتدعى باليابانى (أمانوري - أذاكوزانوري - خوشينوري..).

والكثير من الأنواع الطحلبية تحفظ على شكل دقيق يستخدم من أجل تحضير العديد من الأطعمة المختلفة، أو على شكل معلبات مغذية ممزوجة مع أنواع مختلفة من الخضار. والتحليل الكيميائي لهذه النباتات الطحلبية القاعية المغذية يظهر بأن أهم مكوناتها هي المواد الكربوهيدراتية (السكريات) والبروتينية ونسب قليلة من المواد الدهنية.. وبإستخدامنا لها في تغذيتنا يمكننا القول بأننا حصلنا على المواد البروتينية والدهنية في الحدود الطبيعية العادية اللازمة للجسم. فالمحتوى البروتيني وسطياً يصل الى ٦١٪ وإن استخدام الطحلب القاعي الأخضر (Ulva) الخاص بالتغذية لا تقل أهميته الغذائية عن الكرنب العادي. ويمثل هذه الأمثلة يمكن اعتبار الطحالب القاعية كمادة غذائية هامة فبالاضافة لمركباتها العضوية واللاعضوية (سكريات - بروتينات - دهون - أملاح..) فهي غنية بأنواع عديدة من الفيتامينات الهامة التي تستخدم كأطعمة علاجية أو للحمية منها (D,C,B12,B2,B1,A) المتواجدة خاصة في العديد من أنواع الطحالب الحمراء مثل (Por-phyra) فمثلا الفيتامين B1 بفقدانه من الأغذية يسبب مرض (البري - بري) فتناول الأطعمة الغنية بالطحلب القاعي الأحمر السابق يخفف من عملية الإصابة بهذا المرض الى حوالي النصف من الذين يتناولون هذا الفيتامين من مصدره الهام جداً خميرة البيرة، والفيتامين B2 يوجد عنده بمقدار الضعف مما هو عليه في الكرنب أو الجزر، وأيضاً الفيتامين C لا يقل عن كميته في ثمار الليمون وهناك أيضاً مواد ومركبات هامة تتميز بها.

واستخدمت الطحالب القاعية قديماً وعلى نطاق واسع كمصدر أساسي للمواد والمركبات البرومية واليودية حتى تمت معرفة بنيتها الكيميائية وأنتجت صناعياً أو من مصادر أخرى كالرواسب الملحية والينابيع المعدنية. واستخدمت أيضا كمصدر هام للكثير من الأملاح المعدنية (بوتاسيوم - كالسيوم - صوديوم) وكميتها المستخرجة من رماد الطحالب بعد عملية الحرق كبيرة تصل الى ١٥ - ٤٥٪ وعند بعض الأنواع تصل إلى أكثر من ٥٣٪ من الوزن الجاف لشراتها ومن الملاحظ أن استخدامها كمصدر أساسي للأملاح بعد عملية الحرق يرافقه خسارة كبيرة بالجانب الآخر كمادة عضوية هامة والعكس صحيح، ولذا ومنذ القديم أجريت محاولات عدة لوضع طريقة هامة ومفيدة للاستفادة القصوى من جميع المكونات العضوية واللاعضوية وهذه الأبحاث والدراسات أكدت أيضاً وجود الكثير من المركبات الهامة الأخرى مثل الكحول والأسيتون.

الأهمية الاقتصادية للطحالب القاعية (الآغار - الألجينات - اللاميناري ن):

للاستخدام الصناعي للطحالب القاعية البحرية أهمية كبيرة بمقارنتها مع طحالب المياه العذبة، وحالياً

وتحت عنوان الصناعة الطحلبية التي تعني وبشكل محدد الطحالب القاعية البحرية الضخمة. من أهم المنتجات الصناعية الأساسية المستخرجة كمادة أولية منها الآغار: مادة هلامية لزجة تستخلص من الطحالب القاعية الحمراء (Rhodpphyta) بعملية الفصل بالغلي حيث تنحل المادة اللزجة على شكل محلول هلامي يترسب بالتبريد، لونه أبيض شفاف أو أصفر فاتح تجفف هذه المادة وتنتج كسلعة إستهلاكية تباع على شكل دقيق أو قطع صغيرة ومكعبات.

والآغار بحالته الجافة عندما يضاف الى الماء المغلي يعود ليشكل محلولاً هلاميا لزجاً حتى بالكميات القليلة منه ٢٠ غ/لتر (ماء مغلي) يعطي هلامة متماسكة بشكل جيد، وللوهلة الأولى يمكن اعتباره كمادة كيميائية نقية ولكن على العكس فهو عبارة عن خليط من مواد ومركبات مختلفة أغلبها مواد سكرية (كربوهيدراتية) تركيبها الكيميائي ولونها يتعلق بشكل أساسي بالنوع الطحلبي المستخلصة منه وبطريقة الإستخلاص، أكثرها جودة الآغار المستخرج من بعض أنواع الطحالب القاعية الحمراء مثل (Nemalion, Gracelaria, Gelidium) وعلى نطاق واسع من الطحلب (Ahn-feltia Plicata) الذي ينمو في شواطىء المتوسط وبحار الشرق الأقصى وشواطىء الإتحاد السوفييتي (السابق) ويستخرج من طحلب آخر هام هو الفيلافورا (Phyllophora nervosa) واحتياطي هذا النوع الطحلبي في البحر الأسود كبير جداً تقدر بـ ٥ر٥ مليون طن ويحتل مساحة تصل إلى حوالي ١١ ألف كم٢ مشكلة حقلاً طحلبياً يعرف باسم مكتشفه البروفسور الأكاديمي زيرنوفا (الحقل الطحلبي الفيلافوري الزيرنوفي) وتستخدم مركبات الآغار وبكميات كبيرة وبأشكال متعددة ومتنوعة في الصناعات الغذائية المختلفة مثل (السكاكر - المربيات - المرطبات - المعجنات - الأجبان - الحلويات)، وتضاف إلى عجينة الخبز لتزيد من جودته وطراوته لفترة زمنية أطول. ويستخدم الآغار في الصناعة الورقية

المقنوف الطحلبي من الطحلب Stypopodium الاسمر الغنى بالاملاح والأحماض الألجينية، وهناك دراسة جادة حول أهميته في استخلاص الأدوية منه للمعالجة السرطانية ابيضاض الدم (لوكيميا).

** تم التقاط الصور المرفقة على شاطىء مدينة اللاذقية - البحر الأبيض المتوسط) شمال سوريا - أيار ١٩٩٨م.



والنسيجية ليكسب الأطباق الورقية صقلا جيدا ولمعاناً ومتانة، والأقمشة تماسكاً وليونة.. ولا ننسى الاستخدام الهام والكبير له في الأبحاث العلمية في صنع الأوساط المغذية بإضافة بعض الأملاح من أجل استنبات العضويات المجهرية (الزراعة الجرثومية والطحلبية)، وتستخرج من بعض أنواع الطحالب الحمراء مواد شبيهة بالآغار لها أهمية كبيرة بالأعمال البنائية والمعاشية تضاف إلى الإسمنت والجص لتزيد من صلابتها وعازليتها للماء والرطوبة.

ومن المواد العضوية الكيميائية القيمة الأخرى المستخرجة من الطحالب القاعية الألجينات: مادة غروية متماسكة لاصقة تفوق بلزوجتها قوة الصمغ العربي بـ ٣٧ مرة وبـ ١٤ مرة من قوة النشاء كمادة لاصقة. ولذا فإن هذا المركب يدخل في فروع صناعية تحويلية عديدة ومتنوعة وتعتبر الطحالب السمراء (Phac-ophyta) المصدر الوحيد للألجينات (أملاح - أحماض) فبإضافة كمية قليلة من الألجينات النتراتية ترفع من نوعية المنتجات الغذائية بالمحافظة على جودتها وخواصها اثناء عملية التجميد والتبريد (معلبات - مرطبات - عصير فاكهة..) والأهمية الاقتصادية لهذه المجموعة الطحلبية السمراء تتمثل ببعض الأنواع التي تعيش وتتواجد في جماعات واسعة مشكلة قطاعات طحلبية ضخمة، تنمو في المياه الشاطئية البحرية الضحلة لمياهنا الإقليمية والغنية بحمض الألجين والأملاح الألجينية.. متواجدة في أماكن عديدة من شواطىء البحر الأبيض المتوسط والأحمر وبحر العرب مثل الأجناس: سيستوزيرا - كولبومينيا - ستيبوبوديوم - سارغاسوم (Sar-gassum, Stypopodium, Colpomenia, Cystoseira).

وتدخل الألجينات في صناعة الأصبغة والمواد اللاصقة المتنوعة والألياف النسيجية والبلاستيكية وتزيد من نوعية وجودة المطبوعات والأنسجة فلا تفقد ألوانها ولا ينفذ منها الماء مقاومة للعوامل البيئية الجوية المختلفة وتدخل في صناعة مواد البناء، والمواد التشحيمية العالية الجودة للآليات، وفي سبك وصب القوالب، ومن أجل عمليات اللحام الكهربائي، وفي استخراج الكحول والنشادر المستخدمة بالصناعات المختلفة، وفي صناعة القطران النسيجي، والمفرقعات ودباغة الجلود والمواد الطيارة، والدقيق العلفي وتزيد من محتوى الأعلاف من اليود ولهذا أهمية كبيرة في المناطق التي تعاني من نقص اليود، وتستخدم كمادة مغذية لمرضى السكري (الحمية)، وحمض الألجين يستخدم بشكل كبير في صناعة المضادات الحيوية للإصابات الفطرية والجرثومية والفيروسية التي تفوق بقدرتها المضادات الحيوية التقليدية المعروفة كالبنسلين والستربتومايسين.

وفي إنكلترا تستخدم بعض الأنواع الطحلبية لعلاج الكثير من الأمراض المنتشرة: أمراض القرحة، ولطرد الديدان المعوية الضارة تستخدم الأجناس الطحلبية الحمراء مثل: سيراميوم - كورالينا (Ce-ramium - Corallina) ، وتستخدم في الصناعة التجميلية بشكل واسع وكبير كمطريات وملينات للوجه والجسم، أو كأصبغة تزيينية (المكياج)، أو لإزالة السمنة الزائدة.

وتساهم بشكل كبير مركبات اللامينارين في الصناعة الطبية والصيدلانية مثل صنع المحاليل المانعة لتخثر الدم، وصناعة الهرمونات الجنسية، والمركبات

الكيميائية التى لها القدرة على ابعاد ونزع المواد المشعة من العضوية الحية. وفي علاج الكثير من الأمراض المستعصية (سرطان - إبيضاض الدم - تضخم الغدة الدرقية). ومن أجل تحضير خيوط العمليات الجراحية وكبسولات الأدوية ومعاجين ومراهم تستخرج غالباً من الأجناس المشرية الضخمة مثل: لاميناريا - ماكروسيستيس - (Macrocystis Laminaria) وتملك خواص علاجية هامة جداً لأمراض الجهاز الهضمي (المعدة والمجاري المعوية) وأمراض الروماتيزم والأمراض الرئوية والمجاري التنفسية.

وعفن الطحالب القاعية على الشواطىء البحرية المتميز برائحته وشكله الكريهين يتألف من خليط من المشرات الطحلبية المتفسخة والمتنوعة التي تقذفها الأمواج والتيارات البحرية والذي يدعى (الطين الطحلبي العلاجي)، له أهمية كبيرة في علاج الكثير من الأمراض عن طريق الجلد (روماتيزم - فطور جلدية - سمنة زائدة) وتباع الكثير من أنواع الطحالب في الصيدليات كأدوية علاجية ومضادات حيوية بأشكال مختلفة وتحت أسماء عديدة ومتنوعة.

طحالب أحواض المياه العذبة وأهميتها الغذائية والصناعية:

تختلف طحالب المياه العذبة عن الطحالب القاعية للبحار والمحيطات بأنها نادراً ما تستخدم بالتغذية والأهمية الأكبر لطحالب المياه العذبة هي الأشكال المستعمرية الصفيحية والخيطية الكثيفة، ويوجد ثلاثة أنواع طحلبية مجهرية مغذية من شعبة الطحالب الزرقاء المخضرة تابعة للجنس نوستوك (Nostoc) ذات شكل كروي أو إهليليجي، ومستعمراتها قد تصل لحجم البيضة الكبيرة مخاطية هشة وكثيراً ما تجتمع هذه المستعمرات الطحلبية بشكل كثيف على قاع الأحواض المائية الصغيرة، ويشكل النوستوك العادي (N. commune) طبقة صفيحية كبيرة نسبياً لزجة، أما النوع ((N. flagelliforme ينمو وبغزارة في شمال الصين متوضعاً على سطح التربة الرطبة الضعيفة الخصوبة، ويظهر على شكل خيوط خلوية دقيقة عاتمة اللون متداخلة مع بعضها البعض بشكل كثيف وبزيادة رطوبة التربة أو الرطوبة الجوية تصبح مشرته لزجة. وفي اليابان وصفت حالات عدة لهذا الطحلب وكيفية وجوده على المنحدرات الصخرية البركانية على شكل مشرة صفيحية لزجة غير منتظمة، وتدعى تجمعاته بخبز التنجو وتعني (الروح الخيرة) ومنذ القدم يستخدم بالتغذية، وفي جنوب الصين تصنع أرغفة خضراء باهتة اللون مؤلفة من ألياف خيطية مشرية دقيقة من الطحلب الأخضر (Zygnema) تباع وتؤكل بعد عملية الطهي بالزيت النباتي.

وفي السنوات الأخيرة انتشر وبشكل واسع أحد أنواع الطحالب الزرقاء المخضرة -Spirulina Pla) (tensis مشرة طحلبية خيطية تجتمع خلاياها مشكلة مستعمرات خلوية ضخمة تنمو وبكثافة عالية في بحيرة تشاد (جنوب إفريقيا) يستخدم بالتغذية، وحالياً أصبح أحد الأنواع الطحلبية العالقية المعروفة والمزروعة بكميات كبيرة في أحواض المياه العذبة المختلفة.

وتتجه الدراسة الحالية نحو التطبيق العملي لاستخدام العوالق النباتية في أحواض المياه العذبة الطبيعية والإصطناعية التي تصل لكميات كبيرة في أشهر الصيف الطويلة والحارة وأظهرت الدراسات



إمكانية استخدامها العملي كأسمدة عضوية تضاف لبعض المزروعات، أو كمادة علفية تضاف الى أغذية الحيوانات، أو من أجل استخراج بعض أنواع المواد والمركبات الكيميائية الهامة. وإن هذا التوجه الصناعي الهام باستخدام طحالب المياه العذبة يرتبط بشكل أساسي ومباشر مع الظروف البيئية الخارجية من درجة حرارة وإضاءة.. ولذا وبشكل كبير وواسع ظهرت توجهات جديدة نحو الدراسة التطبيقية والعملية المعمقة للعوالق الطحلبية التي تعتمد بأساسها على البحث عن إمكانية إستنباتها وزراعتها والتحكم بطرق إنتاجها واستخدامها مثل الطحلب الأخضر وحيد الخلية (Chlorella) وغيره من الأجناس والأنواع الطحلبية العالقية من الشعب الطحلبية الأخرى الذهبية والدياتومية.

وقد أصبح هذا التوجه بحد ذاته فرعاً صناعياً مستقلا خاصاً بعلم الميكروبيولوجيا في دراسة العوالق النباتية، أما الإمكانية التصنيعية لمركبات الطحالب القاعية للمياه العذبة مقارنة مع الطحالب القاعية البحرية مازالت محدودة وضمن إطار الدراسة والبحث المخبري، الاهتمام الأكبر كرس لاستخدامها كمادة أولية هامة في الصناعة الورقية للمشرات الخيطية التي تمتلك أغلفة خلوية سللوزية متطورة مثل الطحلب الأخضر (Cladophora) تخلط العجينة الطحلبية المستخرجة مع الورق التالف لتعطي أنواعاً جيدة من الورق المقوى وورق اللف والكرتون.

وتتمثل الكميات الكبيرة من المتعضيات النباتية الطحلبية بشكل أساسي بالعوالق الطحلبية وليس بالطحالب القاعية التي يقتصر وجودها على الشواطىء الضيقة التي لا تتجاوز مساحتها ١/١٠ من مساحة البحار والمحيطات وأحواض المياه العذبة. باستثناء الحقل الطحلبي الفيلافوري في البحر الأسود بالإضافة لحقل طحلبي ثان يشغل مساحة شاسعة من مياه النصف الشمالي للمحيط الأطلسي الذي تقدر مساحته بحوالي ٤٫٥ مليون كم٢ تصل فيه كمية الطحلب الأسمر سارغاسوم (Sargassum) الى حوالي ١٢ ـ ١٥ مليون طن يطفو هذا الطحلب قريباً من السطح في مياه يصل عمقها ما بين ٢ ـ ٦ كم مشكلا حوضاً بحرياً كبيراً يدعى (بحر السارغاسوم). وهذان المثالان لا يمكن أخذهما كقاعدة تنطبق على بقية الأحواض المائية المالحة أو العذبة وإنما يشكلان حالة شاذة على سطح كرتنا الأرضية.

وبذلك فإن أمننا الإقتصادي في أرجاء وطننا العربي يقتضي التفكير والتعمق ووضع الخطط الإقتصادية الهامة لإستثمار خيرات مياهنا الإقليمية، وخاصة هذا الجانب المهمل والهام من الثروة النباتية الطحالب (Algae) من أصغرها حجماً حتى أكبرها، وسنضطر لذلك عاجلا أم آجلا فالطلب على هذه المركبات الكيميائية الغروية الهامة المستخرجة منها (آغار ـ ألجينات ـ لامينارين..) يزداد بشكل متسارع يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة لنوفر على شعوبنا أموالا ضخمة تنفق لاستيراد الكثير منها، بينما هي تعيش بيننا وفي أوطاننا وعلى شواطئنا لا تكلفنا الكثير من العناء سوى تكثيف البحوث في كيفية تنميتها وتوسيع أماكن انتشارها بتهيئة الظروف البيئية الحيوية واللاحيوية الملائمة واستغلالها في غذائنا وغذاء حيواناتنا الأليفة ورفع خصوبة تربتنا الزراعية واستخدامها في صناعاتنا التحويلية الهامة والعديدة، والمحافظة على توازن نظمنا البيئة الطبيعية.

من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة

***** في العدد السابق (جمادى ١٤٢٠هـ) كانت بداية هذه الدراسة القيمة. وقد تناول الدكتور باجودة في تلك الدراسة مظاهر الاعجاز الكوني في الآية الكريمة (الرابعة والستين بعد المئة) من سورة البقرة. وفي هذه الحلقة يكمل بقية الدراسة.***

من مظاهر إعجاز الايتين الكونيتين ١٩ ، ٢٠ من سورة البقرة في الكشف عن خفايا نفوس المنافقين:

الآيتان الكريمتان التاسعة عشرة والعشرون من سورة البقرة ميدان الدراسة يتألف منهما المثل المائى الذى يكشف عن خفايا نفوس فريق من المنافقين، وذلك إثر المثل الناري الذى يتألف هو الآخر من آيتين كريمتين هما السابعة عشرة والثامنة عشرة، والذى يكشف هو الآخر عن خفايا نفوس فريق آخر من المنافقين.

وهذا معناه أننا بحاجة إلى ذكر الآيات الكريمات الأربع التى يتألف منها المثلان الناري والمائي للعلاقة الوثيقة بين المثلين. قال تعالى[١]: **{مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون، أو كصيب من السماء فيه ظلُمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت. والله محيط بالكافرين، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قدير}.**

وآيتا المثل المائي يختتم بهما حديث السورة الكريمة المستفيض في صدرها عن المنافقين، وذلك إثر الحديث عن الكافرين في الآيتين الكريمتين السادسة والسابعة، وإثر حديث السورة الكريمة حتى نهاية الآية الكريمة الخامسة عن المتقين الذين يهتدون بالكتاب العزيز.

وقبل أن نخص آيتي المثل المائي بالحديث أو الشق الثانى المائي من المثل نحن بحاجة إلى أن نبين في إيجاز معنى آيتي المثل الناري أو الشق الأول الناري من المثل. وهاتان هما آيتا المثل الناري، قال تعالى: **{مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون}.**

إن الآية الكريمة الأولى، في محاولتها تقريب خفايا نفوس فريق من المنافقين، شديدى العداوة لله ورسوله، ويكاد يقترب من الكافرين في



بقلم : أ.د. حسن محمد باجوده
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

بغضه للإسلام والمسلمين لولا استضاءته لحظة من اللحظات بنور الإسلام، إن الآية الكريمة الأولى في محاولتها هذا التقريب تنزل الأمر المعنوى وهو مرض النفس وخبث الطوية منزلة المحسوس في هيئة هذا المثل الناري.

وحينما انطفأ النور الذى استضاء به هذا الفريق كان الانطفاء نهائيا والذهاب إلى غير رجعة فعاد هذا الفريق إلى الظلمات التى سبق أن كان فيها بل إلى ظلمات أشد، لأن هذه هي طبيعة الظلمات التى تعود عقب نور ينطفيء فجأة ويذهب إلى غير رجعة، وبهذا يتبين أن هذا الفريق من المنافقين هو أشد المنافقين سوءاً. إن الآية الكريمة الأولى تبين أن مثل هذا الفريق المنافق الشديد العداوة لله ولرسوله مثل ذلك الذى استوقد ناراً، والمعروف أن العادة جرت أن يوقد النار شخص واحد وإن كان في جماعة، وإن كان المنتفع بها كل الجماعة فلما أضاءت ما حوله، أي حول هذا المستوقد النار. ويلاحظ استعمال الآية الكريمة جملة أضاءت وليس جملة أنارت لأن جملة أضاءت تدل على منبع الضوء وعلى ما يصدر من هذا المنبع وهو الضوء.

أما جملة أنارت فإنها تدل على غير منبع الضوء وعلى غير مصدر الطاقة كما تدل على النور. والضوء أصل والنور تبع، ومن هنا كانت الشمس مثلا مضيئة لأنها مصدر للطاقة وما يصدر عنها ضوء، وكان القمر منيراً لأنه متلق لضوء الشمس وعاكس له نورا، ومن هنا كان ما يصدر عن القمر نوراً وليس ضياء، وقد نبهت هذه الآية الكريمة من سورة يونس[٢] على هذه الحقائق.. قال تعالى: {هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون}.

وبهذا تدل جملة: «أضاءت» على الضوء الصادر عن النار، كما يدل القول: «ما حوله» على الضوء الذى ملأ ما حول مستوقد النار لقربه منها. وإذا كان ما وصل مستوقد النار ضوءاً فإن ما وصل صَحْبَهُ نور، ولهذا حينما أطفأ الله سبحانه وتعالى النار ذهب فى حق هؤلاء الصحب البعيدين عن النار النور. وحينما يذهب النور يذهب الضوء لأن مصدره وهو النار قد أطفأها الله تعالى. قال تعالى: **{فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم}** ونستطيع أن نفهم من استعمال جملة ذهب معنى المصاحبة وهو المعنى الذى لا تفيده جملة أذهب مثلا، لأنى حينما أقول ذهبت بالشيء فذلك معناه أني ذهبت به شخصيا، فإذا قلت أذهبت الشيء تبادر الى الذهن أني ربما كلفت غيري بهذه المهمة. كما أنّا نستطيع أن نفهم من القول: «بنورهم» أن الذى ذهب هو النور أما الإحراق بالنار في حق المنافقين فباق. ويلاحظ أن النار هنا تنطفيء فجأة.

وحينما تنطفيء النار فجأة وكانت قد بددت بإيقادها الظلمات، تعود بانطفائها الظلمات كما كانت من ذى قبل بل بصورة أشد، وفي هذه الحال لا يستطيع السائرون أن يواصلوا السير، بل إنهم لا يستطيعون أن يعودوا أدراجهم ويرجعوا وراءهم لأنهم ببساطة لا يستطيعون أن يبصروا شيئا أو يهتدوا سبيلا. قال تعالى: **{فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون}**.

والآية الكريمة التالية تنزل القوم منزلة من ولد أصمّ لا يسمع، أبكم لا ينطق، أكمه لا يبصر، وتقرر حقيقة عدم قدرتهم على الرجوع الى ذات الطريق الذى جاءوا منه فكيف بمواصلتهم السير في الطريق الذى لم يسلكوه من قبل. قال تعالى: **{صمٌ بكمٌ عميٌ**

فـهم لا يرجـعـون} والمعنى هـم صمٌ وهـم بكمٌ وهـم عمي.

وهذه النظرة الأولى إلى المثل الناري من جـهـة ظاهره بحاجة إلى أن تردف بنظرة أخرى من جهة باطنه، وذلك في ضوء ما ذهب إليه ابن كثير مثلا[٣] من كون كل من المثلين يمثل فريقاً من المنافقين.

إن هذا الفريق من المنافقين الشديد العداوة لله ولرسوله في انتفاعه من تعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وحصوله بادعائه الاسلام على الأمـان لدمـه ومـاله وعـرضـه بمنزلة مستوقد النار الذى حصل على ضوئها بينما حصل رفاقه على نورها، وكذلك هذا الفريق من المنافقين منهم من حصل بادعائه الإسلام على الخير العميم من الإسـلام الذى ينزل منزلة الضـوء ومنهم من حصل من الخير على ما ينزل منزلة النور. أما وقد انصرف المنافقون عن هدي الله تعالى فقد صرف الله سبحانه وتعالى قلوبهم وذهب بنور الإيمان من صـدورهـم وقلوبهم ونفـوسـهم وتركـهم فى ظلمـات النفاق والشرك والشكوك والريب والأباطيل والترهات لا يبصرون نوراً ولا يهتدون سبيلا. إنهم صم عن سمـاع دعوة الحق سمـاع فهم وقبول بُكم عن قول الحق والدعوة إليـه، عـميٌ عن إبصـار نور الهـداية والسير في الطريق المستقيم. وبسبب الظلمات التى أطبقت عليهم بأكثر من ذى قبل هم لا يستطيعون أن يعـودوا أدراجـهم فكيف يسـتطيـعـون أن يواصلوا سيرهم؟.

ونتحـول إلى آيتي المثل المائي اللتين تشـتـمـلان على بعض الآيات الكونية بقصد الوقوف على بعض مظاهر إعجازهما وتبين كشفهما عن خفايا نفوس فـريق من المنافـقين يقل عن الفـريق السـابق الذى ضرب له المثل النارى سوءا وخبث طوية.

قال تعالى: **{أو كصيِّب من السماء فيه ظلمات ورعـد وبرق يجـعلون أصـابعـهم في آذانهم من الصـواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين. يكاد البرق يَخْطَفُ أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قدير}**.

وفي دراستنا للآيتين الكريمتين نحن بحاجة الى النظرتين اللتين احتجنا لهما بشأن آيتي المثل الناري النظرة الأولى الظاهرة والنظرة الثانية الباطنة.

بما أن كـلا من المثلين يتـحـدث عن فـريق من المنافقين وكان المثل الناري يتحدث عن الفريق المنافق الأشـد سـوءاً وكـان المثل المائي يتـحـدث عن الفـريق المنافق الأقل سوءاً فإنا نود أن نبدأ بالنظرة الأولى الظاهرة بين يدي النظرة الأخرى، وبما أن هذا المثل مـعطوف على سـابقـه: «أو كصـيب من السـمـاء» لذا يصح القـول: إن من أبصـر أحـوال المنافـقين ومـدى عـداوتهم لله ورسوله وبغضـهـم للإسـلام والمسلمين يسـتطيع أن يشـبـهـهم إن كـانوا شـديدى العـداوة والبـغض بحـال الذى اسـتوقد نـاراً، وإن كـانوا أقل عداوة وبغضا يستطيع أن يشبههم بحال ذوى صيِّب من السماء وأصحاب مطر يصوب أي ينزل ويقع[٤] والصيب المطر، قاله ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن البـصـري وقـتـادة وعطيـة العـوفي وعطاء الخـراسـانى والسـدي والربيع بن أنس[٥]، وتنكيـر صـيِّب لأنه أريد نوع من المطر شـديد هـائل كما نكرت النار من التمثيل الأول[٦]، وبما أن الماء إنما ينزل من السحـاب فـعليه يكون المراد بالسـمـاء السحاب. وبشأن مجيء القول: «من السماء».

يقـول الزمـخـشـري[٧]: «فـإن قلت: قـوله، من

السماء، ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون إلا من السماء؟ قلت: الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء، أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأن كل أفق من آفاقها سماء، كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله: وأوحى في كل سماء أمرها.. والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء».

والقول: «فيه ظلمات ورعد وبرق» يبين أن في هذا الصيب ظلمات، فثمة ظلمات الليل والدجن أي الغيم، إنها ظلمات حجبت السماء ولفت الأرض. ويلاحظ أن الظلمات في هذا المثل هي ذات الظلمات في المثل الناري التى أراد المستوقد تبديدها.

وبما أن العين في مثل هذه الظلمات يقل الاعتماد عليها وفي المقابل يكثر الاعتماد على الأذن أو السمع، وبما أنه بالمقارنة بين الظلمات والرعد والبرق في حال نزول المطر الشديد ليلا من زاوية الكثرة والشمول يتبين أن الظلمات هي الأكثر والأشمل، وقد نص السياق عليها ابتداء، كما يتبين أن الرعد يتقدم البرق كثرة وشمولا، فقد نبه السياق على كل ذلك في ترتيب العناصر الثلاثة على هذا النحو: «ظلمات ورعد وبرق».

والرعد: الصوت الذى يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض إذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد[٨] ويقال أصل الرعد من الحركة، ومنه الرعديد للجبان. وارتعد اضطرب. ومنه الحديث: فجيء بهما ترعد فرائصهما. الحديث أخرجه أبو داود[٩] والبرق الذى يلمع من السحاب، من برق الشيء بريقا إذا لمع[١٠] وهو الجرم اللطيف النوراني الذى يشاهد ولا يثبت[١١] وعلى غرار تنكير لفظة نار في المثل الناري أن يبين الحكمة من التنكير. يقول[١٢] «وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات راجية، ورعد قاصف، وبرق خاطف».

وبالنظر إلى القول: «يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت» يتبين أن الصواعق، وهي من متعلقات الصيب، تجيء متأخرة عن المتعلقات الأخرى من ظلمات ورعد وبرق وفي هذا التأخير تنبيه على قلة ورود الصواعق بالقياس إلى المتعلقات الأخرى.

وبما أن الاعتماد من مثل هذا المطر الشديد الليلي على الأذن والسمع بأكثر من العين والبصر، فقد كان الحرص في المقابل على هذه الحاسة كبيراً والضن بها شديداً خاصة وأنها تتعرض فجأة لأقوى الأصوات، ألا وهي أصوات الصواعق، والصواعق جمع صاعقة[١٣] والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقّة[١٤] من نار، قالوا: تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه. وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه، إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود[١٥] وهؤلاء أصحاب الصيب لشدة الخوف من الصواعق والضن بأسماعهم وأرواحهم يجعلون أصابعهم في آذانهم، والمراد يجعلون أناملهم بل رءوس الأنامل. ولكن أصحاب الصيب لشدة خوفهم وهلعهم كأنهم لا يقتنعون بوضع بعض رءوس الأنامل في آذانهم بل بأصابعهم كاملة غير ناقصة. وقد بينت الآية الكريمة السبب الذى من أجله وضعت الأصابع في الآذان أنه من الصواعق، أي بسبب الصواعق فمن المتعلقة بقوله يجعلون سببية[١٦] وإنه حذر الموت.

قال سيبويه: هو منصوب لأنه مفعول له أي مفعول من أجله[١٧]. وتقرر الآية الكريمة في تذييلها: «والله محيط بالكافرين» أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بالقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من

دونه من وال ولا ناصر.

أما وقد نالت الأذن التى عليها اعتماد القوم أساساً حظها في الخوف عليها من الصواعق لذا هم يجعلون أصابعهم فيها وليس الأنامل وحدها، وبما أن الاعتماد بعد الأذن على العين فقد نالت هي الأخرى حظها في الآية الكريمة التالية: قال تعالى: **{يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مَشَوْا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا}.**

إن البرق يكاد يخطف أبصار القوم ويأخذها بسرعة[١٨] والأبصار جمع بصر وهي حاسة الرؤية[١٩] وإن حال أصحاب الصّيب تجاه البرق مزيج بين الرهبة والرغبة الخوف والأمل. إنهم يخافون البرق أن يخطف أبصارهم لحظة تبديده الظلمات الحالكة، خاصة وأن البرق هو المصدر الوحيد للنور الذى يستبينون به الطريق الوحيد الذى يصح بإرادة الله تعالى أن ينقذهم من الخطر الداهم المحدق بهم ويبلغهم مأمنهم. لذا فإن شعور أصحاب الصيب تجاه البرق مزيج من الخوف والأمل الرهبة والرغبة. وقد أحسن الزمخشري الحديث والتعليل لاستعمال كلما مع الإضاءة وإذا مع الإظلام يقول[٢٠]: فإن قلت: كيف قيل مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا؟ قلت: لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس».

وهكذا يهتبل أصحاب الصيب كل فرصة يضيء لهم معها البرق كي يمشوا في ضوئه ويقطعوا في الطريق خطوة أو خطوتين، رغم ما في لمعان البرق من خوف على أبصارهم أن يخطفها خاصة وأنهم مضطرون لفتح أعينهم متحفزون لاغتنام كل ومضة من برق مع علمهم الأكيد بخطورة كل ومضة من البرق فربما كان في أي منها خطفة للبصر.

ونستطيع أن نفهم أن عدد مرات مشيهم بعدد مرات وميض البرق والذى يجعلهم لا يخطئون ومضة من البرق واحدة هو أنهم في حالة عدم وميض البرق وإطباق الظلمات لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

إن أصحاب الصيب خافوا على سمعهم أن تذهب به الصواعق لذا فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم، وخافوا على بصرهم أن يذهب به البرق ولكنهم مكرهون على احتمال أذاه لأن ضوءه الوسيلة الوحيدة لمواصلة السير. أما وقد ذكر السمع والبصر على هذا النسق، فقد جاء كذلك النص على السمع والبصر في القول: «ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم» إن وضع القوم أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت وخوفهم على أبصارهم لن يحول شيء من ذلك دون مشيئة الله تعالى أن تذهب بسمعهم وأبصارهم لو شاء ذلك. ومعنى القول: «ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم»: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها[٢١] وهذه المشيئة خير موطىء لتقرير قدرة الله تعالى القادر على كل شيء الفعال لما يريد الذى لا يعجزه شيء فى الأرض ولا في السماء وذلك في تذييل الآية الكريم: **{والله على كل شيء قدير}.**

فإذا تحولنا الى النظرة الأخرى من زاوية باطن المثل استطعنا أن نتخذ من نظرة ابن كثير في تفسيره لآيتى المثل وللآيات الكريمات من أول السورة حتى نهاية الآية الكريمة العشرين منطلقاً. ومما قال رحمه الله تعالى [٢٢]: «فإذا تقرر هذا صار الناس أقساماً، مؤمنون خُلّص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة، وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها. ومنافقون وهم قسمان، خلّص وهم

المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون يترددون، تارة يظهر لهم لمع الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي، وهم أخف حالا من الذين قبلهم».

فما المراد بقوله تعالى: {**أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق**} في حق هذا الفريق من المنافقين؟ المعروف أن المنافقين عموماً يبغضون آي الذكر الحكيم لأنها تكشف سوءاتهم وتهتك عوراتهم وتفضحهم على حقيقتهم، لذا هم يعتبرون أقل ما ينزل من القرآن الكريم كثيراً لذا فحالهم في أثناء نزول آي الذكر الحكيم الذى يبغضون يشبه حال أولئك الذين في العراء والذين ينزل عليهم المطر المنهمر فيزيد من سوء الظلمات التى هم فيها. ومع أن القرآن الكريم هو النور المبين وهو الحياة للأرواح فإن المنافقين المبغضين له يعتبرون ما أنزل منه بمنزلة الموت لهم لأنه مهيج ظلمات أنفسهم من شكوك وريب، أباطيل وترهات. وإن في ذكر ا لسماء تعميقاً لإحساس المنافقين العميق بكون ما ينزل من السماء من آي الذكر الحكيم بمنزلة العذاب الأليم.

وما المراد بالرعد في حق المنافقين؟ إن المنافقين تنزل عليهم آي الذكر الحكيم وصوارم أوامره وقوارع زواجره بمنزلة الرعد المزعج لهم المؤرق مضجعهم. وإن في القرآن الكريم العديد من آي الذكر الحكيم دليلا على ذلك، جاء في سورة (المنافقون)[٢٣] مثلا قوله تعالى {**يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون**} وجاء في سورة التوبة[٢٤] قوله تعالى {**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرجٌ ما تحذرون**} وجاء في سورة محمد عليه الصلاة والسلام[٢٥] قوله تعالى: {**ويقول الذين آمنوا لو نُزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذُكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف. فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم**} وجاء في سورة الأحزاب[٢٦] قوله تعالى: {**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا. ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا. سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**}.

وما المراد بالبرق في حق المنافقين؟ المراد نور تعاليم آيات القرآن الكريم. إن المنافقين يرون نور الإسلام من القوة للدرجة التي تكاد تخطف أبصارهم على غرار فعل البرق. وقد جاء في سورة فصلت[٢٧] في حق القرآن الكريم قوله تعالى: {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقْرٌ وهو عليهم عمى. أولئك يُنادوْنَ من مكان بعيد}.

وما معنى قوله تعالى: {**يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت**} إن فى الإمكان أن نذهب إلى كون الصواعق في حق المنافقين من جنس مقومات الرعد بالمعنى الذى عرفنا في حقهم، وذلك بأن تتتابع الأوامر والنواهي والتكاليف في حقهم وتشتد قوارع الزواجر المتتالية ويكون التهديد المباشر لهم، والكشف عن عوراتهم والفضح لسوءاتهم والتحذير الصريح لهم بالجلاء أو القتل في هذه الحياة الدنيا إن استمروا على نفاقهم وبالدرك الأسفل من النار في الحياة الأخرى.

إن المنافقين يعتبرون الإسلام موتاً فهم يحذرونه حذر الصواعق بوضع الأصابع في الآذان ليلا على الحرص الشديد على الكفر الذى يعتبرونه الحياة وإن التعبير عن إعراضهم عن دعوة الحق بوضع أصابعهم في آذانهم رمز لكل مظاهر الإعراض عن

الإسلام والإقبال على الكفر.

وهذا التذييل: «والله محيط بالكافرين» يبين أنه لن يحول وضع المنافقين أصابعهم في آذانهم كيلا يصلهم صوت دعوة الحق بين عذاب الله تعالى الأليم الشديد في الآخرة وقد يضاف إليه عذاب الدنيا من التقييد والتشريد والتعذيب، وبين وصول هذا العذاب إليهم إن شاء الله تعالى أن يصلهم.

إن البرق هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان[٢٨] وتقرر الآية الكريمة الثانية في صدرها أن البرق يكاد يخطف أبصارهم: «يكاد البرق يخطف أبصارهم» والمعنى: تكاد حجج القرآن وبراهينه الساطعة تبهرهم[٢٩] وكلما أضاء نور الإسلام لهم الطريق مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا، وقفوا وثبتوا في مكانهم[٣٠] قال تعالى: **{كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا}** عن ابن عباس: أي يعرفون الحق ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا أي متحيرين. وهو أصح وأظهر والله أعلم[٣١].

وعن ابن عباس: أي ثبتوا على نفاقهم[٣٢] وذكر الضوء والظلمة تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون[٣٣] ولو شاء الله سبحانه وتعالى لزاد في قصف الرعد فأصمهم أو في ضوء البرق فأعماهم[٣٤]. **{ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير}** وإنما خص هنا تعالى صفته التي هي القدرة بالذكر دون غيرها لأنه تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والإخافة، فكان ذكر القدرة مناسباً لذلك. والله أعلم[٣٥].

إن هذا الفريق الآخر المذبذب من المنافقين قد ذاق وقتاً من الأوقات حلاوة الإسلام واستضاء بنور القرآن الكريم وبهدي المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وفي حدود استعداده الضعيف إلى أبعد الحدود ثم غلبت على القوم شقوتهم فآثروا الكفر على الإيمان، وأحبوا الكافرين وأبغضوا المؤمنين بقيادة المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وانتفعوا من نور هدي القرآن الكريم وسنة المصطفى {صلى الله عليه وسلم} في حدود ما يتمشى مع مصالحهم الذاتية ويحقق رغائبهم الشخصية. إنهم بمثابة المنتفع من ضوء البرق اضطراراً ولكن ذلك البرق خطر على أعين المنافقين ينبغي في اعتقادهم اتقاؤه، وكذلك ضوء تعاليم القرآن الكريم الذى يستضاء به إلى حين هو في اعتقاد المنافقين خطر ينبغى اتقاؤه، لأن فيه تحولا عن الكفر وإقبالا على الإيمان، وهم يعتبرون التحوّل عن الكفر والدخول في الإسلام موتاً فينبغى اتقاء خطر الموت، وينبغى الانتفاع من التعاليم في حدود المصلحة الشخصية فقط، وينبغي بطبيعة الحال عدم التورط بالالتزام بشيء من تعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة التى لا تحقق للمنافقين نفعاً خاصاً بهم وحدهم، خالصاً لهم. ووراء ذلك يرفض المنافقون كل تعاليم الإسلام التى ترتبط بها تكاليف، لأن الحياة الدنيا منتهى همهم ومبلغ علمهم. إن انتفاعهم من نور الإسلام يستمر ما دام النور محققاً لمصالحهم الذاتية، لذا هم يختارون من ذلك النور ما يحقق تلك المصالح على غرار اهتبال أصحاب البرق الفرص، وكما خشي أولئك من ضوء البرق أن يخطف أبصارهم خشي هؤلاء من نور القرآن الكريم لأن فيه تكاليف شاقة عليهم وهم إنما يريدون الجانب الناعم من الإسلام. ولفظة كلما تعبر عن جانب الرجاء والطمع في نور القرآن الكريم.

وكيف يتم ذهاب سمع القوم وأبصارهم في ضوء

النظرة الثانية الباطنة؟ لقد عرفنا بشأن القول: «صمٌّ بكمٌ عميٌ» أن الواحد من القوم بمثابة من ولد أصمّ أبكم أعمى. وإنّ ذهاب السمع بسبب الصواعق دليل على ذهاب سمع القوم بمشيئة الله تعالى جزاء وفاقاً لإعراضهم عن سماع دعوة الحق وبالتالى لا يزدادون بتوالى قصف رعود آي الذكر الحكيم وصواعقه إلا صمما على صمم. ويتساوى بالتالى حصيلة كل من ازدياد صواعق الصيب وتوالى نزول آي الذكر الحكيم. وإن ما قيل عن سمع القوم يقال عن أبصارهم. إنهم يستحقون أن يزدادوا إلى عمى البصيرة عمى، ولكن القول: «ولو شاء الله» ينبه إلى رحمة الله تعالى التى وسعت كل شيء فلا زالت آذانهم قابلة لأن تتحول مستمعة صوت دعوة الحق سماع قبول، ولازالت أعينهم قابلة لأن تتحول مبصرة نور هدي القرآن الكريم والرسول العظيم مستضيئين به مهتدين بهداه.

ومن المعروف أن المصطفى {صلى الله عليه وسلم} حينما لحق بالرّفيق الأعلى كان النفاق قد اختفى ومضى كأمس الدّابر.

للدراسة صلة

الهوامش:

(١) سورة البقرة ١٧ ـ ٢٠

(٢) الآية ٥.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٥٥، ٥٦.

(٤) الكشاف ١/١٦٥.

(٥) تفسير ابن كثير ١/٥٤ وانظر تفسير الطبري ١/١١٤، ١١٥ وتفسير القرطبي ١٨٦ والكشاف ١/١٦٥ والبحر المحيط ١/٨٣ وأمثال القرآن لابن القيم ١٨.

(٦) الكشاف ١/١٦٥.

(٧) الكشاف ١/١٦٥.

(٨) الكشاف ١/١٦٥.

(٩) تفسير القرطبي ١٨٨.

(١٠) الكشاف ١/١٦٦.

(١١) البحر المحيط ١/٨٤.

(١٢) الكشاف ١/١٦٦.

(١٣) تفسير القرطبي ١٨٩.

(١٤) الشّقة بكسر الشين: القطعة المشقوقة وما شقّ من ثوب أو نحوه مستطيلا.

(١٥) الكشاف ١/١٦٧.

(١٦) البحر المحيط ١/٨٦ وانظر تفسير القرطبي ١٨٩ والكشاف ١/١٦٧.

(١٧) تفسير القرطبي ١٩٠.

(١٨) تفسير القرطبي ١٩٢.

(١٩) تفسير القرطبي ١٩٢.

(٢٠) الكشاف ١/١٦٩.

(٢١) الكشاف ١/١٧٠.

(٢٢) تفسير ابن كثير ١/٥٥.

(٢٣) الآية ٤.

(٢٤) الآية ٦٤.

(٢٥) الآية ٢٠، ٢١.

(٢٦) الآيات ٦٠ ـ ٦٢.

(٢٧) الآية ٤٤.

(٢٨) تفسير ابن كثير ١/٥٥.

(٢٩) تفسير القرطبي ١٩٢.

(٣٠) الكشاف ١/١٧٠.

(٣١) تفسير ابن كثير ١/٥٥.

(٢٣) تفسير القرطبي ١٩٣.

(٣٣) الجلالين.

(٣٤) الكشاف ١/١٦٩.

(٣٥) تفسير القرطبي ١٩٤.

دروس من ذكرى الإسراء والمعراج

كلما أقبل شهر رجب - وهو من الأشهر الحرم - أطلت على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ذكرى الإسراء والمعراج، وذكرتهم بما كان عليه حال الإسلام والمسلمين قبلهما وبعدهما من ضيق إلى سعة، ومن ضعف إلى قوة، فقد أفاء الله سبحانه على رسوله {صلى الله عليه وسلم} بنعم يخطئها العد وتفوق الحصر فهو الذي صنعه على عينه وأدبه بأدبه وخلّقه بقرآنه ونسب الخلق الكريم عليه فأثنى عليه في دستوره السماوي الحكيم بقوله {وإنك لعلى خلق عظيم}.

وتلك شهادة ربانية من موجد هذا الكون على غير مثال سابق، لم تصدر عن جامعة أو مدرسة أو أستاذ إنما صدرت عن الله رب العالمين الذي تولى محمدا {صلى الله عليه وسلم} برعايته لتكون هذه الشهادة وسام شرف وتكريم في جبين الدنيا ليعلم العالم كله من هو رسول الله الذي غيّر خريطة الدنيا وبهر التاريخ والذي تناهت إليه جميع الكمالات والمثل العليا والقيادة الرشيدة والقدوة الطيبة والأسوة الحسنة والذي زكى نفسه بالعمل وأعطى الحياة كل شيء، فحول منهجها إلى صورة مشرقة وضاءة تحمل كل معاني الخير وأسس السعادة وما يصلح المرء في دنياه التى تكون وصلة الى صلاح أخراه.

وبقدر هذا الجهد الذي بذله الرسول وبهدي من الله حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة لم يأخذ لنفسه شيئا لأنه عاش لأمته ولخير بني البشر فترك الدنيا - رضيَّ النفس - كيوم دخلها قانعا بقول الله {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}.

وفي حادث الإسراء والمعراج دروس وعبر لا تحصى، ويمكننا أن نستخلص من ثمراتها ما يمكن أن يفيد منه المسلمون اليوم في حياتهم وعقيدتهم وسلوكهم. فمن ذلك:

(١) التهيئة:

من المناسب أن يتهيأ الإنسان المسلم لأي عمل يقوم عليه، تهيؤا مناسباً كما حدث مع النبي {صلى الله عليه وسلم} قبيل حدوث الإسراء والمعراج.

وقد أشار القرآن الكريم والسنّة المشرّفة إلى شق صدره الشريف مرات منها ما كان قبيل الإسراء والمعراج استعداداً لذلك الحدث الجليل. كما أشار القرآن إلى أنها حدث كوني يقترن بتسخير الكون لله فببقاء النجم في مساره، أو هويه منه هو بأمر الله، وتسخير الأرض والسماء هو إشارة الى أن كل الطاقات ينبغي أن تجند لخدمة الإسلام كما كانت مجندة ليلة إسراء النبي {صلى الله عليه وسلم} ومعراجه ذاك حديث الإسراء.

فأما أنها حدث له أوانه ودقة تأقيته، والأشخاص المتحركة قبله ومعه وبعده فيعيننا على تفهمه، أن نطوي حاجز الزمن من القرن الخامس عشر الهجري إلى ما قبل الهجرة بعامين، ثم نعيش الواقع، واقع الفئة المؤمنة الصابرة المؤملة في نصر الله، المتشبثة بدين الله على ما هم عليه من ضرٍ وأذى، وواقع الغالبية الكافرة في مكة المتربصة بالمؤمنين القاعدة لهم بكل مرصد، الصابة عليهم عذاب الهون، غير ملقية بالا لأنات بلال،

اعداد : أحمد أبو الدهب محمود
- مصـــر -

وآهات عمّار، وجوع سعد، وإصرار سُميَّة، وصبر ياسر، ثم النبي الكريم بمصابيه الداخلي والخارجي، الأول ممثل في خديجة الزوجة الوفية الحنون، والثاني في أبي طالب العم الذي حفظ الأمانة ورعاها، ودافع عنها برغم بقائه على دين آبائه.

في ظل هذه الظروف القاسية والمعاناة المريرة التي عايشها الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم}، امتدت اليه يد العناية الإلهية لتمسح عن قلبه الطاهر ما علق به من أدران الحياة وهمومها، فكان الإسراء من المسجد الحرام - أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين في مكة المكرمة الى المسجد الأقصى - أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين - في بيت المقدس في أرض فلسطين، ثم تلا ذلك معراجه {صلى الله عليه وسلم} من المسجد الأقصى الى السموات العلا، إلى حيث علم الله في مكان لم يجزه غيره من سكان الأرض أو السماء.

(٢) المحافظة على الصلاة:

إن الصلاة في حقيقتها وسيلة من وسائل التربية الإسلامية التى تغرس في قلب المسلم حقيقة الإيمان وتؤسس فيه الشعور الصادق برقابة الله عليه وتعوِّده طاعة أمره وامتثال حكمه والمبادرة الى فرائضه.

والمسلم يكتسب منها ثبات العقيدة وطمأنينة القلب والقوة في مواجهة أحداث الحياة فالإنسان بطبعه يجزع حين يمسه اليأس فينهزم ويغشاه اليأس والكآبة كما أنه بطبعه يتبطر إذا مسه الخير والنعماء فيطغى وينسى حق الضعفاء ويظلمهم ويأكل حقوقهم.

فالحفاظ على الصلاة ورعايتها مقياس لصدق الإيمان، يثمر ثمرته ويعمل عمله في تثبيت العقيدة وتوجيه السلوك.

وقد يسأل سائل عن الحكمة في فرض الصلاة ليلة الإسراء والمعراج وقد أجاب العلماء على ذلك بأن النبي {صلى الله عليه وسلم} لما عُرجَ به الى السماوات رآها تموج بأصناف الملائكة الكرام الذين لا يحصيهم إلا الله سبحانه {وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر} (المدثر/٣١).

ورأى من عبادتهم أمرا عجيبا، فمنهم القائم فلا يقعد، والراكع فلا يسجد والساجد فلا يرفع رأسه فجمع الله له ولأمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص، والخشوع وهذا شيء وإن كان سبق به القضاء الأزلي إلا أن الله سبحانه أظهره بعد وجود ما يقتضيه، وفي اختصاص فرض الصلاة بهذه الليلة وكونها من غير وساطة بل بكلام الله من وراء حجاب وتشريف لها وبيان لعظم مكانتها في الإسلام.

وفي غداة اليوم التالي لليلة الإسراء والمعراج جاء جبريل إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} يعلمه كيفية الصلاة ويبين له أوقاتها فما أن زالت الشمس حتى أمر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فنودي بأصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل عند البيت: النبي يقتدي بجبريل، والمسلمون يقتدون بالنبي من ظهر هذا اليوم إلى فجر اليوم التالي. وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (ونزل جبريل فأمّني فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات) . وقيل إن جبريل عليه السلام صلى بالنبي يومين متتالين ليبين له الوقتين الأول والآخر لكل صلاة، فقد روي عن ابن عباس وجابر أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (وأمني جبريل عند البيت مرتين).

والصلاة التي يريدها الإسلام ليست مجرد أقوال يلوكها اللسان، وحركات تؤديها الجوارح، بلا تدبر من عقل ولا خشوع من قلب. ليست تلك التي ينقرها صاحبها نقر الديكة، ويخطفها خطف الغراب، ويلتفت فيها التفات الثعلب: كلا. فالصلاة المقبولة هي التي تأخذ حقها من التأمل والخشية واستحضار عظمة المعبود جل جلاله.

والصلاة التي يريدها الإسلام تمد المؤمن بقوة روحية ونفسية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا، ففي الصلاة يُفضي المؤمن إلى ربه بذات نفسه وإليه يشكو حزنه ويستفتح باب رحمته، وفيها يشعر المؤمن بالسكينة والرضا والطمأنينة.

ويشير تشريع الصلاة في السماء إلى أن الذي

يريد أن يصل إلى هذه المنزلة من القرب والتشريف، التي كانت للنبي من ربه، يستطيع أن يعرج اليه ويحظى بتكريمه بوسيلة أخرى غير وسيلة المعراج الذي رقي به النبي إلى حظيرة القدس، وهي المعراج الروحي، وإذا كانت المعارج تتفاوت قوة وسرعة فإن أقواها وأسرعها هو معراج الصلاة.

والإنسان حين يفزع إلى من هو أقوى وأشرف يكون ذلك في الغالب إما لطلب نجدة أو معونة وإما للأنس بحضرته، والله سبحانه وتعالى مالك الأمر كله، له العبادة ومنه المعونة على مقتضى قوله {إياك نعبدُ وإيَّاك نستعين}. ولهذا كان النبي {صلى الله عليه وسلم} يلجأ إلى الصلاة حين يريد الاتصال بالله بأي باعث من البواعث، فقد روى أحمد (أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر، أو حزنه أمر، فزع إلى الصلاة) وروى النسائي والطبراني والحاكم وصححه عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام قال «وجُعلَت قُرَّة عيني في الصلاة». فبالصلاة يعرج المصلي إلى الله لينال ما يريد.

(٣) المحافظة على المسجد الأقصى والسعي لتحريره من رجس اليهود:

كان بيت المقدس بفلسطين منتهى رحلة الإسراء ومفتتح رحلة المعراج، وهذا الحادث الفذ الذي يفتخر به العرب والمسلمون على السواء يجعل من فلسطين بلداً عربياً خالصاً بنص التاريخ. وكيف لا نقول انها بلد عربي وفلسطين قلب الوطن العربي وقد أقام بها العرب منذ فجر التاريخ القديم، فقد كان المناذرة في أيام الفرس والغساسنة في أيام الروم وقبل ظهور الإسلام بزمن بعيد يسكنون هذه الديار، فلما جاءت خلافة عمر - رضي الله عنه - وفتح فلسطين ودخل بيت المقدس تسلم مفاتيحها وصارت مسلمة.

وكانت فلسطين مكان ميلاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام جد العرب الأول وأول العرب المستعربة قبل ظهور إسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وعيسى ابن مريم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام حيث أمر الله تعالى ابراهيم أن يهاجر بزوجته هاجر وبولدها إسماعيل إلى واد غير ذي زرع عند بيته المحرم وقد أقامت هاجر بهذا الوادي مع ولدها إسماعيل فتجمع الناس حولها وأقام العرب بجوارها ولما شب إسماعيل عن الطوق وبلغ الرشد خطط مكة وكانت أرضا خلاء كلها جبال ورفع قواعد الكعبة «البيت الحرام» مع أبيه إبراهيم وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة البقرة {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم} (البقرة/١٢٧). وكان إبراهيم يحج البيت كل عام ليربط بينه وبين العرب برباط وثيق.

والمسجد الأقصى هو ثالث المساجد التي جوّز الإسلام أن تُشد إليها الرحال وهي المسجد الحرام في مكة المكرمة.. ومسجد الرسول {صلى الله عليه وسلم} في المدينة المنورة.. ثم هذا المسجد الأقصى.

ولعل وصفه بالأقصى إنما جاءه لأنه كان أبعد المساجد إذ ذاك عن موطن المسلمين، ولهذا المسجد الشريف مزايا جليلة وحرمة وقدسية تلتصق بالعقيدة الإسلامية أبلغ التصاق: فإليه أسري برسول الله {صلى الله عليه وسلم} من مكة المكرمة. ومنه كان معراجه إلى السماء ليتلقى كثيراً من مكملات رسالته الخالدة لاسعاد الإنسانية.

ولقد أبان لنا القرآن الكريم عن فضل المسجد الأقصى في فاتحة سورة الإسراء في قوله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} (الإسراء/١).

ومعنى المباركة - حوله - والله أعلم - سبق الإرادة الإلهية بجعله وجعل البقعة التي تحف به موضع تشريف وتكريم وإلهام للعظة وإشعار بالسلام والأمن والحياة الكريمة لمن يلمون به ويعيشون في رحابه، شأن كل الأماكن التي يهبها الله هذه المزايا وتلك القدسيات السماوية ويجعلها رمزاً ومصدراً للخير والإلهام

الروحي والسمو الإنساني فوق مستوى الحياة المادية وعمايات الغرائز المجنونة.

(٤) تطهير المجتمع من آفاته بالتوبة والإنابة:

إن مرئيات النبي [صلى الله عليه وسلم] ليلة المعراج تدلنا على أهمية قيام المجتمع المسلم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - في حدود الشرع الحنيف - من أجل تطهير المجتمع من الفساد. وأجدر بكل مسلم ومسلمة، أن تكون حياته كلها سلوكا عملياً لما دعانا إليه القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعمل صاحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وكل هذا قد احتوته معجزتا الإسراء والمعراج، وبه نستطيع أن نقيم المجتمع الإسلامي المتماسك المتحاب الذي ينعم بالخير والسعادة ويطهرنا من الانحلال ويمنع عنا عوامل التفكك ويقينا شرور الضعف والخذلان، ويهدينا إلى سواء السبيل.

من مظاهر الفساد التي تكشفت خلال رحلة المعراج:

١ - التثاقل عن الصلاة المكتوبة:

فقد أتي الرسول على قوم ترضخ رؤوسهم، كلما رضخت عادت كما كانت فقال يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

٢ - منع الصدقة:

ثم أتى على قوم، على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها. فقال: يا جبريل من هؤلاء.. فقال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا.

٣ - الزنا:

ثم تصور معجزة الإسراء الزناة والزواني في صورة كريهة بغيضة، في صورة إنسان لا عقل له.. لا يميز بين الطيب والخبيث، ولا يقدر إنسانيته كإنسان.. فتقول: ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدورهم، ولحم آخر نيء وخبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث، ويدعون النضيج الطيب.

فقال: من هؤلاء ياجبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة، فيأتي امرأة خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا، فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح.

٤ - قطع الطريق وإرهاب المجتمع:

فقد أتي على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا مزقته فقال: ما هذه ياجبريل..؟ قال: مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه.

٥ - الربا:

ثم تصور المعجزة آكل الربا في جواب جبريل للرسول حينما شاهد رجلا في نهر من دم يلقم الحجارة إذ يقول جبريل: هذا مثل آكل الربا.

وتصور الأمانات لدى من لا يقدر على حملها في صورة رجل قد جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها، ويريد أن يزيد عليها.

وأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتَّرُ عنهم فقال: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون.

وعنيت المعجزة بمحاربة الغيبة والنميمة والولوغ في أعراض الناس فصورتهم في هذه الصورة.

ومر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال: من هؤلاء ياجبريل..؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون من لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم.

وإذا كان لا يكبُّ الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم، فقد قدمت لنا معجزة الإسراء صورة زرية لمن لا يتحكم في لسانه، فتقول: ومر على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال: ما هذا ياجبريل..؟ قال، هذا الرجل من أمتك يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها فلا يستطيع ردها.

هذا هو الجانب الذي دعتنا معجزة الإسراء الى التخلص منه، لنطهر أنفسنا من الأمراض التي تعوق تقدمنا وتفكك أواصرنا، وتزعزع ثقتنا ببعضنا، وتمكن لعدونا منا.

يـا صـاحـب الإسـ

سبحان من بالنور قد أسرى

في رحلة صارت له نصرا

أسرى به الرحمن ترضية

وأراه من آياته الكبرى

فهو الذى أحزانه اشتعلت

وبدتْ عليه همومه الحرى

«فخديجة» السلوى قد ارتحلتْ

وهى التى كانت له ذخرا

والعم مات وكان ينصره

ضد العدا ويُهوّن الامرا

«وثقيف» قد رفضت شريعته

لما أتاها بالهدى نهرا

* * *

في عتمة الليل البهيم مضى

فوق «البراق» يحقق البشرى

في «القدس» حط الركب مبتهجا

والأنبياء تجمعت فخرا

وائتمت الرسل الكرام به

فى حضرة زادت به سحرا

ومضى ببحر النور منفردا

من ذا يساوى المصطفى قدرا؟

وهناك في ساح الرضا سكنت

منه الشجون وأشرقت بشرا

حياه رب العرش مكرمة

سبحان من بحبيبه أدرى

صلى عليك الله يا قمرا

ضاء الوجود وأسعد الدهرا

* * *

يا صاحب الإسراء معذرة

فلقد أضعنا القدس والمسرى

ظفرت به أطماع شرذمة

وبغت به واستزرعت شرا

حشدت لنا من كل زاوية

لكننا لخلافنا أسرى

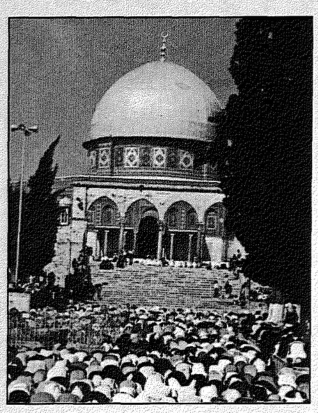
ـراء معـــذرة

شعر : رفعت عبدالوهاب المرصفي
- مصــر -

والقـدس - مـا عـادت مـصـيـبـتـنـا
فـمـصـائـب - حلت بنا - أخـرى
ونعـود نقـسـم - أن سنرجعُـهـا
من يا تـرى بـالوعـــد قـــد بـرا؟
القـدس تـبكي - من سـينـصـرهـا
ودمـوعـهـا شـقـت لـهـا مـجـرى؟
والمسـجـد الأقـصى يعـاتبـنـا
فـمـتى نقـيـم بـسـاحـه الذكـرى؟
والعـابرون لبـعـضـهـم وقـفـوا
وسـلاحـهـم لدمـائهم أجـرى
طالت سنون الحزن واحتدمت
بتنا كـمنْ يسـتـعـذبُ المرا

* * *

لكن نـصـــر الله ألمحـــه
يزهـو على وجـه المدى تبــرا
وغـداً بيـوم الفـتـح مـوعـدنـا
في القدس سوف نصحح الأمرا
سنذيقـهـم طعـم الجـراح لظى
ونقـيـم فـوق عظامـهـم جـسـرا



فـهـنـاك أطفـال لنـا عـبـروا
فـوق الجـراح وحطـمـوا القـهـرا
قـالوا بأن الأرض مـا عـقـمـت
أنعم بتلك الشـتـلة الصـغـرى
حـمـلوا تراب الأرض أسلحـة
صـبت على أعـدائهم جـمـرا
للنصـر هـم بشـرى قـد انطلقت
نحـو السـمـاء وأينعت زهـرا
آن الأوان لكـى نعـانقـهـم
وأظن تلك الجـولة الكبـرى

القصص النبوي | عن الجنة ونعيمها

الأشكال والصور:

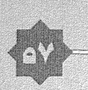
وإذا قلنا إن القصص النبوى ينفرد بالصور والأشكال البلاغية، فإن ذلك راجع إلى خصائص أثبتتها الدراسة العلمية والأدبية في وجود مميزات للنبي {صلى الله عليه وسلم} عن غيره من سائر العرب، ومن هذه المميزات على سبيل المثال: نشأته القرشية وإقامته في أم القرى ملتقى العرب جميعا، وواسطة العقد بين تجارة اليمن والشام، ورضاعه في بنى سعد، وأخواله في بنى زهرة، وتزوجه في بنى أسد، ومهاجرته إلى بنى عمرو وهم الأوس والخزرج، ولذا قال[١]: (أنا أفصح العرب، بيد أنى من قريش، ونشأت في بنى سعد بن بكر) وفوق ذلك وقبله عناية الله به وتأديبه (وعَلَّمَكَ ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) حيث آتاه جوامع الكلم، وكمال الخلق، وحسن المنطق وسداده، مما جعل أصحابه يتعجبون منه ويقولون: من أدبك، فيقول {صلى الله عليه وسلم} (أدبني ربي فأحسن تأديبى).

ومن خلال دراسة كلامه {صلى الله عليه وسلم} يتضح أنه[٢] (لم يكن في العرب، ولن يكون فيمن بعدهم أبد الدهر، من ينفذ في اللغة وأسرارها وضعا وتركيبا، ويستعبد اللفظ الحر، ويحيط بالعتيق من الكلام، ويبلغ من ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه {صلى الله عليه وسلم} ولا نعرف في الناس من يتهيأ له الأسلوب العصيّ الجامع المجتمع على توثق السرد وكمال الملاءمة، كما تراه في الكلام النبوى، وما من فصيح أو بليغ إلا وهو في إحدى هاتين المنزلتين دون ما يكون في الأخرى، على ما يلحقه من النقص فيهما جميعا، إذا تصفحت وجوه كلامه، وضروب الفصاحة فيه، واعتبرت ذلك بما سلف، وأبلغ الناس من وفق أن يكون في المنزلة الوسطى، بين منزلتيه {صلى الله عليه وسلم}.

أما القصد والإيجاز والاقتصار، على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه، ومن طبيعة الألفاظ في معانيها. ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام وجهتيه (اللفظية والمعنوية) فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية، حتى كأن الكلام لا يعدو فيها حركة النفس، وكأن الجملة تخلق في منطقه {صلى الله عليه وسلم} خلقا سويا، أو هى تنزع من نفسه انتزاعا. وهذا عجيب حتى ما يمكن أن يعطيه امرؤ حظه من التأمل، إلا أعطاه حظ نفسه من العجب، وإنما تم في بلاغته {صلى الله عليه وسلم} بالأمر الثالث. وهو الاستيفاء الذى يخرج به الكلام - على حذف فضوله وإحكامه ووجازته - مبسوط المعنى بأجزائه ليس فيها خداج ولا إحالة ولا اضطراب، حتى كأن تلك الألفاظ القليلة، إنما ركبت تركيبا على وجه تقتضيه طبيعة المعنى في نفسه، وطبيعته في النفس؛ فمتى



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -



وعاها السامع واستوعبها القارىء، تمثل المعنى وأتمه في نفسه، في حسب ذلك التركيب، فوقع إليه تاما مبسوط الأجزاء وأصاب هو من الكلام معنى[٣] جموما لا ينقطع به ولا يكبو دون الغاية، كأنما هذا الكلام قد انقلب في نفسه احساسا لنظر معنوى..
ولأمر ما قال أفصح العرب [صلى الله عليه وسلم] (أعطيت جوامع الكلم) وفي رواية (أوتيت) وكان يتحدث في ذلك بنعمة الله عليه).

وندلل على ما سبق بعرض بعض الصور والأشكال التى تعد نماذج تلهم البلاغة العربية، وتجدد الأدب كلما ضعف أو خفت جيلا بعد جيل، فهى صور وأشكال حية، عليها إلهام النبوة، ومسحة العناية الإلهية.

ومن هذه الصور والأشكال الأدبية الماثلة للعيان ما جاء في دعوة عباد الله للجنة فيما روي عن أيوب عن أبي قلابة عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: (قيل لى لتنم عينك، وليعقل قلبك، ولتسمع أذنك.. ثم قيل لي: مثلى ومثل ما جئت كمثل سيد بنى دارا..) القصة.

فيتضح الالهام في نوم العين، وعقل القلب، وسماع الأذن، ثم ذلك التصوير والتمثيل (سيد بنى داراً، ثم صنع مأدبة، وأرسل داعيا.. والله السيد، والدار الإسلام، والمأدبة الجنة، والداعي محمد [صلى الله عليه وسلم].

ومن الصور التى تعطي المعانى الكثيرة ولكنها بكلمات قليلة ما جاء في القصص النبوي: (يقول الله - عز وجل - أعددت لعبادى الصالحين، مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخرا بله ما اطلعتم عليه، ثم قرأ رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (فلا تعلم نفسى ما أخفي لهم من قرة أعين).

وقوله [صلى الله عليه وسلم] في وصف الجنة: (هي ورب الكعبة، نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد..)، (لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، بلاطها المسك الأذفر..)، (فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك) و(إن الله - تعالى - بنى الفردوس بيده) و(الجنتان بستانان في عرض الجنة، كل بستان مسيرة مائة عام..) و(في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض..) و(باب أمتى الذين يدخلون منه، عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا..) و(ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما).

ومن التصوير الرائع أمام باب الجنة: (فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها، فيقال: من هذا؟) و(آتى باب الجنة، يوم القيامة، فاستفتح، فيقول الخازن من أنت؟).

وفي تصوير مفتاح الجنة ما ينبيء عن البلاغة من حيث الإيجاز الذى يحتوى على المعانى الكثيرة، كقوله [صلى الله عليه وسلم]: (إنك ستأتى أهل الكتاب، فيسألونك عن مفتاح الجنة، فقل: شهادة أن لا إله إلا الله) وقوله: (مفتاح الصلاة الوضوء، ومفتاح الجنة الصلاة).

وفهم العلماء من المحدثين والفقهاء والمفسرين أن التوحيد هو المفتاح، وأن التكاليف الشرعية هى الأسنان التى تشترك في فتح باب الجنة وإلا لم يفتح.

وأى تصوير أروع، وأى بيان أسطع، وأى كلام أبلغ وأبرع من تصوير المؤمن من وقت احتضاره وخروج روحه وتشييع جنازته ودخوله القبر وسؤال الملكين له، ومرافقة عمله الصالح له، فيفرش له من الجنة، ويلبس من الجنة. وتصوير العبد الكافر كذلك

إلى أن يرافقه عمله، ويفرش له من النار، ويفتح له باب إلى النار (إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا.. وإن العبد الكافر..) القصة.

ومن الحقائق في تصوير قصور الجنة مالا يبلغه أي خيال.. يجاء (للرجل الواحد بالقصر من اللؤلؤة الواحدة، في ذلك القصر سبعون غرفة، في كل غرفة زوجة من الحور العين، في كل غرفة سبعون بابا، يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنة سوى الرائحة التى تدخل عليه من الباب الآخر) و(إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها) و(إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق) و(إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله، يرى ظاهرها من باطنها..) و(إن المتحابين في الله - تعالى - لعلى عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة) ويستطرد القصص النبوى إلى القول (فلولا أن الموت يرفع عن أهل الجنة لمات أكثرهم فرحا..).

ويربط التصوير النبوى صورة سلالم الارتقاء إلى درجات الجنة بما هو محسوس وموجود في الدنيا، وذلك يدفع إلى حماس المؤمن وإقباله على حفظ وتلاوة كتاب الله (درج الجنة على عدد آي القرآن، لكل آية درجة..) وفي الجنة (مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض).

ويصور القصص النبوى سحب وأمطار وأنهار الجنة وجبالها وأوديتها ففيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مُصَفًّى (هذه الأنهار تشخب من جنة عدن في جوبة، ثم تصدع بعد أنهارا) وروي عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجرى في أخدود في الأرض، والله إنها لتجرى سائحة على وجه الأرض، حافتها قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر.

وهذا التصوير الحقيقى لأنهار الجنة لا يتأتى لأنهار الدنيا، ويعجز الخيال الأدبي عن إبداع أنهار تسيح على وجه الأرض، حافتها قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر، (وأنهار في الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال المسك) و(إن في الجنة نهرا يقال له البيدخ، عليه قباب من ياقوت، تحته جوار، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيتصفحون تلك الجوارى، فإذا أعجب رجلا منهم جارية مس معصمها فتتبعه).

اما سحب الجنة وأمطارها فإنها تمطر بما لذ وطاب، مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين (فيأتيهم مثل السحابة.. فيقولون: أمطرى علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم).

وينقل القصص النبوي في صور حية، وتجسيم محسوس بأسلوب بلاغى نافذ الى الوجدان ومثير للشعور، وملفت للتأمل والنظر، وذلك حين يصف طعام وشراب وآنية أهل الجنة. (أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت) و(إن الله - عز وجل - يقول لأهل الجنة.. فيأتى بثور وحوت، فيجز لأهل الجنة) و(.. طعامهم ذلك جشاء كريح المسك) و(إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الشراب من شراب الجنة، فيجيء الإبريق: فيقع في يده فيشرب، ثم يعود إلى مكانه) و(إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع.. تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك، فيضمر بطنه) و(.. فإن البول والجنابة عرق يسيل من تحت

ذوائبهم إلى أقدامهم) و(٠٠ إن له لثلاثمائة خادم ويُغْدا عليه كل يوم ويراح بثلاثمائة صحفة٠٠ في كل صحفة لون٠٠ وإنه ليقول: يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة[٤]) و(إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة٠٠) والكوثر الذى يشربون منه في الجنة (أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر٠٠) و(إنك لتنظر إلى الطير في الجنة، فتشتهيه فيجيء مشويا بين يديك) و(يقع على خوانه لم يصبه دخان، ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع) ، و(إن في الجنة طائرا له سبعون ألف ريشه) وطير تصطف وتقول: (يا ولى الله رعيت في مروج الجنة تحت العرش، شربت من عيون التسنيم) و(إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم٠٠)٠

ويصور القصص النبوى أشجار الجنة وثمارها، بل إن القصص النبوى ينقل ما في الجنة بأسلوب البلاغة النبوية، وجوامع الكلم المعجز للبشرية، ومن أين يتأتى لبشر أن يصف شجر الجنة أو زرعها وثمارها؟ ففى الجنة شجرة يقال لها طوبي: (هى تطابق الفردوس) تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة، تنبت على ساق واحد) العنقود في الجنة مسيرة شهر للغراب الأبقع، والحبة منه حجم جلد التيس، تشبع الرجل وأهله وعامة عشيرته٠ وماء الحبة مقدار دلو٠

وفي الجنة نخيل (لها جذوع من ذهب، وكرانيف من ذهب، وجريد من ذهب وأقماع من ذهب، وثمارها كالقلال، وألين من الزبد، وأحلى حلاوة من العسل)٠

وتصور البلاغة النبوية خدم وغلمان أهل الجنة، فالقيم الذى يستقبل الرجل عند دخول الجنة على درجة عالية من الحسن وجمال الهيئة (فلولا أنه عرفه نفسه لخر ساجدا من النور والبهاء والحسن) وتأتى إلى الرجل في الجنة (حوراء عيناء معها سبعون جارية، وسبعون غلاما، وعليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الحلل والجلد والعظم، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء وكما يرى السلك في الدرة الصافية، فيضرب بيده إلى نحرها فيقرأ ما في كبدها، فإذا هو مكتوب: أنا حبك، وأنت حبي، إليك انتهت نفسى، وذلك قوله: (كأنهن الياقوت والمرجان)٠

فما أبلغ وما أعذب وما أرق هذا الكلام النبوى الذى يعلم الإنسانية جمعاء مدى ما يبلغه الجمال والحسن في نساء الجنة، وهذه البلاغة، وتلك الصور - كما قلنا - إبداع وابتكار في البلاغه النبوية لم تسبق إليه، ولن يتأتى لمن بعده، وأنى لإنسانية بذلك والله - تعالى - يقول: (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)٠

ومن التصوير الأدبى الرائع الذى ينقل حقائق ما فى الجنة (لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها) و(يسطع نور الجنة، فرفعوا رءوسهم، فإذا هو ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها) ولو أن يدا من الحور دليت من السماء، لأضاءت لها الأرض كما يضىء الشمس لأهل الدنيا، فكيف بالوجه وبياضه، وحسنه وجماله٠

فهل في مقدور شعراء الغزل، وكتاب قصص العشق والغرام، من الرومانتيكيين وغيرهم في الشرق والغرب، أن يأتوا بهذه الصور، نقول مرة أخرى: وأنى لهم بمادتها في عالمهم؟ وأنى لهم ببلاغة ألفاظها وصوغها ونسق نظمها في لغاتهم، وإن وجدت في لغاتهم فأنى لهم بالإلهام وجوامع الكلم الذى أعطاه الله لأنبيائه عامة، ولمحمد (صلى الله

عليه وسلم} خاصة (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وقوله أيضا: (أنا محمد النبي الأمي - قال ذلك ثلاث مرات - ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه).

وينقل القصص النبوي صورا أدبية للغناء والطرب في الجنة لا يوجد لها مثيل في دنيا الناس، ففي الجنة (شجرة جذوعها .. فتهب لها ريح فيصفق فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه) والحور العين يتغنين بألوان الغناء، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا، فأجبن الجواري فلا يدرى أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر؟ والشجر يتحرك بكل لهو كان في الدنيا، والملائكة - أيضا - تغني لأهل الجنة، وكذا بعض الأنبياء (ليس من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل، فيأمره الله - تبارك وتعالى - فيأخذ في السماع) و(أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو .. ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدي وتحميدي) و(ثم نودي: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم).

ونكتفي بعرض هذه الصور الأدبية التي جمعت بعض الألوان من البلاغة النبوية والتي تصل إلى درجة الإعجاز[٥]، فقد بهر ببلاغته وفصاحته وبيانه أساطين البلاغة، المتمكنين من ناصية الفصاحة، وخاصة القريبين منه والمحيطين به، حين كان يخاطب الخاصة أو العامة، أو ما كان يمليه من كتب ورسائل على كتابه وتلك الميزة التي تميز بها النبي {صلى الله عليه وسلم} عن الشعراء، وقد كان النبي {صلى الله عليه وسلم} لا يقول الشعر ولا يقصد إلى معالجته، فبرع في غيره من فنون البيان والبلاغة وقد قيل: اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد، وأعسر من ذلك أن تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم، وقالوا: من تمنى رجلا حسن العقل، حسن البيان، حسن العلم، تمنى شيئا عسيرا.

يقول الرافعي[٦] ولو كان النبي {صلى الله عليه وسلم} شاعرا لذهب مذاهب العرب التي تبعث عليها طبيعة أرضهم، ولتكلف لها ونافس فيها .. وهذا أمر كما ترى يدفع بعضه إلى بعض، ثم لا يكون في جملته إلا أن ينصرف عن الدعوة، وعما هو أزكى بالنبوة وأشبه بفضائل القرآن، ولا من أن يتسع للعرب يومئذ بد، فيقرهم على شيء، ويجاريهم على شيء وينقض شعره أمر القرآن عروة عروة. ولذا قال تعالى: {وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين} .. ولذا قال {صلى الله عليه وسلم} «لما نشأت بُغضت إليَّ الأوثان، وبُغّض إليَّ الشعر، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين، فعصمني الله منهما، ثم لم أعد) .. وقد كان الشعر سجية في أهله، وأنه ليس من بني عبد المطلب - رجالا ونساء - من لم يقل الشعر غيره {صلى الله عليه وسلم} وانما كل ذلك تفسير طبيعي لقوله {صلى الله عليه وسلم} (أدبني ربي فأحسن تأديبي).

على أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد جمع عدا إجادة الشعر - بلاغة القول، وفصاحة اللسان، وحسن البيان، وحسن العلم، لأنه {صلى الله عليه وسلم} يمتاز عن بني الانسانية بانه تربى وتعلم في مدرسة اللطيف الخبير، ومن هنا اجتمعت له الخاصية في تجويد حسن البيان، والخاصية الإلهية في استكمال الصفات الأخرى التي هي مصدر الإعجاز البلاغي، الذي لا يقدر عليه فصحاء البشر، وهذا ما نستطيع أن نفهمه من أقواله {صلى الله عليه وسلم} (بعثت بجوامع الكلم) قال النووي:

جوامع الكلم فيما بلغنا، أن الله ـ تعالى ـ يجمع له الأمور الكثيرة، التى كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد، والأمرين ونحو ذلك. وفي رواية أخرى أنه [صلى الله عليه وسلم] قال: (أنا محمد النبى الأمى ـ قال ذلك ثلاث مرات ـ ولا نبى بعدى، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه) ومعنى ذلك أن كلامه اشتمل على حسن المطلع، أو ما يسمى ببراعة الاستهلال، وحسن الخاتمة، وأن محتواه ولبه خلاصة البيان الجامع، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إنى أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي الكلام اختصارا) وقد كان [صلى الله عليه وسلم] ينهى عن إطالة الخطب، ويوجز في خطبه. قال أبو الحسن المدائنى: تكلم عمار بن ياسر يوما فأوجز، فقيل له لو زدتنا، فقال: أمرنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بإطالة الصلاة، وقصر الخطب، ونهى عن الاسهاب، والتطويل في القول، حتى يكون القول مفيدا، يتحقق به الفعل. أما إذا طال الحديث فإن آخره ينسى أوله، ولا يكون ذا ثمرة مرجوة، وقد يدفع الى الملل والتكلف.

وقد روى عنه [صلى الله عليه وسلم] (إنَّا معشر الأنبياء بكَّاء) قال الجاحظ: ليس في ظاهر هذا الكلام دليل على أن القلة من عجز الخلقة، وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعا، وقد يكون القليل من اللفظ يأتى على الكثير من المعانى.

وهذا ظاهر في سائر كلامه [صلى الله عليه وسلم] في خطبه، ورسائله، وقصصه، ففى القصص الذى نحن بصدده يتجلى الأمر ويتضح في أطول قصة، وهى الإسراء والمعراج وكذا في القصة المتوسطة، كقصة (الأبرص والأقرع والأعمى)، وفي القصة القصيرة مثل قصة أيوب ـ عليه السلام ـ (بينما أيوب يغتسل عريانا) وغيرها.

فهذا القصص يتميز بالاختصار والإيجار، ولكنه يعطى المعانى الكثيرة، والصور الأدبية المتعددة، والأساليب البلاغية الموحية، على النحو الذى أشرنا إلى بعضه.

يقول الزمخشرى[٧] (ثم إن البيان العربي، كأن الله ـ عزت قدرته ـ مَخَّضَهُ، وألقى زبدته على لسان محمد [صلى الله عليه وسلم] فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل[٨]، وما من مصقع يناهزه إلا رجع فارغ السجل، وما قرن بمنطقه منطق إلا كان كالبرذون مع الحصان المطهم، وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضح في نقبة الأدهم قال ـ عليه السلام: (أوتيت جوامع الكلم) وقال: (أنا أفصح العرب بيْد أنى من قريش، واسترضعت في بنى سعد بن بكر).

والتصوير النبوى وان كان حقيقة لكن من الحقيقة ما يكون أبلغ من المجاز، وقد مثل علماء البلاغة بأمثلة منها قول جرير:

فغُضَّ الطرف إنك من نُمير

فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ـ للحديث صلة ـ

الهوامش:

(١) الرافعى: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣١٨.

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٣.

(٣) من قولهم فرس جموم إذا كان قويا.

(٤) يراجع هذا وغيره في مواضعه السابقة من هذا البحث.

(٥) كتابنا الإعجاز في البيان النبوي.

(٦) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣٤٢ (بتصرف).

(٧) الفائق جـ ١ ص ١١.

(٨) كناية عن العي.

صلة البديعيات بالمدائح النبوية

المديح النبوي «فنٌّ من فنون الشعر، ولون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنه لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والاخلاص»[١] مليئة بالإعجاب بشخصية الرسول محمد {صلى الله عليه وسلم} .

وقد عرف المدح النبوي منذ بعثة النبي عليه السلام إلى البشرية جمعاء هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا. عرفه الشعراء في عصر صدر الاسلام وفي العصور التي تلته، وأخذ منذ القرن السابع الهجرى ينافس الأغراض الشعرية الأخرى، ويبرز فناً من فنون الشعر على يد المتصوفين من الشعراء الذين اعتنوا به وأذاعوه[٢].

ومن أبرزهم في هذا المجال «البوصيرى» محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج (ت ٦٩٧هـ) صاحب «البردة» وهي من القصائد الطوال في مدح الرسول {صلى الله عليه وسلم} ومن بحر البسيط، وعلى روى الميم المكسورة، ومطلعها[٣]:

أمنْ تذكُّر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبت الريحُ من تلقاء كاظمة
وأومض البرقُ في الظلماء من إضم

يقول صاحبها في دوافع نظمها: «كنت قد نظمت قصائد في مدح الرسول {صلى الله عليه وسلم} منها ما كان اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني فالج أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه، فعملتها، واستشفعت بها إلى الله تعالى في أن يعافيني، وكررت إنشادها ودعوت، وتوسلت ونمت فرأيت النبي {صلى الله عليه وسلم} فمسح وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدت فيّ نهضة، فقمت وخرجت من بيتى»[٤]، وتعد البردة أهم القصائد بين المدائح النبوية «لجودتها وشهرتها ولكونها مصدر الوحي لكثير من القصائد في هذا الفن»[٥]. وقد حظيت البردة بعناية من عامة الناس وخاصتهم ولا سيما الشعراء الذين تزاحموا عليها وتناولوها مشطرين ومخمسين ومعارضين[٦].

ومن أشهر من عارضها منهم رواد البديعيات الذين برز على أيديهم فن البديعيات - وهى قصائد طوال تتضمن فنونا بلاغية، معظمها في مدح الرسول الأمين، ومن بحر البسيط، وعلى روى الميم المكسورة - وأولهم صفي الدين الحلي، وابن جابر الاندلسي، ومن تبعهما واحتذى حذوهما.

أما «ابن جابر» (ت ٧٨٠هـ) فقد شغف بالبردة، وشغل نفسه بمعارضتها، فابتكر فن البديعيات[٧] كما يقول صاحب المدائح النبوية[٨] وذلك في بديعيته المسماة «الحلّة السيرا في مدح خير الورى» التي مطلعها[٩]:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم
وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم
وابذل دموعك واعذل كل مصطبر
والحق بمن سار والحظ ما على العلم
سنا نبي أبي أن يضيعنا
سليل مجد سليم العرض محترم

وختامها:

لكن وإن طال مدحي لا أفي أبدا
فأجعلُ العذر والإقرار مختتمي

وتأثرها بالبردة ظاهر في شكلها ومضمونها، فهي في مدح الرسول {صلى الله عليه وسلم} وعلى وزن البسيط وروي الميم.

وأما الحلي (ت٧٥٠هـ) فقد تابع البوصيري في بردته ونسج على منوالها[١٠] في قصيدته البديعية المسماة «الكافية البديعية في المدائح النبوية» ومستهلها:

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم
واقر السلام على عُرْب بذي سلم
فقد ضمنتُ وجود الدمع من عدم
لهم ولم استطع
مع ذاك منع دمي

وتأثير البردة واضح في قصيدة الحلى هذه، وكلاهما تتفق في

بقلم : د. يحى بن محمد العطيف
جامعة الملك خالد - أبها

الغرض وهو المدح النبوى وفي الشكل أيضا.

ليس ذلك فحسب بل نجد الشاعرين متفقين حتى في دوافع النظم. يقول: الحلي في مقدمة شرحه على بديعيته - وكان قد عزم على تأليف كتاب في فنون البديع: «فعرضت لي علة. طالت مدتها، وامتدت شدتها، واتفق لي أني رأيت في المنام رسالة من النبي {صلى الله عليه وسلم} تتقاضاني المدح وتعدني البرء من الأسقام، فعدلت عن الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع أشتات البديع وتتطرز بمدح مجده الرفيع»[١١] فإذا قارنا بين الدافعين دافع نظم بردة البوصيرى ونظم بديعية الحلى - تأكدت الصلة بين القصيدتين، وقد أشار إلى ذلك من القدماء الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ) ومن المعاصرين صاحب البديعيات في الأدب العربي[١٣].

وأخذ الشعراء بعد الحلى يتسابقون في هذا المضمار مقتفين أثر بديعيته في غايتها العلمية وأثر «البردة» في غايتها الروحية ومنهم عز الدين الموصلي (ت ٧٨٩هـ) الذى نظم بديعية مطلعها:[١٤].

براعة تستهل الدمع في العلم
عبارة عن نداء المفرد العلم

ومنهم الذى قرر صلة البديعيات بالمدائح النبوية - متمثلة في البردة - في معرض حديثه عن أسباب نظم بديعيته قال: «فهذه البديعية التي نسجتها بمدحه {صلى الله عليه وسلم} على منوال طرز البردة»[١٥] ومطلعها:

لي في ابتدا مدحكم يا عُرْب ذي سلم
براعة تستهل الدمع في العلم

وتقع في (١٤٥) بيتا، وسماها «تقديم أبي بكر» وشرحها في كتاب يعرف «بخزانة الأدب وغاية الأرب»[١٦].

كل ذلك يثبت صلة البديعيات بالمدائح النبوية، ويقرر العلاقة الوثيقة بينهما، ويجعلنا نعد المدائح النبوية - ممثلة في البردة - عاملا من عوامل ظهور فن البديعيات.

للموضوع صلة

الهوامش:

١) المدائح النبوية: لـ زكى مبارك، ط/ مصطفى الحلبي (١٣٥٤ - ١٩٣٥م) ص ١٧.

(٢) انظر: الأدب في العصر المملوكي: د. محمد زغلول سلام - مطبعة دار المعارف (١٩٧١م) جـ١/ ٢٢٨ والمدائح: ص ١٧.

(٣) انظر: ديوان البوصيرى، تح: محمد كيلانى، القاهرة، ط/ ٢ ، (١٣٩٣هـ).

(٤) فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي - تح. د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، جـ٣/ ٣٦٨.

(٥) المدائح النبوية: ص ١٤١.

(٦) انظر: كشف الظنون، حاجي خليفه، بيروت، نسخة مصورة عن نسخة مكتبة المثنى ببغداد، جـ٢/ ١٣٣٦.

(٧) المدائح النبوية ص ١٦٨.

(٨) تباينت آراء مؤرخى الأدب والبلاغة في مبتكر فن البديعيات والسباق إليه فبعضهم يجعله ابن جابر الأندلسى (انظر: المدائح النبوية ص ١٦٨)، وفريق منهم يعدّه أمين الدين السليمانى المتوفى سنة ٦٧٠هـ (انظر: أنوار الربيع: ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادى، جـ١/٣١، ٣٢؛ وانظر: الصبغ البديعي: د. أحمد موسى ص ٣٧٧ وما بعدها؛ وانظر: عصر سلاطين المماليك: محمود رزق سليم، جـ ٦/١٥٨)، وجمهورهم يرى أن الحلي هو مبتكر هذا الفن ورائده (انظر: نفحات الأزهار على نسمات الأسحار: عبد الغنى النابلسى، ص ٣؛ وانظر: المفصل في تاريخ الأدب العربي، جـ١/١٩٣).

(٩) بديعية العميان: ابن جابر الأندلسي - المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ ص ٢٠.

(١٠) التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع: عز الدين الموصلي - مخطوط ورقة ٣.

(١١) النتائج الألمعية شرح الكافية البديعية للحلى. مخطوط. ورقة ٢ ,٣.

(١٢) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار: عبد الغني النابلسي - طبعة بولاق سنة (١٢٦٩هـ) ص ٣.

(١٣) البديعيات في الأدب العربي: على أبو زيد - مطبعة عالم الكتب ببيروت ط: الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص ١٧ وما بعدها.

(١٤) التوصل بالبديع الى التوسل بالشفيع. ورقة ٥.

(١٥) خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموى - طبعة بولاق سنة (١٢٩١هـ)، ص ٢.

(١٦) انظر في تحقيق اسم هذا الكتاب: مجلة المنهل، المجلد (٥٥)، العدد (٥١١)، رجب (١٤١٤هـ)، بحث «ابن حجة الحموى: حياته ومؤلفاته» لكاتب هذه السطور.

البحث العقلي في الجمالية

يجد المتتبع لتراثنا العربي آراء مستفيضة في ثنايا الكتب الأدبية بخاصة منها البلاغية على اعتبار أن جمال الفن اللغوي يكمن في بلاغة اللفظ. ولذلك كانت العرب تولي اهتماما بالغا بأبحاث جمالية اللفظ، ومن هنا كانت «البلاغة العربية هي علم الجمال الادبي عند العرب، ومن هنا ان مفاهيم البلاغة العربية وأسسها وقواعدها هي مفاهيم الجمالية الادبية في تراث العرب الفكري، كما تهيأ لهم أن يستخلصوها من روائع شعرهم وأدبهم»[١].

ومعنى هذا أن البحث في قيمة المعنى التجزيئي في صورته الخارجية والدلالي يتخذ من مجال علم الجمال الطبيعي أداة يحكم بها على التحام اجزاء النظم التي تكون شخصية القصيدة التي كان سبيلها التأثير والاقناع، وهو اكبر دليل على تواجد عناصر جمالية تشكل البذور الأولى من حيث كونها أساسا نظريا لمشهد الفن في علم الجمال العربي من منظور الرؤية الطبيعية الناتجة عن تأمل الكون المدرك في بساطته، وقد استمر هذا التيار الانفعالي بصوره الحسية حتى بعد مجيء الاسلام، الى فترة متأخرة من الحياة العربية، كان فيها المبدع والفنان على وجه العموم يولي اهتمامه للخير الضئيل من تصنع الكلام والارتكاز على الملمح الاشاري في حسن أداء اللفظ، فكان «مرماه البعيد أن يرسم النماذج المطلقة المثلى، ولم يكن يصور هذه الحالة الواحدة المعينة أو تلك، من الحالات الجزئية التي يزخر بها تيار الحياة الواقعة، فإذا وصف الشاعر العربي جوادا، أو ناقة، أو ما شاء أن يصف، وصفه كما ينبغي له أن يكون لا كما هو كائن بالفعل»[٢] وهو ما يؤكد انتماء الفنان العربي في إبداعه إلى الجمال المطلق.

لقد كان لجمال النطق، وحسن الاداء وعذوبة اللفظ وطرافة المعنى أثره البليغ، حتى يخيل اليك أنك أمام لغة الترف والزينة في شكلها المنمق من سجع وبديع، وهو اتجاه ساد معظم أساليب العصر بل حتى الحياة اليومية، حتى عادوا يغربون في حياتهم وتفكيرهم إغراب المهلبي[٣] بملاعقه، فبرز ما يسمى بمذهب التصنع والتصنيع الذي يعتمد التحذلق والتكلف في الأداء حتى اصبح جمال الكلمة في ذاته مفتاحا للأبواب المغلقة يفتح الطريق إلى مناصب الدولة، ويفتح الخزائن بالرزق الغزير. كان يكفي لصد الرجل عن قضاء غايته الا يكون موهوبا بالقول الجميل، كما يكفي لاقبال الدنيا بكل زخرفها على رجل أن يوهب القدرة على صياغة الكلام.. أن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها، وكأني أقضم حب الرمان الحامض لبغضي استماع اللحن، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبها فيعرب فأجيبه اليها التذاذا لما أسمع من كلامه[٤].

هذا جزء من كثير من عنايتهم بتزيين اللفظ ومراعاة تهذيبه وحسن تنقيحه وجزالته وسلاسته، وفي هذا ما يدل دلالة قاطعة على اهتمام العرب بالبيان في جماله اللفظي، ولعل اختلاط مفهوم البيان بالجمال وارد وبوفرة في اصطلاحاتهم اللغوية، فقد قال ابن الاثير: شيئان لا نهاية لهما هما البيان والجمال، ويبدو أن كل ما وضع البلاغيون من شروط في علمي الفصاحة والبيان كان في خدمة الجمال الفني[٥] لما فيه من تركيز على سلامة النطق وتنقية الجمال المطبوع من الجمال المصنوع وذلك بالاعتماد على الذائقة الفطرية التي لم تعرف التمويه والتشويه، فالكلمة المسموعة بفصاحتها تعدل زخارف الفن



بقلم : د. عبدالقادر فيدوح
معهد الآداب ـ جامعة وهران ـ الجزائر

العربي، لان كلا منهما يقوم على البناء الهندسي، وهنا يكمن جوهر التعامل الجمالي المميز في الذهنية العربية، وهذا أيضا ما يميز الشكل الخاص للوعي الجمالي العربي، ذلك أن مقولة الجمالي في هذا المضمار تعطي التعريف الشامل لحقيقة الوجود العملي الذي تنطوي طبيعته على مبدأ الانسجام[*] والتنسيق والتنظيم بين اجزاء العمل، ومن خلال هذه الاشارة يمكننا القول بأن النقد العربي القديم قد عرف التفكير الجمالي، وعرفه متصلا بالصياغة الادبية، وقائما على التناسب والتناسق، ومراعاة الآثار النفسية المترتبة على مواقع المعاني في المطالع والمقاطع، ومعنى ذلك أن التفكير الجمالي عند النقاد العرب كان شيئا له سماته الخاصة المتميزة من التفكير اليوناني في هذا الشأن[٦] غير أن هذا لا يقلل من شأن الغاية التي توصل اليها نقادنا القدامى بفضل الاضافات التي كانت تستند إلى معطيات مستمدة من البيئة العربية، ومع ذلك فإن في ثنايا كتبهم ما يشير الى امتلاك الرؤية الجمالية بالقدر الذى مكنهم حسهم المرهف، وذوقهم الطبيعي، كما يتضح من خلال هذه الآراء الانطباعية في أول أمرها، والتي يمكن إدراجها في منظورها السياقي العام، سواء ما كان منها معبرا عن طبيعة الجمال بالتصريح أم معبرا بالتلميح. وقد يلحظ المتتبع ذلك في وقفاتهم الطويلة عند تعرضهم للبلاغة لأهمية هذا العلم عندهم والذي قرنوه بالشعر، من ذلك أنهم كانوا يستحسنون اختيار الالفاظ وأداء التنغيم من خلال ما تقتضيه طبيعة التناسب بين القول والمقول، وهو شيء يمكن استنتاجه مما تحمله آراؤهم من تصورات خفية تلميحية ومن ذلك مثلا:

عبّر الاصمعي (ت ٢١٧هـ) عن موقفه بأن «الشعر ما قلَّ لفظه وسهل ودق معناه ولطف»[٧] «فلطف المعنى» تأكيد ضمني لمعنى الجمال في الشعر الذي تستجيب له رغبة المتذوق في استحسان النص، والشعور بالجمال هنا يعطي النص كماله القائم على اختيار الفاظه وصوره البيانية وهذا ما يبدو أيضا عند: أبي العباس ثعلب (٢٩٣هـ) حين يقول بالتحجيل مشترطا أن تكون مقاطع الأبيات صادرة صدورا طبيعيا عن مطالعها متناسبة معها وذلك بقوله: «والابيات المحجلة ما نتج قافية البيت عن عروضه، وأبان عجزه بغية قائله وكان كتحجيل الخيل[٨]، وإذا كان ثعلب لم يقل بالجمال صراحة ولا بالتناسب مصطلحا إلا أنه دلّ عليهما ضمنا، فحين طلب أن تنتج القافية عن العروض فقد طالب بالتناسب وحين ربط تحجيل الأبيات بتحجيل الخيل فقد أشار إلى الجمال ودل عليه بمثال من بيئته العربية[٩] وفي هذا إقرار يعبر عن سليقتهم وتصورهم الفطري للجمال.

وإذا أردنا أن نقترب من تصور نقادنا لهذه الظاهرة من خلال تعريفهم للشعر فإننا نجدهم - بدون استثناء - قد أفصحوا بشكل أدق عن رأيهم في إعطاء معنى الطبع والتكلف صورتيهما الدلالية لتحديد مجال لغة الشعر بالكيفية التي تؤثر في النفوس (جماليا)، من ذلك أن ظاهرة الطبع قد بسطت سلطانها على الثقافة النقدية، ولعل في رأي المرزوقي ما يبرهن على اهتمامهم بالطبع دون التكلف وربما كان تمسكه بالطبع ناتجا عن أمرين هامين:

أولهما: أن الطبع عنده صفة مائزة للتفرقة بين الشعر الجيد والشعر الرديء.

الثاني: أنه يركز على ما في الشعر من انسجام في التصور لأن الشاعر والمبدع على وجه العموم لا يعمل جهده الفكري في تصور الشيء بما يقع عليه حسه، وإنما بما تفرضه عليه الأطر الجمالية الفطرية، وذلك كما ورد في قوله مميزا بين الطبع والتكلف: «والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس وحركت القرائح أعملت القلوب، وإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها نبعت المعاني وردت أخلاقها، وافتقرت خفيات الخواطر إلى جليات الألفاظ. فمتى رفض التكلف والتعمل، وخلي الطبع المهذب بالرواية المدرب في الدراسة، لاختياره فاسترسل غير محمول عليه، ولا ممنوع مما يميل إليه، أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر، وعفوا بلا جهد، وذلك هو الذي يسمى المطبوع، ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدما متملكا، وأقبلت الافكار تستحمله أثقالها، وتردده في قبول ما يؤديه

إليها، مطالبة به بالاغراب في الصنعة وتجاوز المألوف إلى البدعة فجاء مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته وذلك هو المصنوع»[١٠].

إن مكانة الأطر الجمالية ماثلة بوفرة في سياق حديثهم عن فنيات التعبير التي تحدد جوهر اللفظ الفني، لذلك كان حديث نقادنا عن مقاييس الصيغة الفنية منصبا على مدى قدرة الشاعر على التصوير وفق الأسس الجمالية التي يتحكم فيها التناسب في بناء العبارة، ولنا أن نستشهد لهذا بكل ما ورد عنهم في أثناء تعرضهم إلى مكانة اللفظ في استحسان صورته السمعية بما تحمله من دلالة قصدية بحيث «يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النفس معنى، تتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه»[١١] معنى ذلك أن جميع أبنية اللغة في المنظور النقدي القديم كانت تقوم على أسس معمارية محكمة، لذلك أعطوا مكانة خاصة للذوق بخاصة التفضيلات الفنية للجانب الشكلي، والشاعر عندهم من كان يتمتع بالقدرة على اختيار الالفاظ، وقد تصوره ابن طباطبا (ت ٣٢٢هـ) كالنساج الحاذق الذي يفوف وشيه بأحسن التفويف وينير ولا يهلهل شيئا منه فيشينه[١٢].

إن التركيز على جمالية الأداء التعبيرى عند نقادنا القدامى والقائمة غالبا على مفهوم التناسب أو التناسق، كان بدافع وعيهم بأن ذلك يمد الصياغة اللفظية بالدفء والخصوبة، لكون القدرة الإبداعية هي قدرة على توفير هذا المفهوم - التناسب - فقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) يقسم كتابه تقسيما ثنائيا؛ فاعتمد أولا ذكر النعوت الواجبة في الشعر، ثم أتبعها بذكر العيوب، وكأنه بذلك قد حدد الأسس الجمالية التي يقوم عليها الشكل الشعري ببيانه للعيوب التي يجب تلافيها. وإن كان قدامة لم يذكر أيضا الجمال كمصطلح صريح إلا أنه قنن للصناعة الشعرية من خلال أسس ومعايير تعد من القيم الجمالية. فهو مثلا يشير في تعريفه لبعض الأساليب البديعية «كالتقسيم» و«المقابلة» و«التفسير» إلى مراعاة عدم الوقوع في المخالفة وضرورة المناسبة بين أقسام هذه الأساليب[١٣].

إن مراعاة التناسب بين الدال والمدلول في تاريخ الجمالية النقدية يبدو نسقا بالمعنى، من حيث إن السياق العام كان يفرض عليهم الممارسة التحليلية دون مراعاة التحكم الدقيق في وضع المصطلحات المفهومية التي تستجلي الحمولة المعرفية، والتي شكلت الدلالة اللفظية. لذلك كان شغلهم الشاغل توافر المطلب الجمالي في التنسيق بين الشكل ومضمونه. ونحن بذلك نستطيع أن نطلع على طبيعة هذا التناسق، والنص الإبداعي فيما يراه النقد القديم لا يؤسس وفق هذا المنظور وهو ما أشار إليه أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) حين تعرض لطبيعة الفاعلية الإبداعية بقوله: «فإذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعاني التي تريد نظمها في فكرك، واخطرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتى فيه إيرادها وقافية يحتملها، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقا وأيسر كلفة منه في ذلك، ولأن تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلسا سهلا ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجيء كزا نجاء، ومتجعدا جلفا. فإذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها، بإلقاء ما غث من أبياتها، ورث ورذل، والاقتصاد على ما حسن وفخم، بإبدال حرف منها بآخر أجود منه، حتى تستوي أجزاؤها وتتضارع هواديها وأعجازها»[١٤].

إن السياق المعرفي للجمالية العربية يقوم على المدركات الحسية إنطلاقا من انعكاس مواصفات الاستحسان والذوق والجمال من الأشكال على المضامين والجواهر في قوة مشاهدتها الحسية، عبر إيحاء اللفظة من المدلول الحسي الى المعنوي على حد ما جاء به جورجي زيدان بقوله: «وعندي أن الدلالة الحسية هي الأصل والمعنوية هي الفرع، حملت مجازا لتشابه في الصور الذهنية لأن المحسوسات أول ما يستلفت انتباه الإنسان، هي سابقة في ذهنه على المعنويات، لأنه في أبسط أحوال عيشه لم يكن في احتياج إلا للمعاني الحسية[١٥]. وهذا اعتراف ضمني على تغلب النظرة العقلانية للجمالية بخاصة عند ناقدنا عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) الذي

يزن مقدار التلقي الجمالي في الفن، بحمل الشيء على ما يشابهه بما يقتضيه ارتباط الأصل بالفرع (ولن يبعد المدى في ذلك ولا يدق المرمى إلا بما تقدم من تقرير الشبه بين الأشياء المختلفة فإن الأشياء المشتركة في الجنس المتفقة في النوع تستغني بثبوت الشبه بينها وقيام الاتفاق فيها عن تعمل وتأمل في إيجاب ذلك لها وتثبيته فيها، وإنها لصنعة تستدعي جودة القريحة والحذق، الذي يلطف ويدق، في أن يجمع أعناق المتناظرات المتباينات في ربقة، ويعقد بين الأجنبيات معاقد نسب وشبكة»، لأن ذلك في نظره يحتاج إلى «دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر»، ولن يتم ذلك بحسب اعتقاده إلا بتجاوز ما يحضر العين إلى ما يستحضر العقل، ولا يعنى بما تنال الرؤية بل يعنى بما تعلق بالرؤية[١٦]، وهنا يكمن كمال التصور بما يتصل وقوة الحدس بمعاينة الأجزاء في رؤيتها الجمالية الكلية.

فالجمال عند عبد القاهر قائم على البنية العقلية وفق معطيات وجوب جريان التفاضل في الكلام الفني، بمختلف قيمه الجمالية على مدار مقتضيات البديع، من حيث كون أن الحسن في النص قد يأتيه من جهة اللفظ، وقد يأتيه من جهة النظم، وقد يجمعهما معا على حد ما جاء في قوله: «وجملة الأمر أن هاهنا كلاما حسنه اللفظ دون النظم وآخر حسنه النظم دون اللفظ وثالثا ترى الحسن من الجهتين ووجبت له المزية بكلا الأمرين والإشكال في هذا الثالث، وهو الذي لا تزال ترى الغلط قد عارضك فيه، وتراك قد خفت فيه على النظم فتركته، وطمحت ببصرك إلى اللفظ، وقدّرت في حسن كان به، وباللفظ أنه للفظ خاصة»[١٧] وقد استدل على ذلك بالآية الكريمة «اشتعل الرأس شيبا» التي برهن البلاغيون - في نظره - على أن الحسن وقع بوجوب اختيار اللفظ ويقترح لذلك توزيعا يكون على النحو التالي:

اشتعل شيب الرأس

اشتعل الشيب في الرأس

اشتعل الرأس شيبا

فكان استنتاجه أن الفضل والاستحسان يعود دائما إلى القدرة على دلالة المبالغة في: اشتعل الرأس شيبا، لما في ذلك من تطابق بين البنية اللسانية والبنية النفسية، وعلى اعتبار أن كل ظاهرة في التوزيعتين الأولين تشوهان الباطن في حين كانت التوزيعة الأخيرة في حكم القيمة من الكلام الفني وليس للكلام التواصلي، وبوصفها أيضا - وهذا هو الأساس - بنية لسانية تطابق تمام المطابقة البنية النفسية. لذلك تمثلت في نظره عملية حسن التوزيع على مدار مقتضيات حسن جمال الدلالة عبر مستويات التأثير.

والرؤية الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني لا تتوقف عند هذا الحد وإنما تصل إلى مستوى الانسجام والتناغم بين أجزاء العمل. والتناسب في الكلام يبدو أمرا مسوغا في نفس المتأمل، ذلك أن من البين الجلي أن التباين في فضيلة الكلام ليس قائما على مجرد اللفظ، وأكثر من ذلك، فهو يستنكر هذا الموقف معتبرا الألفاظ لا تتغير حتى تؤلف ضربا خالصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب[١٨] وهذا النوع من التناسب في تفكير عبد القاهر له ما يبرره من حيث أنه انطلق من باب دعم أسس القيم البلاغية «ونحن لا نعدو الحق إذا قلنا إن نظرية عبد القاهر في النظم كانت نظرية في الصياغة الجمالية»[١٩]. وربما كان الدافع لموقفه المنطقي هذا نابعا من اتجاهه الذي حاول أن يرسي قواعده من خلال اقتران «النظم» بـ «علم النحو» بمستوياته اللفظية والتركيبية. وليس الجمال فيما يتصور إلا بما يتوخاه الدافع المثير للإعراب الذي يحدد مستوى القيمة الفنية لفاعلية التناسيق «وهكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، ذلك أن موضع الاستحسان ومكان الاستظراف والمثير للدفين من الارتياح والمتألف للنافر من المسرة والمؤلف لأطراف البهجة، أنك ترى بها الشيئين مثلين متباينين ومؤتلفين مختلفين[٢٠].

وباقترابنا من القرن السابع الذي عاش فيه حازم القرطاجني نكون قد ادركنا اهتمام النقاد في هذه الحقبة الزمنية، بسر صناعة النظم وقد اعتبره الدكتور

صفوت عبد الله الخطيب[٢١] الوحيد من بين المتأثرين بأرسطو الذى نظر إلى العبارة الشعرية من زاوية جمالية ونقدية تعبر عن قيمتها في البناء الشعري، ويبدو ذلك في تحديده لمنهج دراستها معتمدا قوله: «يكون النظر في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدال على الصور الذهنية في نفسه، ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه فى النفوس من جهة هيئته ودلالته، ومن جهة ما تكون عليه تلك الصور الذهنية في أنفسها، ومن جهة مواقعها من النفوس من جهة هيئاتها ودلالاتها على ما خارج الذهن، ومن جهة ما تكون عليه في أنفسها الأشياء التي تلك المعاني الذهنية صور لها، وأمثلة دالة عليها، ومن جهة مواقع تلك الأشياء من النفوس[٢٢] وفي هذا يقترب من طروحات أرسطو في أهمية شكل المضمون في الاستخدام الحسي لأبنية العبارة الموزونة وهو ما تأثر به حازم بشكل مفصل ودقيق اعتبارا من النظرة الكلية[٢٣] التي تحدد مسار الحركة الإبداعية وذلك بقوله: «ومعرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كلياته ضروب التناسب والوضع فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار وتوجد طرقهم في جميع ذلك تترامى إلى جهة واحدة من اعتماد ما يلائم واجتناب ما ينافر»[٢٤].

إن سبيل تحقيق الجمال في منظور حازم مبعثه قدرة التحكم في المتعة التي تخلقها الأشياء المتجانسة، وفي التناسب والتلاؤم تظهر قيمة الجوهر الفني في تنظيم شكل وتناسق محتواه وهذا في حد ذاته ينطوي على سلوكات النشاط البشري ومن هنا يتحدد مكمن النشاط الجمالي للمخيلة الإبداعية التي تبرهن على نفسها من خلال إيقاع الكون. فالتناسب - ومن هذا المنظور - هو القوة الخالقة للتصور في جميع النشاطات الاجتماعية والفنية، أو قل في ذلك إنه المنظور الذي يرى أن الكون انسجام في جميع مجالاته بدءا من مقول الكلام إلى ما يخلقه دوران الأرض في تنظيم حرثها. وهكذا نصل مع حازم إلى كون الانسجام صفة تدخل عالم التوحد بين الأشياء التي تحددها جميع العناصر الجمالية، معتبرا في ذلك نبض الكلمة إشارة أولية لبدء النشاط التشكيلي في ترنيماته وتحسين استدارة نطقها لأنها تفيض بحركة تناسب حركة خطوات النفس الوثابة في تموجاتها ونحن مأخونون بسحر الكلمة في انسجامها الخلاق وهو ما عبر عنه حازم بقوله: «ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلام بالنظر الى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما. ومنها، ألا تتفاوت الكلم المؤتلفة في مقدار الاستعمال، فتكون الواحدة في نهاية الاعتدال والأخرى في نهاية الحوشية وقلة الاستعمال ومنها أن تتناسب بعض صفاتها مثل أن تكون احداهما مشتقة من الأخرى، مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات أو تتماثل أوزان الكلم أو تتوازن مقاطعها ومنها أن تكون كل كلمة قوية كالطلب لما يليها من الكلم أليق بها من كل ما يمكن أن يوضع موضعها».

إن حازما هنا يحث المبدع والفنان على وجه العموم على التمعن في اختيار النطق المناسب لفضيلة الكلام على اعتبار أن ذلك أولى مراحل النشاط الجمالي، وفي ذلك تمرس وترويض للقول على حسن اختيار التوزيع، ومن هنا تكمن قيمة طلب الشيء وفق الحاجة وإعطاء الأمر ما يستحقه، وبما تقتضيه المكانة اللائقة به «والواقع أن أزهد الأعمال - في نظرنا - له صلة كبرى بالجمال، فالشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته التي تنطق بالجمال، أو تنضح بالقبح، ونحن نرى أثر تلك الصورة في تفكير الانسان وفي عمله وفي السياسة التي يرسمها لنفسه»[٢٥]، وفي هذا إشارة تطوير سلوكات البشرية بفضل تمكنها من تحقيق الانسجام وقدرتها على التحكم في نشاط الوعي الانساني وتماثل نبض الكون وفق جوهر ما يطمح إلى تحقيقه هذا الإنسان في

حقيقته النسبية «وهكذا يتسم موقف حازم بالايجابية في تأثره الجلي بالفلاسفة السابقين عليه في هذه القضية فهو لا يكتفي فقط كما قيل - بتقرير - «أن الجمال موضوعي وأن له أسبابا تلتمس في العبارة الأدبية وأسرارا تجعلها جميلة وأن من الممكن معرفة هذه الأسباب والاهتداء إلى هذه الأسرار والتعليل لها».

أقول لا يكتفي حازم بتقرير ذلك ولكنه يضع بناء نقديا لهذه الأسس ومنهجا للأخذ بها وتفسيرا لقيمتها الفنية والنفسية، وهذا يبرر القول بإيجابية الموقف الذي وقفه الرجل في تأثره بالفكر الفلسفي اليوناني حيث استقل التنظير في تطوير ما تداوله النقد العربي[٢٦].

الهوامش:

(١) د. ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ مؤسسة نوفل ١٩٨١ ص ٢٥.

(٢) د. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي دار الشروق ٢٧٩.

(٣) ولعل من الطرف التي تصور ذلك تصويرا أوسع من طريقة ابن الفرات في مأدبه ما انتهى اليه المهلبي الوزير المعروف من تصنعه في تناول طعامه فهم يذكرون أنه «كان إذا أراد أكل شيء بملعقة كالارز واللبن وقف من جانبه الايمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجا مجرودا، فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة، ثم يدفعها الى غلام آخر قام من الجانب الايسر، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الاولى، حتى ينال الكفاية لئلا يعيد الملعقة الى فيه دفعة ثانية، أنظر آدم ميتز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري جـ ١٩٦/٢.

(٤) القول لعمر بن عبد العزيز، ينظر د/ زكي نجيب محمود «تجديد الفكر العربي» ٢٣٢.

(٥) د. جميل علوش: النظرية الجمالية في الشعر العربي والافرنج مقال في مجلة الوحدة (المغرب) ص ٦٢.

(*) وقد خصه العرب بمصطلح التناسب في البلاغة العربية على اعتبار أنها في رأيهم تصحيح الأقسام واختيار الكلام وتصحيح الأقسام هو التناسب بعينه، كما ورد عنهم أن أبلغ الكلام ما تم إيجازه وكثر أعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه.

(٦) ينظر د. صفوت عبد الله الخطيب: نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية، مكتبة نهضة الشرق القاهرة ١٩٨٦ ص ٤٤.

(٧) المظفر بن الفضل العلوي: تحقيق نهى عارف الحسن، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٦ ص ١٠.

(٨) قواعد الشعر - شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي القاهرة ١٩٤٨ ص ٧١.

(٩) ينظر د. صفوت عبد الله الخطيب، نظرية حازم القرطاجني ص ٣٩.

(١٠) المرزوقي. شرح ديوان الحماسة، نشر أحمد أمين بالاشتراك، القاهرة ١٩٥٢ ص ١٢.

(١١) التهانوي كشاف اصطلاحات الفنون، دار قهرمان للنشر ١٩٨٤، ص ٢٨٤.

(١٢) ابن طباطبا، عيار الشعر، ص ٥.

(١٣) قدامه بن جعفر، نقد الشعر، ص ٥.

(١٤) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ١٤٥.

(١٥) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية، دار الجيل ط ١ ، ١٩٨٢، ص ٩٧.

(١٦) ينظر أسرار البلاغة، ص ص ١٢٢ - ١٢٩.

(١٧) دلائل الاعجاز.

(١٨) الأسرار، ص ٢.

(١٩) د. أحمد عبد السيد الصاوي، النقد التحليلي عند عبد القاهر، ص ٣١٩. (عن نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية).

(٢٠) الأسرار، ص ١٠٩.

(٢١) ينظر نظرية حازم القرطاجني النقدية في ضوء التأثيرات اليونانية، ص ١٨٤.

(٢٢) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص ١٧.

(٢٣) وهي نظرية اعتمدتها الدراسات النفسية في القرن العشرين، حين اعتبرت أن الكل يكون سابقا على الجزء في عملية الإبداع، فالشاعر إذ يبدع القصيدة يتقدم من الكل إلى الأجزاء (الأبيات) غير أن هذه النظرية على الرغم من حداثتها إلا أنها قوبلت بانتقادات، ينظر مصطفى سويف ٢٩٤ - ٢٩٦.

(٢٤) المنهاج، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢٥) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ص ٩٢.

(٢٦) صفوت عبد الله الخطيب، نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية، ص ١٩٧.

السنهوري باشا

*** ويتواصل الأستاذ الدكتور/ عمارة مع مجلته المنهل، في مجموعته الثقافية والفكرية، دراسة وتحليلا، في منهجية العالم، وموضوعية الباحث المفكر، الدقيق في تناوله وطرحه.. وهذا موضوع جديد للتواصل الفكري مع منهله وقرائها.. له الشكر والتقدير.**

الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري باشا (١٣١٣ ـ ١٣٩١هـ/ ١٨٩٥ ـ ١٩٧١م) هو أديب الفقهاء، وفقيه الأدباء، وعميد فقهاء القانون المدنى الحديث في العالم العربي، وصائغ العديد من دساتير الدول العربية التى استقلت حديثا، وواضع مقوماتها القانونية والدستورية التى أهلتها لدخول المنظمات الدولية.. وهو أحد أعظم القضاة في القرن العشرين، وصاحب الأحكام التي انتصرت لحريات الأمة ـ عندما رأس «مجلس الدولة» ـ بمصر ـ إبان مرحلة الغليان السياسى والاجتماعي التى سبقت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.. وفي مرحلة القلق الدستوري والقانونى التى أعقبت هذه الثورة.

وهو قبل كل ذلك، ومعه، إمام الفقه الإسلامي، الذى جعل رسالة حياته ـ منذ فجر شبابه ـ إحياء الشريعة الإسلامية، بالاجتهاد الجديد، لتتخطى أعناق القرون، وتعود المصدر الأول والأوحد للقوانين الحديثة في العالم الإسلامى، والمنبع الذى يغنى المنظومات القانونية المعاصرة بالدراسات المقارنة. ولتكون هذه الشريعة، وفقه معاملاتها المتجدد، الرباط الموحد لشعوب الشرق، والمزاج المميز للمدنية الإسلامية، وذلك حتى تعود الخلافة الإسلامية من جديد، في صورة جديدة، هي صورة الجامعة الشرقية، وعصبة الأمم الإسلامية.

ومع الفقه.. والقانون.. والأدب ـ وأيضا الشعر الرقيق والعميق ـ كان السنهورى فيلسوفا ومنطقيا.. يتناول المعانى العميقة والقضايا المعقدة والأفكار المركبة بأسلوب الأديب ومنطق الفيلسوف، فيفكك القضايا والمشكلات المركبة الى جزئياتها ووحداتها الأولية، ويقوم بالبرهنة على كل جزئية من جزئياتها، منتهيا إلى مقدمة منطقية فيها، ثم ينتهى إلى جمع المقدمات المنطقية جميعها، ليخلص إلى البرهان المنطقى في القضية كلها.. يصنع ذلك في حواراته.. وفي مؤلفاته.. وفي حيثيات أحكامه.. بل وحتى في التدريس لطلابه في كليات الحقوق، كان يعرض الفكرة بالصور المختلفة، ومن الزوايا المتعددة إثارة واجتذابا وإقناعا لمختلف المستويات والأفهام.. حتى قال عنه بعض الظرفاء: «إنه يحاضر بالقراءات السبع».

ومع الإمامة في كل هذه الميادين، كان زاهدا في عرض الدنيا.. متبتلا في محراب إتقان العمل العام.. حتى لقد كان ينصح الراغبين في المال والجاه أن يسلكوا إليهما طريق الإتقان في العمل، فيقول: «إن المال والجاه يسعيان إلى الشخص الذى يتقن عمله».

ومع هذه الإمامة والأستاذية والعظمة، كان صاحب خلق قويم، حتى لقد تحدث كثيرا عن أولوية الأخلاق والقلوب على العقول والإنجازات.. ولقد ارتقى على درب الخلق العظيم إلى مرتبة الأوابين، الذين يسارعون الى تغيير أفكارهم ومواقفهم عندما يرون الحكمة والصواب حتى ممن هم أقل منهم في المكانة والمنصب والسلطان.

خالفتْه مرة ـ وهذا نادر ـ محكمة النقض، في رأى ذكره في كتابه (الوسيط ـ في شرح القانون المدني) عن حجية الحكم الابتدائى القطعى إذا طعن فيه بالاستئناف.. فرأت المحكمة أن حجية هذا الحكم مؤقتة، توقف منذ الاستئناف.. وكان السنهورى يرى أن الحجية



بقلم المفكر الإسلامي :
أ.د. محمد عمارة ـ مصر

قائمة حتى يلغيه الاستئناف.. فذهب إليه المستشار محمود توفيق اسماعيل - نائب رئيس محكمة النقض - وحاوره.. فقال له السنهوري - بعد سماع حجته: «رأيك هو الأصح، وإذا تهيأ لى إصدار طبعة ثانية من (الوسيط) فسوف أعيد النظر فيما كتبت» فخرج المستشار محمود توفيق إسماعيل، ليقول:

- «هذه هى عظمة العالم في أسمى صورها».

كان أوَّابا.. مع أن التشريع والقانون والقضاء - في مصر والعالم العربي - يعيش على إنجازاته حتى الآن!.

ولقد عاش عمره المديد كما يعيش أصحاب الرسالات .. وكان صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله {صلى الله عليه وسلم} هو أسوته الحسنة.. وكانت تسيطر عليه فكرة أوجه الشبه بين «يُتمه» ويتم الرسول.. وأن طريقهما وعطاءهما - مع الفوارق الكبيرة - قبس من العطاء الإلهي، وأثر من إرادة الله.. حتى لقد اختار مقدمة لأوراقه الشخصية ومذكراته الخاصة، هذه الآيات.. والسطور:

بسم الله الرحمن الرحيم

{والضحى والليل إذا سجى. ما ودَّعك ربُّك وما قلى. وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى. ألم يجدك يتيما فآوى. ووجدك ضالا فهدى. ووجدك عائلا فأغنى. فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدث}. صدق الله العظيم.

«وأستطيع، مع احترامي العميق لمقام الرسول الكريم، الذى وجهت إليه هذه الآيات الشريفة، أن أقول مع القائلين:

نعم، لقد وجدنى الله يتيما فآوانى، ووجدنى ضالا فهدانى، ووجدنى عائلا فأغنانى، وإنى لباذل جهدى في ألا أقهر اليتيم وألا أنهر السائل..

وهأنذا، في هذه المذكرات، أحدّث بنعمة ربى»[١].

لقد كان يعيش بأحاسيس أصحاب الرسالات، الذين يوقنون أن الإرادة الإلهية قد وهبتهم ما وهبتهم ليكونوا رواداً للخير، ومنارات للحق، ومعالم على طريق الإصلاح.

ولد السنهورى بمدينة الإسكندرية في ١٩ صفر ١٣١٣هـ - ١١ أغسطس ١٨٩٥م - في أسرة فقيرة، لوالد - فقد ثروته - وعمل موظفا صغيرا «بمجلس بلدى الإسكندرية».. ولقد توفى والده سنة ١٩٠٠م - وهو في السادسة من عمره - تاركا أمه وسبعة من البنين والبنات.



د. عبدالرزاق السنهوري

ولقد بدأ السنهورى تعليمه في «الكتّاب» بتشجيع من والده.. الذى كان يقدم إليه «الجوائز» ترغيبا له في التعليم - ثم انتقل - بعد وفاة والده - إلى «مدرسة راتب باشا الابتدائية» التابعة للجمعية الخيرية الإسلامية - بالاسكندرية.. ومنها حصل على الشهادة الابتدائية.. ثم التحق «بمدرسة رأس التين الثانوية» فـ «المدرسة العباسية الثانوية» بالاسكندرية - ومنها حصل على شهادة الثانوية سنة ١٩١٣م .. وكان متفوقا طوال سنوات دراسته.. وجاء ترتيبه - في الثانوية - الثانى على جميع طلاب القطر المصري.

وفي المرحلة الثانوية (١٩٠٨ - ١٩١٣م) عشق الأدب واللغة، فلم يكن يقع بيده كتاب في الأدب أو اللغة إلا قرأه قراءة تمعن واستيعاب.. قرأ (الأغاني) للأصفهاني.. و(الأمالي) للقالى.. و(العقد الفريد) لابن عبد ربه.. وغيرها.. وكان يتردد على المكتبات العامة ومكتبة المعهد الدينى للاطلاع.. وحفظ - منذ ذلك التاريخ - كثيرا من عيون الشعر العربي، القديم منه والحديث.. ونشأ معجبا بالمتنبى (٣٠٣ - ٣٥٤هـ/ ٩١٥ - ٩٦٥م) ومتحيزا إليه، ومفضلا له على غيره من شعراء العربية.

وفى نفس العام الذى نال فيه شهادة الثانوية سنة ١٩١٣م التحق «بمدرسة الحقوق الخديوية» بالقاهرة - مرحلة التعليم العالى - الجامعى - وكانت الدراسة فيها باللغة الانجليزية.

وبسبب من رقة حاله الاجتماعية، وحتى يواصل دراسة الحقوق، جمع إلى الدراسة - بقسم المنتسبين - العمل موظفا بمراقبة الحسابات في وزارة المالية، إلى

أن تخرج من «مدرسة الحقوق» ونال درجة «الليسانس» سنة ١٩١٧م٠٠ وكان ترتيبه الأول على جميع الطلاب٠

وإبان دراسته للحقوق (١٩١٣ ـ ١٩١٧م) تفتحت ملكاته الأدبية، مواكبة ومعبرة عن مشاعره الوطنية والإسلامية٠٠ هذه المشاعر التى تكونت في تيار الوطنية والجامعة الاسلامية٠٠ فتلك هي مدرسة الزعيم «الوطنى ـ الإسلامى» مصطفى كامل باشا (١٢٩١ ـ ١٣٢٦هـ/ ١٨٧٤ ـ ١٩٠٨م) التى تأثر بها السنهورى في مرحلة التكوين٠٠ ولقد عبر عن هذه الحقيقة من حقائق تكوينه المبكر، فقال: «إن الجيل الذى أنا منه تتلمذ في الوطنية لمصطفى كامل، قبل أن يتتلمذ لزغلول (سعد زغلول) وإنى مدين بشعورى الإسلامى لرجال آخرين غير هذين الرجلين، أذكر منهم الكواكبى وجاويش وفريد وجدى، أما عبده وجمال الدين فلم أحضرهما في حياتهما، وتركا من الكتابة شيئا قليلا لم يمكنى من أن أتأثر بأفكارهما، ولكنهما تركا أبلغ الأثر في نفسى، ويعتبرهما العالم الإسلامى بحق أكبر المصلحين في العصر الحديث٠٠ لقد قلت لصديق ـ وأنا في الخامسة عشرة ـ إن أملى في الحياة قد تعيّن بين مصطفى كامل وسعد زغلول، والفرق بينهما: أن مصطفى كامل بدأ أن يكون وطنيا فجاءت عظمته من الوطنية، أما سعد فبدأ أن يكون عظيما فجاءت وطنيته من العظمة»[٢]٠

وكان يقرض الشعر أحيانا ـ وشعره رقيق وعميق ـ ولقد عبر عن اهتماماته العامة بشئون أمته، وعن انتمائه الإسلامي ـ وهو طالب بمدرسة الحقوق ـ إبان الحرب الاستعمارية العالمية الأولى سنة ١٩١٦م ـ أى في العام الذى كانت جيوش الاستعمار الغربى تزحف فيه على ولايات الدولة العثمانية فتلتهمها، وتعقد الحكومات الاستعمارية المعاهدات السرية لتمزيق ولايات الخلافة الإسلامية ووراثتها، وتطارد الزعامات الوطنية والإسلامية ـ عبّر السنهورى عن حال أمته ـ شعرا ـ فقال:

أأرضى أن أنام على فراشي
ونوم المسلمين على قتاد؟!
وأهنأ في النعيم برغد عيش
وقومى شُتتوا في كل واد
فلا نعمتْ نفوسٌ في صفاء
إذا نَسيتْ نفوسا في الصفاد[٣]

ولأن نفسه كبيرة، وهمته عالية، ومقاصده عظيمة، فلقد جعل من فقره ومعاناته الاجتماعية حوافز للسير الحثيث على طريق العظمة والعظماء٠٠ وعبر عن هذه الحقيقة من حقائق حياته فكتب يقول: «شيء يشترك فيه أكثر العظماء: حياة الشظف والفاقة التى عاشوها أول حياتهم، فنفخت في أخلاقهم روح الصلابة، وعوّدتهم مكافحة الشدة، فأذاقوا الحياة بأسهم بعد أن أذاقتهم بأساها»[٤]٠

وفي نفس العام الذى نال فيه السنهورى «ليسانس» الحقوق سنة ١٩١٧م عين في سلك القضاء ـ بالنيابة العامة ـ في مدينة «المنصورة» فرافقته ـ وهو في هذا المنصب الحساس ـ الهموم العامة لأمته، ولم يحبسه التخصص الدقيق في إطار القانون، فكتب بمذكراته ـ ٣٠ ـ ١٢ ـ ، ٣٠ ـ ١٠ ـ ١٩١٨م ـ عن الاجتياح الاستعمارى للدولة العثمانية، يقول: «أقرأ الآن تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر، ومقاومة الدول الأوربية لتركيا، واقتناصها ممتلكاتها واحدة بعد أخرى، وفرضها عليها شروط الغالب، سواء كانت غالبة أو مغلوبة، وما أظهرته أوربا من التعصب والجور، وما استحلته من ضروب الخيانة والغدر٠٠ كل هذا لم يدهشنى، وإنما يدهشنى أن أرى المسلمين يتعجبون مما أظهرته أوربا من الوحشية تحت ستار المدنية، كأنهم ـ أيقظهم الله من سباتهم يجهلون أن المدنية والإنصاف والعدالة والقانون ألفاظ مترادفة توجد في المعاجم وتسمع على ألسنة الساسة والكتاب، وإذا بحثت عن مدلولها لم تجده٠٠ إن الذى أصاب الدولة العلية من أوربا تم على وفق السنن الطبيعية٠٠ إنها مبررات الذئب للخروف الذى عكر عليه الماء٠٠ وعلى الخروف ـ حتى يأمن غائلة الذئب ـ أن يخلع قرونه التى تتفتت، وأن يتخذ له قرونا من حديد يستطيع أن يخرق بها أحشاء الذئب إذا حدثته نفسه بالاعتداء عليه»٠

وفي مدينة المنصورة، وأثناء عمله بالنيابة العامة، تفجرت أحداث ثورة مصر الوطنية الكبرى ـ ثورة سنة ١٩١٩م ـ فى سبيل الاستقلال الوطنى وإجلاء جيوش

الاحـتــلال الانجليــزى عن وادى النيل.. فلم تمنع حساسية الوظيفة القضائية الشاب الوطنى عبد الرزاق السنهورى من الانخراط في مواكب الثورة الوطنية، فكان من الدعاة إلى إضراب الموظفين، بل وتزعم هذا الإضراب، مع أن وظيفته كانت التحقيق مع الموظفين المضربين، وإيداعهم السجون!.

ولم يكن هذا بالغريب على السنهورى.. فقبل قيام ثورة ١٩١٩م - وهو موظف بالنيابة العامة - كان يكتب في مذكراته عن واجب الشباب إزاء الأمة ونهضتها ١٩/ ١٠/ ١٩١٨م فيقول: «أريد أن يفهم كل شاب أنه يحمل بعضا من المسئولية في سقوط أمته إن سقطت، ولا يكتفى بالتأفف والتحسر، فعلى هذا الشعور بالواجب يتوقف قسط كبير من الأمل في التقدم..».

لقد انخرط السنهورى في الثورة، التى قادها سعد زغلول باشا (١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ/ ١٨٥٧ - ١٩٢٧م)، فعاقبته السلطة الاستعمارية بالنقل من مدينة المنصورة إلى مدينة أسيوط - بصعيد مصر - فانتقلت معه وطنيته وثوريته إلى هناك.

ولقد انتبه السنهورى الى دور الثورة الوطنية، لا في تحرير الأرض من الجيوش المحتلة فقط، إنما في تحرير الإنسان.. بل وفي تحرير المرأة المصرية، التى فتحت مشاركاتها في الثورة أمامها باب الحرية والتحرير.. فكتب عن هذا البعد من أبعاد ثورة ١٩١٩م - في مذكراته - وهو بأسيوط في ٢٧/٣/١٩١٩م يقول: «قرأت اليوم في إحدى الجرائد أن بعضا من فضليات السيدات المصريات قمن بمظاهرة سلمية - بين المظاهرات التى تقام في هذه الأيام - ومررن بدور الوكالات السياسية الأجنبية.

لقد قرأت كثيرا عن هذه المظاهرات، ووقفت بنفسى على بعض تفاصيلها، فلم يؤثر فى نفسى شيء منها أكثر من تلك المظاهرة السلمية التى قامت بها فضليات السيدات المصريات. لقد شعرت المرأة المصرية الآن أنها عضو في الجمعية المصرية، فهى تحس بآلامنا وتتوجع لها».

وفي أسيوط .. لم تنس حدة الأحداث السياسية السنهورى المأساة الاجتماعية التى يعيشها الفقراء، فيكتب في مذكراته ٢٣/٢/١٩٢٠م يقول: «وقع نظرى - في الأسبوع الماضى - على مشهد لم أستطع أن أنساه حتى الآن .. كاد الليل ينتصف، فأبصرت في شارع كبير، في زاوية مظلمة منه، صبيين صغيرين قد انتحيا تلك البقعة من الأرض، وتوسد كل منهما ذراعى رفيقه، وناما كأنهما متعانقان. ولم يسع هذين المنكودين ما خلق الله من فراش وثير ورياش، فوسعهما بطن الشارع، ولم يجدا إلا أذرعتهما يتوسطانها، فناما في ذلك الشارع والناس تروح وتغدو ولا تكاد تشعر بوجودهما، والمنعمون في قصورهم ينامون ملء عيونهم ولا يشعرون أن في الأرض أشقياء».

وفى سنة ١٩٢٠م رُقي السنهورى من مساعد نيابه الى وكيل للنائب العام.. وفي ذات العام انتقل من العمل بالنيابة إلى تدريس القانون في «مدرسة القضاء الشرعى» وهى واحدة من أهم مؤسسات التعليم العالى المصرى التى أسهمت في تجديد الفكر الإسلامى الحديث والمعاصر - منذ إنشائها سنة ١٩٠٧م والتى درّس فيها وتخرج منها كوكبة من أعلام التجديد والاجتهاد.. وكان ناظرها يومئذ محمد عاطف بركات بك (١٢٧٨ - ١٣٤٢هـ/ ١٨٦١ - ١٩٢٤م).. وفي التدريس بها زامل السنهورى كوكبة من علماء العصر ومجدديه.. منهم الأساتذة أحمد إبراهيم (١٢٩١ - ١٣٦٤هـ/ ١٨٧٤ - ١٩٤٥م) وعبد الوهاب خلاف (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) وعبد الوهاب عزام (١٣١٢ - ١٣٧٩هـ/ ١٨٩٤ - ١٩٥٩م) وأحمد أمين (١٢٩٥ - ١٣٧٣هـ/ ١٨٧٨ - ١٩٥٤م) .. كما كان من تلاميذه في هذه المدرسة الشيخ محمد أبو زهرة (١٣١٦ - ١٣٩٤هـ/ ١٨٩٨ - ١٩٧٤م).

للدراسة صلة

الهوامش:

(١) عبد الرزاق السنهورى في أوراقه الشخصية) إعداد: د. نادية السنهوري، د. توفيق الشادى ص ٢٦ طبعة القاهرة - الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٨م.

(٢) الأوراق الشخصية، باريس في ٥/١٢/١٩٢٣م وليون في ١٥/٣/١٩٢٣م.

(٣) المصدر السابق، كفر الزيات سنة ١٩١٦م.

(٤) المصدر السابق، القاهرة في ٦/٨/١٩٣٤م.

الغُول والعنقاء والخلُّ الوفي

هناك بيتان لهما من الشهرة ما سار مسير الشمس في الأرض، وأحفظهما من قديم الزمان للشاعر صفي الدين الحلي، هما:

إني اختبرت بني الزمان فما بهم
خل وفي للنوائب أصطفي
فعلمت أن المستحيل ثلاثة
الغول والعنقاء والخل الوفي

وأخيرا قرأت للمتنبي في ديوانه هذا البيت:

وأغرب من عنقاء في الطير شكله
وأعوز من مسترفد منه يحرم

فغدوت أتساءل. ما حقيقة هذا الطائر؟ بل الغول والعنقاء هل لهما وجود في هذه الدنيا ثم انقرضا مع مرور الزمن، أم هما ذكر خرافة يذكرها أهل الاسطورة، وإن كانا ففي أي زمن من الازمنة، وفي أي مكان كان وجودهما، وفي أي بيئة عاشا وهل هناك أناس وشعوب يذكر معهم الغول والعنقاء؟ فبتتبعي لكتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميري وجدت عن العنقاء والغول كلاما شافيا، ولإتمام عجز البيت الأول ألحقت به الحديث عن الخل الوفي.

العنقاء:

قال الدميري في حياة الحيوان: العنقاء: من الالفاظ الدالة على غير معنى قال بعضهم هو طير غريب يبيض بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه. وقيل سميت بذلك لأنه كان في عنقها بياض كالطوق وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس.

وقال الغزويني: انها أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر، وكان في قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها الى أن سلبت يوما عروسا بحليها فدعا عليها حنظلة بن صفوان فذهب الله بها الى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء وهي جزيرة لا يصل اليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والجاموس والبقر وسائر أنواع السباع، وعند طيرانها يسمع لأجنحتها دوي كدوي الرعد العاصف والسيل، وتعيش ألفي سنة وتتزاوج اذا مضى لها خمسمائة سنة.

وأطال - يعني الغزويني - في النعوت أن العنقاء قد تصاد فيصنع من مخالبها أقداح عظام للشراب[١].

وقال العلامة أبو البقاء العكبري في شرح المقامات أن أهل الرس كان بأرضهم جبل يقال له مخ صاعد في السماء قدر ميل وكان به طيور كثيرة وكانت العنقاء به وهى عظيمة الخلق لها وجه كوجه الانسان وفيها من كل حيوان شبه وهي من أحسن الطيور وكانت تأتي هذا الجبل في السنة مرة فتلتقط طيوره، فجاعت في بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به ثم ذهبت بجارية أخرى فشكوا ذلك الى حنظلة بن صفوان فدعا عليها فأصابتها صاعقة فاحترقت. وكان حنظلة بن صفوان في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

قال الدميري: وذكر غيره أي - غير العكبري - أن الجبل يقال له فتح وسميت العنقاء لطول عنقها[٢].

الغول:

قال الدميري: الغُول: بالضم أحد الغيلان وهو جنس من الشياطين، وهم سحرتهم.

قال الجوهري: وهو من السعالي[٣] والجمع أغوال وغيلان وكل ما اغتال الانسان فأهلكه فهو غول والغول التلون قال كعب بن ابي سلمى رضي الله عنه.

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون في أثوابها الغول

ويقال: تغولت المرأة اذا تلونت ويقال غالته غول اذا وقع في مهلكة والغضب غول الحلم وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: اذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالاذان فان الشيطان اذا سمع النداء أدبر وله حصاص أي ضراط - قال النووي في الاذكار انه حديث صحيح أرشد {صلى الله عليه



عبدالله محمد أبكر
- جدة -

وسلم} الى دفع ضررها بذكر الله تعالى. والحديث رواه النسائي في سننه الكبرى، وروى مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال لا عدوى ولا طيرة ولا غول، قال: جمهور العلماء كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات وهي جنس من الشياطين.

وقال الدميري، وبهذا المعنى والذي ذهب اليه المحققون أن الغول شيء يُخَوَّفُ به ولا وجود أشياء له، كما قال الشاعر:

الغول والخل والعنقاء ثالثة
أسماء لم توجد ولم تكن

ولذلك سموا الغول خيتعور - وهو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب، وكالذي ينزل من الكوى في شدة الحر كنسج العنكبوت قال الشاعر:

كل أنثى وإن بدا لك منها
آية الحب حبها خيتعور

وقال قوم الغول ساحرة الجن وهي تتصور في صور شتى وأخذوا ذلك من قول كعب بن زهير رضى الله عنه.

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون في أثوابها الغول[٤]

الخل الوفي:

هل الناس تغيرت أم الزمان؟. فلقد عز وجود الخُلَّص من الإخوان، الذي يصدق ويصادق، يلازم وينادم، يفيد ويستفيد، يزيح ويريح، ينفع ويشفع، الذي يجيب النداء ويرضى ويرضي، ومن إليه تفضي، من تشعر مع وجوده أنك لا تحتاج الى صديق آخر، من يشاركك في الأفراح والأتراح، في الحلو والمر، في الصفو والكدر، في جميع الأحوال، ولا يتلذذ دونك بل يكون معك وكأنه منك، ويوافقك في الخلق والمعاملة.

يقول سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل.

ويقول الإمام الاوزاعي: الصاحب كالرقعة في الثوب إن لم تكن مثله شانته.

وقيل: صفة الصديق أن يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند النكبة ويحفظك في المغيب.

لا أقول خان الزمان أو لا يوجد فيه الصديق الوفي، ولكن بخل به وأصبح حصوله من الصعب، لذلك قيل: من ظن أنه يمكنه الاستغناء عن صديق فمغرور، ومن ظن أن وجوده سهل فمعتوه.

وقد شعر معاوية رضي الله عنه ببخل الزمان وعدم جوده بالإخوان الأوفياء، فقال: نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرىء وحائط، وأكلت الطعام حتى لم أجد ما أستمرؤه، وشربت الأشربة حتى رجعت إلى الماء، وركبت المطايا حتى اخترت نعلي، ولبست الثياب حتى اخترت البياض، فما بقي من اللذات ما تتوق إليه نفسي إلا محادثة أخ كريم.

أما نحن اليوم فنقول:

وما بقيت من اللذات
ألا محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كنا نعدهم قليلا
فقد صاروا اليوم أقل من القليل

وصدق من قال:

وليس لأحزان النساء تطاول
ولكن أحزان الرجال تطول

إن الإخوان كثير في هذا الزمن ولكن كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة

دعوى الإخاء على الرخاء كثيرة
بل في الشدائد تعرف الإخوان

وقد تكون الحياة صعبة بدون الإخوان الأوفياء، بل حتى قيل: لا تعد الحياة ما كان في فراق الأحبة. وقيل: كانت صرخة بشار بعد أن غرق في دجلة آخر أصدقائه السبعة، لا خير في الدنيا بعد الأصدقاء. ومما يقال أيضا في فقد الإخوان: من لا أخوان له لا أهل له، ومن لا ولد له لا ذكر له. وقال حكيم: من علامات الخذلان معاداة الإخوان، واستفساد الصديق من عدم التوفيق. وقيل في مواساة الإخوان ومساندة بعضهم بعضا وان الإنسان لا يسير بدون الإخوان، قيل: لن تجد ناجحا واحدا وصل إلى القمة بغير أن يستند إلى صديق وفي، أو زوجة محبة، أو حب إنسان، كل واحد مدين في حياته لأشخاص معروفين ومجهولين، مدوا له أيديهم عندما وقع على الأرض، أضاءوا له شمعة عندما احتواه الظلام، قالوا له كلمة حلوة ومطارق الحياة تنهال على رأسه، أعطوه ابتسامة عطف والدنيا تكشر عن أنيابها في وجهه.

ولا شك، فإنما الرجال بالإخوان
واليد بالساعد والبنان

فهل من سبيل إلى ود خل وفي، وأخ صادق كريم يكون بلسما على جراح الفقدان.

إني لأرجو اليوم أمرا عاجلا
والنفس مولعة بحب العاجل

الرئيس موسى بن ميمون (أبو عمران) وتعاليم التلمود

(٥٢٩ - ٦٠١هـ/ ١١٣٥ - ١٢٠٤م)

يعتبر اليهود موسى بن ميمون من أعظم أحبارهم حتى قالوا عنه «ما بين موسى (أي موسى بن عمران) وموسى (أي موسى بن ميمون) لم يوجد أعظم من موسى»٠٠ ولموسى بن ميمون مكانة عالية عند اليهود فهو أحد أهم شراح التلمود والتوراة على مدى العصور، ولا تزال تعتبر شروحه من الأسس الهامة التي ينبغي اتباعها ودراستها لدى حاخامات إسرائيل وحاخامات اليهود الأرثوذكس في كل مكان٠٠ كما يعتبر موسى بن ميمون أيضا أحد أهم فلاسفتهم وأطبائهم في العصور الاسلامية كلها٠

وكما يقول جارودي في كتابه: «الاسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر» عنه: «إن الفيلسوف اليهودي (أي موسى بن ميمون) هو حلقة من حلقات تطور الروحانية الأندلسية، ليس فقط لأنه كان يكتب بالعربية، بل لأنه يقدم مساهمته الخاصة، كالمفكرين المسلمين، مشتركا في الثقافة ذاتها، ومواجها المشاكل ذاتها»[٢]٠

وتقول كثير من المصادر أنه حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه، وخاصة الفقه المالكي، ودرس الفرق الإسلامية وأقوالها في الفترة التي أعلن فيها إسلامه في الأندلس أثناء الحكم الموحدي الذي فرض على اليهود أن يعتنقوا الإسلام، أو يرحلوا عن قرطبة، بسبب مكايد اليهود المتعددة ضد المسلمين، وخروجهم عن عهد الذمة الذي تمتعوا فيه بحرية واسعة، حتى تمكنوا وتولوا أعلى المناصب بما في ذلك منصب الوزارة الكبرى كما حدث لابن النغريلة إسماعيل بن يوسف، المكنى بأبي إبراهيم، ثم تولى بعده ابنه يوسف بن إسماعيل المكنى بأبي الحسين، والذي تولى أيضا منصب الوزارة في غرناطة اثناء حكم الأمير باديس، (عهد الطوائف)٠ وأدى ذلك إلى تسلطه وطائفته من اليهود على المسلمين واستهزائه بالإسلام، وكتابته رسائل تهاجم القرآن وتزعم تناقضه، مما أدى إلى أن يرد عليه ابن حزم، وثورة المسلمين العارمة ضده وضد طائفته التى تعدَّت كل حدود اللياقة، واستبدت، وطغت وتجبرت، فكانت النتيجة لذلك عدة ثورات ضد هؤلاء اليهود الفجرة، ثم التضييق عليهم في أثناء دولة الموحدين المعروفة بتسامحها مع الفكر الفلسفي والفرق المختلفة التي كانت تستظل تحت وارف حكمها٠ وما تزعمه دائرة المعارف الاسلامية التي وضعها المستشرقون، وروجيه جارودي في كتابه «الإسلام في الغرب»، ودائرة المعارف البريطانية، من أن حكم الموحدين كان شديد التعصب ضد اليهود والنصارى أمر غير صحيح، كما اتهموهم بضيق النظرة الدينية، ورفض الفلسفة رفضا باتا، وهو أيضا أمر مخالف للحقيقة حيث نرى الفيلسوف والطبيب ابن الطفيل يقدم أبا الوليد محمد بن أحمد بن رشد إلى الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن الذي أذهل ابن رشد بسعة معرفته في الأمور الفلسفية، وهو الذي طلب من ابن رشد أن يضع كتبا توضح فلسفة أرسطو وتيسر فهمها للناس٠٠ وعن طريق كتب ابن رشد عرفت أوروبا أرسطو وفلسفته٠

ترجمة موسى بن ميمون:

يعرف موسى بن ميمون لدى الغرب باسم Maimonides



بقلم: د٠ محمد على البار
مستشار الطب الاسلامي - جده -



(ميمونيدس) أي ابن ميمون باللغة اليونانية - وفي كتاب طبقات الأطباء - لابن أبي أصيبعة قال عنه ما يلي:

«هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي يهودي، عالم بسنن اليهود ويعد من أحبارهم وفضلائهم. وكان رئيسا عليهم في الديار المصرية. وهو أوحد زمانه في صناعة الطب وفي أعمالها، متفنن في العلوم، وله معرفة جيدة بالفلسفة، وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي يرى له ويستطبه، وكذلك ولده الملك الأفضل علي. وقيل إن الرئيس موسى قد أسلم في المغرب، وحفظ القرآن واشتغل بالفقه، ثم إنه لما توجه إلى الديار المصرية وأقام بالفسطاط بمصر ارتد».

وهناك خلاف طفيف في اسمه فهو في دائرة المعارف الإسلامية: موسى بن ميمون بن عبد الله القرطبي، وفي الأعلام للزركلي قال: «ورأيت اسمه على مخطوطة الرسالة الفاضلية من تأليفه: موسى بن عبد الله القرطبي، وسماه بروكلمان: موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق. ويعرف لدى اليهود باسم موشيه بن ميمن، ويقال عنه موسى هذا الزمان (موشيه هالزمان).

مولده ونشأته:

ولد موسى بن ميمون في قرطبة بالأندلس في ٣٠ مارس ١١٣٥ (٥٢٩هـ) وكان أبوه من أحبار اليهود ويعمل قاضيا في المحاكم اليهودية الدينية. ودرس موسى على يد والده والأحبار الموجودين في قرطبة الدين اليهودي كما درس اللغة العربية، وعلوم الفقه والقرآن على أيدى علماء المسلمين، كما تقول دائرة المعارف الإسلامية. وعندما تولى الموحدون أمر الأندلس ودخلوا قرطبة عام ١١٤٨م. وسنه آنذاك ثلاثة عشر عاما، أعلنت عائلته الإسلام وأبطنت الكفر.

قصة اعتناقه الإسلام:

تذكر دائرة المعارف البريطانية أن موسى بن ميمون نزح مع والده إلى فاس، في المغرب، بعد دخول الموحدين قرطبة، بينما تذكر دائرة المعارف الإسلامية

أنه بقي وأسرته في قرطبة لمدة إحدى عشر عاما وأنه تظاهر بالدخول في الإسلام في تلك الفترة وحفظ القرآن، ودرس الفقه المالكي (فقه الدولة آنذاك).. أما ابن أبي أصيبعة فيقول إن ابن ميمون دخل الإسلام في فاس، ولم يجزم حيث جعلها بصيغة التمريض (وقيل). وتعلّق دائرة المعارف الإسلامية على قصة إسلام ابن ميمون فتقول: «ويروي كل من ابن القفطي وابن أبي أصيبعة أن ابن ميمون اعتنق الإسلام وجهر به في الأندلس في حين كان يبطن اليهودية وذلك لكي يأمن الاضطهاد. واتهمه بعد ذلك في مصر رجل يقال له أبو الحرب بن معيشة، بأنه ارتد إلى اليهودية إلا أن مولاه (ولي نعمته) القاضي الفاضل قرر أن الذي يكره على اعتناق الإسلام لا يصح إسلامه، وهكذا أنقذ حياة ابن ميمون. ومع ذلك فإن روايتي ابن القفطي وابن أبي أصيبعة، وخاصة رواية الأخير التي أوردها في تحفظ كما يتضح من عبارته (وقيل) التي صدَّر بها روايته، لا يؤخذ منها أن لها أساسا تاريخيا وثيقا. وإذا تركنا جانبا ما في هاتين الروايتين من أقوال غير صحيحة عن ابن ميمون فإن الشريعة الإسلامية مع أنها لا تؤاخذ بشدة من يرتد مكرها عن الإسلام خوف الموت، تعتبر الرجل الذي يعتنق الإسلام، ولو بسبب الخوف مسلما حقيقيا، بمعنى أن خروجه عن الإسلام بعد ذلك يؤدي إلى إهدار دمه، ولعل أقطع دليل على عدم صحة إسلامه هو أنه أثناء الجدل العنيف الذي قام حول كتابه «دلالة الحائرين» والذي لم يترك فيه خصومه نقدا أو مثلبة إلا وصموه بها، لم يرمه أي واحد من غلاتهم بأنه اعتنق الإسلام، وكان لابد لهم من مثل هذا النقد لو أنه كان أسلم حقيقة إذ أن إسلامه لا يمكن أن يبقى سرا.

ومهما كان من قصة إسلام ابن ميمون وسواء صحت أو لم تصح، إلا أن ابن ميمون قد تأثر تأثرا كبيرا بتعاليم الإسلام وبقراءة القرآن، ودراسة الفقه الإسلامي، وخاصة الفقه المالكي والفرق الإسلامية، وخاصة الأشاعرة والمعتزلة والصوفية. ونرى صدى أفكارهم وآرائهم في كتبه وخاصة كتاب «دلالة الحائرين» التى سنتعرض لها فيما بعد.

سفر ابن ميمون وأسرته إلى فاس بالمغرب:

انتقل ابن ميمون وأسرته إلى فاس حوالي عام ١١٥٩م ورغم أن فاس بالمغرب كانت تحت حكم الموحدين، إلا أن الضغط على اليهود هناك كان أخف من الأندلس، حيث لم تحدث احتكاكات بين المسلمين واليهود، ولم يتول اليهود مناصب هامة في الدولة، ولم يعرف عنهم أنهم قاموا بتأليف الكتب، والرسائل في مهاجمة الإسلام والرسول والقرآن كما فعلوا في الأندلس. وفي فاس ازدادت ثقافة ابن ميمون الإسلامية كما درس كتب ابن رشد الفلسفية والطبية والفقهية (الفلسفية مثل كتاب «فصل المقال»، والطبية مثل «كتاب الكليات» والفقهية مثل «كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد»)، وتعلم الطب على أيدي أطباء من المسلمين هناك.

انتقال ابن ميمون إلى طبرية بفلسطين ودخوله مصر واشتهاره بالطب هناك:

ثم انتقلت الأسرة الى طبرية في فلسطين عام ١١٦٥م. وطبرية مركز هام لليهود لدراسة التوراة والتلمود، وقد تعمقت دراساته الدينية هناك، ولكنه وجد شظف العيش، ولم يطب له المقام فانتقل إلى مصر وسكن الفسطاط (القاهرة القديمة)، حيث كان اليهود وغيرهم يتمتعون بحرية شاملة في جميع شؤونهم وممارسة شعائرهم، وفي ممارسة التجارة والدخول في وظائف الدولة.

وارتفعت مكانة موسى بن ميمون الدينية لدى طائفته من اليهود في مصر، ولكن حالته المالية ازدادت سوءا بعد وفاة أبيه. ووفاة أخيه الجواهرجي غريقا في

مـركب هو وثروته. وقد كـان أخوه الثري من تجـارة المجوهرات، ينفق عليه وعلى الأسرة، فلما مـات انتقلت مسؤولية الأسرة إلى عميدها موسى بن ميمون فمارس الطب ولقي حظه وشـهرته فـيه. ومن حـسن طالعـه أن قـام بمداواة القـاضي الفـاضل «عبـد الرحـيم بن علي البيساني»[٣] فـأحسن إليه وقدمـه إلى صـلاح الدين وجعله طبيبه الخاص. وبعد فترة وجيزة استطاع أن يكون كـبيـر الأطبـاء في بلاط صـلاح الدين وبلاط ابنه الملك الأفضل علي بن يوسف ملك دمشق.

وكانت لموسى بن ميمون حظوة ومكانة لدى صلاح الدين ورجـال دولتـه، وجمـع من ذلك الأموال والضيـاع، ولم يكتف بذلك بل استـمر في معـالجة العـامة وأخذ الأمـوال البـاهظة منهم حـتى صـار من كـبـار الأثرياء. وكل ذلك بنـاء على عـقـيدته التلمـودية التي تـحـرم عليـه مـداواة الأغيـار (غـيـر اليـهـود) إلا إذا كـان في ذلك مصلحة لليهود، ولكنه يحرُمُ عليه مداواة أي من الأغيار مـجـانا، لأن المفروض في اليـهـودي المؤمن ألا يسـاعـد أحداً من الأغيار، ولا ينقذه، بل أنه إذا وجده في حفرة أو بئر وجب عليه وضع الغطاء عليه حتى يموت الأممي (غـيـر اليـهـودي).. وسـنناقش هذه النقطة بشـيء من التفصيل فيما بعد.

وارتفعت مكانة موسى بن ميمون في مصر وصار رئيسـا للطائفة اليهودية من سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) إلى سنة وفـاته ٦٠١هـ (١٢٠٤م) وعندمـا بلغ ابن مـيـمـون المكانة المرموقة تزوج وأنجب ابنا أسمـاه إبراهيم الذي صـار أيضـا من الحـاخـامـات، وله دراسـة في التـوراة والتلمود وإن كانت لا تذكر بالمقارنة مع أعمال أبيه.

وفاتـه:

توفي ابن ميـمـون عـام ٦٠١هـ (١٢٠٤م) بعد أن بلغ شأوا عظيما في الدراسات الدينية اليهودية وشهرة كبيرة في الطب رغم أن أعماله الطبية لم يظهر فيها أي أصـالة أو أبحـاث جـديدة إنمـا كـان ناقـلا وملخـصـا لأعمال من سبقوه[٤]، وكانت وفاته بمصر بالقاهرة، ثم نقل جثمانه حسب وصيته إلى طبرية ويعتبر قبره مزارا دينيا هاما ومقدسا لدى اليهود (الأرثوذكس) إلى يومنا هذا (نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية).

كتب ابن ميمون:

لقد كتب ابن ميـمـون العديد من الكتب في الطب والفلسفة والدين. وقد كتب معظم كتبه باللغة العربية التي كان يجيدها، ربما أكثر من اللغة العبرية، وكانت ثقافته الأساسية بواسطتها ويمكن تقسيم كتبه إلى مجموعتين هامتين: الدينية الفلسفية والطبية.

المجموعة الدينية الفلسفية:

بما أن ابن ميمون نشأ نشأة دينية وكان أبوه أحد القـضـاة في الكنيست اليـهـودي فـإن اتجـاهاته الأولى انصبت على دراسة التوراة والتلمود. وقد بدأ التأليف مبكرا كما تقول دائرة المعارف البريطانية حيث وضع رسـالة في المصطلحـات المنطقـية والدينيـة وهو لا يزال في قرطبة وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة، ثم وضع رسـالة في تقـويم الشـهـور والأيام وكـلاهمـا باللغـة العربية، وفي سن الثالثة والعشرين بدأ بكتابة تعليقات وشـروح على متن التلمـود (المشنا)، وسـمـاه كـتـاب السراج وأنهـاه بعد عشر سنوات، والتلمود هو أقوال كبـار الأحـبـار وفـيـهـا القـرارات والقـوانين (هـلاكـاه) والقـصص. وله أهمـيـة عندهم تعدل أو تفـوق تعـاليم التـوراة ذاتهـا. وبمـا أن جـهـود مـوسى بن مـيـمـون انصـبت طوال حـيـاته على دراسـة التلمـود ووضع الشـروح له فـإنه من المناسب هنا أن نذكـر نبـذة عن التلمود.

نبذة عن التلمود:

ينقـسم التلمـود[٥] إلى متن ويسـمى مـشنـا، وشروح وتسمى الجمارة. وقد كتب المشنا كبار اليهود

من طائفة الفريسيين وأولهم الحاخام هليل (سنة عشرة بعد الميلاد)، ثم الحاخام عقيبا المتوفي سنة ١٣٥م، ثم الحاخام يهوذا هاناسي الذي جمع الأقوال المنثورة غير المرتبة في كتاب عرف باسم مشنا يهوذا هاناسي. وقد استغرق عمله هذا أحد عشر عاماً (١٨٩ - ٢٠٠م) في مدينة صبورة بفلسطين، وصارت العمود الفقري للتلمود. ويتكون المشنا من ستة مباحث (سيداريم) وهي كالتالي:

١ - زيرائيم: أي كتاب الزراعة والفلاحة.

٢ - موائيد: أي كتاب الصيام والأعياد وما شابهها.

٣ - نشيم: أي كتاب المرأة أو أحكام الزواج والطلاق. والمرأة محتقرة عندهم وهي سبب الشرور ومنبع الآثام وهي نجسة في أيام حيضها ومن يجلس على فراشها وهي حائض يكون نجسا لمدة سبعة أيام. وشهادة مائة امرأة لا تعدل شهادة رجل واحد. وليس للزوجة شيء من ميراث زوجها بل تكون هى موروثة (مثل عرب الجاهلية) والبنت لا ترث من أبيها شيئا إذا كان لها أخ ذكر.

٤ - نيزكين: أي كتاب الجنايات والمعاملات وفيها وجوب الربا عند معاملة الأغيار (غير اليهود) وعدم جوازه عند معاملة اليهود. واعتبار جميع الأغيار وثنيين يجب قتلهم في أقرب فرصة ممكنة ولا تجوز بأي حال مساعدتهم وإنقاذهم.

٥ - كوادشيم: أي المقدسات وهو مختص بالصلوات.

٦ - طوهاروت: أي الطهارة وفيها أحكام الطهارة والنظافة والمياه والاغتسال والاستنجاء.. الخ وهناك اثنتا عشرة رسالة صغيرة أضيفت إلى مشنا يهوذا هاناسي على مدى العصور والأجيال، وتعتبر أفضل طبعة ظهرت للمشنا هي طبعة روم التي نشرت في فيلنا عاصمة شمال بولندا عام ١٨٨٦. ووضعت فهارس لكلمات المشنا ومن أهمها فهرس كاسوسكي الذي نشر في فرانكفورت عام ١٩٢٧، كما قام هربرت دوبي بترجمة المشنا الى اللغة الإنجليزية مع بعض الحواشي عام ١٩٣٢.. وعادة ما يُحذف من الترجمات الشتائم المقذعة للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الذي يسميه التلمود يسوع الناصري، وكذلك الشتائم المقذعة للنصارى.

الجمارة:

وللمشنا شرحان كبيران يعرفان باسم الجمارة البابلية التي كتبت بواسطة اليهود في العراق ببابل، وجمارة فلسطين (أو جمارة أورشليم) التي كتبت بواسطة الأحبار الذين كانوا في فلسطين.. وقد قام بكتابة الجمارة الفلسطينية ست طبقات من أحبار اليهود في فلسطين يعرفون باسم الأموارائيم أي شراح الشريعة. واستغرقت تلك الكتابة أكثر من مائتي عام (٢٢٠ - ٤٣٠م) وتسمى الجمارة الفلسطينية مع المشنا «التلمود الفلسطيني» أو «تلمود أورشليم» وكان أول من بدأ بشرح المشنا الذى وضعه يهوذا هاناسى هما ابناه الحاخامان جمائيل (جمال الليل) وسيمون، ثم تتالت الطبقات، وكان من أشهر هؤلاء الحاخام يوحنان وهو من أحبار مدرسة قيصرية التي أسهمت بقسط وافر في وضع الجمارة الفلسطينية. وتعترف دائرة المعارف اليهودية العالمية (Jewish Universal Encyclopedia) بأن هناك حذفا وتغييرا في طبعات التلمود الفلسطيني، وذلك بسبب إهمال النساخ ووقوعهم في كثير من الأخطاء، والسبب الثاني تزييف متعمد. وذلك لأن الطبعات الأولى من التلمود أثارت حقد النصارى في أوربا وأدت إلى اضطهاد شديد لليهود بل وإلى طردهم من بعض البلدان لما يحتويه التلمود من شتائم وسخائم وقاذورات ضد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وأنه ولد زنا أتت به مريم من زناها بيوسف باندارا، وأنه ساحر كذاب مرتد عن دين اليهود، ويعبد الأوثان، الى آخر

قائمة الاتهامات الزائفة الباطلة.. كما أن فيه شتائم مقذعة للنصارى وأنهم خنازير نجسة يجب قتلها في أقرب فرصة ممكنة، وأن على اليهود أن يعاملوا النصارى كحيوانات دنيئة غير عاقلة، والكنائس المسيحية في مقام القاذورات، والواعظون فيها كلاب نابحة.

ولهذا واجه اليهود المذابح والطرد في إيطاليا عام ١٢٤٢م وعام ١٥٤٠م، وفي بريطانيا عام ١٢٩٠م، وفي فرنسا في عهد لويس التاسع، ثم في عهد فليب الوسيم، وفي عام ١٣١٤م طرد اليهود من فرنسا بحيث لم يبق فيها يهودي واحد، ثم عادوا مرة أخرى تدريجيا وأعيد طردهم في عام ١٣٩٤م، وفي أسبانيا وقعت مذابح متكررة لليهود منذ عهد الملك فرديناند وزوجته إيزابلا عام ١٤٩٢م، واضطر اليهود إلى إعلان المسيحية والارتداد عن اليهودية ظاهرا كما هاجر الآلاف منهم إلى الدولة العثمانية وإلى المغرب العربي.

لهذا كله فإن التلمود أصبح محصورا بين الحاخامات، ولا توجد منه نسخ متوفرة في المكتبات العامة أو للبيع إلا على نطاق محدود. والتلمود بشقيه البابلي والفلسطيني كتاب ضخم في ٣٥ مجلدا ويقوم الحاخام شتاينز إلتز في إسرائيل بطبع النسخة العبرية وذلك منذ عام ١٩٦٠م ويظهر كل عام مجلد واحد يوزع على أحبار اليهود فقط بالاشتراك.. ولست أدري إن كانت طباعته قد تمت أم لا وكنت قد سألت أحد حاخامات نيويورك، وهو دافيد بليش أستاذ الفلسفة والقانون التلمودي في عدة جامعات أمريكية، عن التلمود وعدم توافر نسخه، عندما التقيت به في المغرب بأغادير، في ندوة الإنجاب التي نظمتها الأكاديمية الملكية المغربية في نوفمبر ١٩٨٦م، فأجاب بأن التلمود كتاب صعب ولا يمكن أن يفهمه غير أحبار اليهود، ولا حاجة لغير اليهود بدراسته، وإذا درسوه فلن يفهموه.

أما الجمارة البابلية فكان أول من بدأ بكتابتها الربّي آشي المتوفي عام ٤٢٧م وقد شرع في كتابتها سنة ٣٩٧م وتتالت الطبقات من الأحبار الذين كتبوا الجمارة البابلية وكان آخرهم الربي بارشوميل الذي انتهى من عمله عام ٤٩٩م.

واستمرت التعليقات والحواشي على كلا التلمودين البابلي والفلسطيني إلى العصور الحديثة، ويسمي الحاخامات الذين كتبوا الجمارة الآمرين (المستبدين Dictators) لأن أوامرهم لا تعصى، وتسمى الطبقة التي بعدهم طبقة أصحاب الرأي أو المجتهدون (Opin Ionists) وهم الذين يرجحون بين أقوال الطبقة الأولى ويختارون منها ويستنبطون الأحكام مما كتبه أسلافهم.

وقد كتب التلمود البابلي باللغة الآرامية بينما كتب تلمود أورشليم بالعبرية.. والتلمود البابلي أضخم حجما من التلمود الفلسطيني، ويبلغ أربعة أضعاف حجمه، ويحتوي البابلي بالإضافة إلى القرارات والنصوص القانونية (هالاكا) يحتوي على قصص وأساطير وحكايات الجن وعلى التعاويذ والطلسمات وفنون السحر وأسرار الأعداد والنجوم.

ولا يستغرب أن يحتوي التلمود البابلي على فنون السحر فمركزه بابل موطن السحر قال تعالى: {واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلْك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون} (البقرة ١٠٢).

وقد ورد في الصحيحين أن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي في مشط ومشاطه وطلعة جف ذكر، وضعها في أحد الآبار، فكان يخيل إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، ثم

نزل جبريل عليه السلام فرقاه بالمعوذتين فانحلّ السحر، وأخرجت المواد من البئر، فكان مثل نقاعة الحناء، وانتهى مفعوله بذلك ولم يستطع سحر هذا الخبيث أن يؤثر على النبي (صلى الله عليه وسلم) سوى موضوع إتيان النساء فقط لأن الله قد عصمه فيما يخص النبوة وفي ذلك رد على من أنكر الحديث بحجة أن ذلك قادح في أمر النبوة والعصمة.

وخلاصة القول أن اليهود أولعوا بالسحر والطلاسم وأسرار الأعداد والتنجيم. والتلمود البابلي مليء بكثير من هذه الخزعبلات والأساطير والجرائم. ومن طقوسهم الإجرامية قتل إنسان بريء من النصارى أو غيره من الأغيار (الجوئيم) وأخذ دمه ووضعه في الفطير المقدس الذي يأكل منه الأحبار وأتباعهم قليلا قليلا على مدى العام.

وقد جاء في دائرة المعارف اليهودية «إن كان من أساس أقرَّ من قبل الحكماء اليهود فهو حقيقة القرابين البشرية التي تقدم للإله يهوه، ملك وإله اليهود منذ أواخر عهد الملكية اليهودية» وقد حدثت حوادث كثيرة ضبط فيها اليهود وهم يقومون بهذه الجريمة الشنعاء، أشهرها قضية البادري توما الكبوجي وخادمه ابراهيم أماره حيث قام اليهود باختطافهما في حارة الشام في دمشق في الثاني من ذي الحجة عام ١٢٥٥هـ (١٨٤٠م) وذلك للحصول منهما على دم لفطير صهيون الذي يؤكل في عيد الفصح.

واعترف الجناة بجريمتهم النكراء اعترافا تاما، ولكن قبل أن يحكم عليهم بالقصاص تدخل قناصل الدول الأوربية وعلى رأسهم بريطانيا وفرنسا لدى محمد على باشا الذي كان يحكم مصر والشام آنذاك وضغطوا عليه، حتى تم الإفراج عن القتلة المجرمين وأسدل الستار على الجريمة في ٧ سبتمبر ١٨٤٠ (انظر القصة كاملة في كتاب دم لفطير صهيون للمرحوم الدكتور الأديب نجيب الكيلاني).

أهمية التلمود لدى اليهود:

تقول دائرة المعارف اليهودية: «إن أهمية التلمود كانت تتزايد على مر العصور وكان التلمود يعتبر السلطة العليا لدى أكثر اليهود، وخصوصا يهود بولندا التي أصبحت مركز دراسة التلمود».

ومن المعلوم أن معظم قادة إسرائيل هم من بولندا، ولذا فإن التأثير الديني العميق للتلمود هو الموجه الحقيقي لسياسة إسرائيل منذ تكوينها كما يقول تيد بايك في كتابه «إسرائيل واجبنا إسرائيل ورطتنا» وكما يقول إسرائيل شاحاك (وهو أحد مؤسسي دولة إسرائيل وعالم كيمياء) في كتابه «الديانة اليهودية وتاريخ إسرائيل» الذي قدم له الدكتور إدوارد سعيد والذي فضح سياسة إسرائيل العنصرية والمبنية على تعاليم التلمود المحتقرة للأغيار والتي تعتبرهم أقل من الحيوانات، وأن الله لم يخلقهم إلا لخدمة اليهود.

ويقول إسرائيل أبراهامز موضحا أهمية التلمود: «لقد بقي اليهودي بسبب التلمود بينما بقي التلمود في اليهودي» أما الدكتور فابيان فيقول في كتابه التلمود البابلي: «الحياة اليهودية مؤسسة إلى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية فطقوسنا وكتاب صلاتنا واحتفالاتنا وقوانين أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود».

أمثلة على تعاليم التلمود:

١ - اعلم أن أقوال الحاخامات هي أفضل من أقوال الانبياء وأن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله.

٢ - إن مخافة الحاخامات هي مخافة الله.

٣ - إن خلافا نشأ بين الله وبعض الأحبار حول المسائل التي يتدارسها الله مع الأحبار كل يوم (يقسّم الله حسب زعمهم اليوم إلى ليل من اثنتى عشرة ساعة ينام فيها ويرتاح، ونهار يدرس فيه التوراة في الساعات الثلاث الأولى مع الحبار وفي الثلاث الثانية يحكم العالم ويدبر شؤونه وفي الثالثة يطعمه وفي الرابعة يلعب مع الحوت ملك الأسماك ولكنه غير نظامه بعد أن هدم هيكله وشرد شعبه فصار يزأر ويصيح في الساعات الأخيرة بدلا من اللعب ويقول: تبا لي تبا لي لأني صرحت بخراب بيتي وهدم هيكلي ونهب أولادي).

ولما قام الخلاف بين الرب (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) وبين الأحبار قرروا إحالة المسألة الى السنهدرين (المحكمة العليا) حيث قرر كبار الأحبار أن الله قد أخطأ في هذه المسألة (لعنات الله المتتابعة على هؤلاء الأحبار وأتباعهم) وأن عليه أن يعترف بخطئه، فما كان منه إلا أن اعترف بخطئه أمام السنهدرين وسحب أقواله كلها.

٤ ـ تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه.

٥ ـ الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة. وإذا ضرب أممي (غير يهودي) إسرائيليا فكأنما ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت (وهذا ما نراه بالفعل حينما يضرب الأطفال في فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة الجنود بالحجارة فيرد عليهم الجنود بالرصاص الحي والمطاطي ويموت العديد منهم في كل حين).

٦ ـ لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس، والفرق بين اليهود وباقي الشعوب كالفرق بين الإنسان والحيوان.

٧ ـ الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة، وقد خلق الله الإنسان ليكون لائقا بخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم.

٨ ـ يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك غيره من الأمم، وسرقة غير اليهودي ليست سرقة، بل استرداد لمال اليهودي، لأن الله لم يخلق الكون إلا من أجل اليهود. وحياة غير اليهودي ملك لليهودي فكيف بماله.

٩ ـ اقتل الصالح من غير اليهود. ويحرم أن تنجي أحدا من غير اليهود من خطر يتهدد حياته.

١٠ ـ يجوز لليهودي أن يحلف مائة يمين كاذبة أثناء معاملته لباقي الشعوب إذ أن اليمين إنما جعلت لحسم النزاع بين الناس وغير اليهود ليسوا أكثر من حيوانات وليسوا ناسا. ويجوز لليهودي أن يشهد زورا ويقسم على ذلك حسب ما تقتضيه المصلحة مع غير اليهودي.

١١ ـ لليهودي لا تقرض بالربا. لغير اليهودي لا تقرض إلا بالربا.

١٢ ـ لليهودي الحق في اغتصاب الأجانب ذكورا وإناثا لأن الأجانب من نسل الحيوانات. وهذا يفسر كثرة حوادث الاغتصاب التي يقوم بها الحاخامات في نيويورك والولايات المتحدة للأطفال المسيحيين. وإذا ثبتت التهمة على أحدهم يقوم اليهود هناك بإرساله إلى اسرائيل.. وهذا غيض من فيض من تعاليم التلمود.

(للدراسة صلة)

الهوامش:

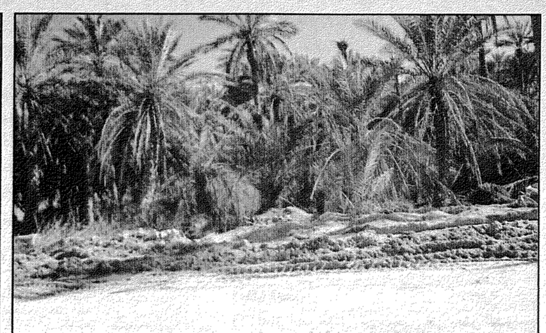
(١) أطلق اسم موسى بن ميمون على بعض الشوارع في المدن العربية فهناك شارع في القاهرة وآخر في جده باسم موسى بن ميمون ولعل هناك شوارع باسمه في المغرب وغيرها من البلاد العربية.

(٢) روجيه جارودي: «الإسلام في الغرب قرطبة عاصمة الروح والفكر» ترجمة: د. محمد مهدي الصدر، دار الهادي، بيروت ١٩٩١.

(٣) القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني (١١٣٥ ـ ١٢٠٠) ولد بعسقلان ونشأ ببيسان ومات بالقاهرة، تولى ديوان الإنشاء وكان كاتب الخليفة الفاطمي، ثم اتصل بأسد الدين شيركوه عند مقدمه مصر ثم صار من رجال صلاح الدين الأيوبي المقربين. وصار وزيره ثم وزير العزيز والمنصور من بعده اشتهرت رسائله وكتاباته المليئة بالسجع والمحسنات البديعية. وفي نثره وشعره تكلف ظاهر.

(٤) ذكر ابن القفطي في كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» مكتبة القاهرة، أن ابن ميمون، كان يشارك الأطباء ولا ينفرد برأي لقلة مشاركته، ولم يكن رفيقا في المعالجة والتدبير كما قال عنه وقرأ الطب فأجاده علما، ولم يكن له جسارة على العمل أي أن معلوماته الطبية لم تصحبها ممارسة وتدريب كاف. ولذا فإنه مجرد ناقل في كتبه وليست له أصالة.

(٥) انظر كتاب ظفر الإسلام خان: «التلمود تاريخه وتعاليمه»، دار النفائس، بيروت ١٩٨٠، وابراهيم خليل أحمد: «إسرائيل والتلمود» مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ود. محمد علي البار: «المسيح المنتظر وتعاليم التلمود»، وكتاب: «الكنز المرصود في تعاليم التلمود» وكتاب «فضح التلمود» للأب براناتيتس وإعداد زهدي

نخل الداريين بسيحة الخويلدية

صور من بلادي

وطنى ومهد مطامحي وجناني
وربيع أيامي وزهو حناني
نخلٌ وأحلامٌ وعشقُ شواطىء
نشوى، كفجر العاشق الهيمان
وجداولٌ تنساب عطر صبابة
في جانحيَّ .. تنوب في وجداني
والدوح وارفة الظلال تطلُّ في
رأد الضحى كالحور والولدان
وترفُّ أجنحة المنى خفاقة
من ذكريات النخل والكثبان

* * *

صفحات أمجاد تنيع مآثراً
تاريخها من سالف الأزمان
قطرات ماء المزن في عرصاته
كالسلسبيل لغلة الظمآن
وعلى يدي مُضَر[*] تألَّق عطره
كرماً، وأخلاقاً، وسحر بيان
وله على الكثبان موقع شيبة
جادت بصوت ساحر فينان
قومٌ نفوسهم السحاب وأرضهم
مأوى الصحاب وصفوة الإخوان
فيه الشباب عزيمة وتكاتف
في زهوه، في حبه المتفاني
فيه أحبائي وأهل مودتي
ناهيك عن وجدي وبؤس جناني

رجب ١٤٢٠ هـ - أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٩م

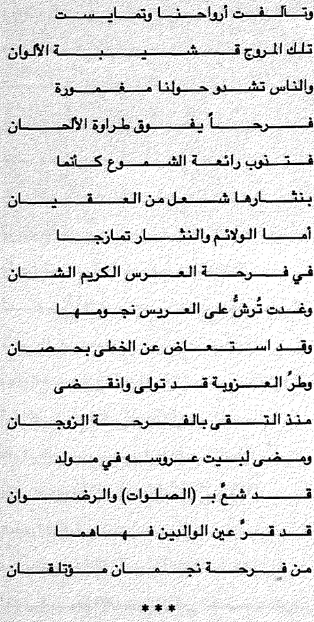


عين الكعيبة من الخارج

أقسمت أني لا أفارقهم وإن
حكم الزمان على الفؤاد العاني

* * *

الله، يا ذكراً تغلغل في دمي
وانساب في قلبي وفي شرياني
والحب يا ماء المحارق[١] إذ مضى
حييت فيك صبا الزمان الهاني
ومسارحاً كانت لصبوتنا هوى
وسماء أحلام وفجر جنان
وترى نساء الحي تستبق الضحى
لقضاء حاجات وجس مغاني
وتكاد تنتعش النخيل وتزدهي
لحديث أهل الود والجيران
ولكم زها في عين «غرّى»[٢] ملتقى
لزفاف عرسان وبث تهاني



شعر : محمد على آل توفيق
القطيف ـ السعودية

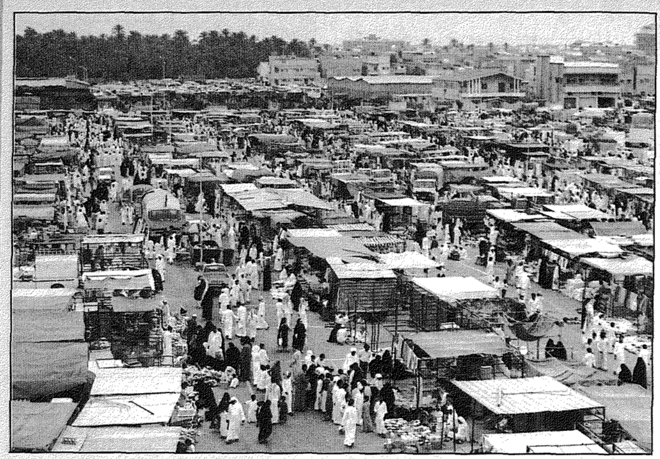
وتآلفت أرواحنا وتمايست
تلك المروج قشيبة الألوان
والناس تشدو حولنا مغمورة
فرحاً يفوق طراوة الألحان
فتذوب رائعة الشموع كأنما
بنثارها شعل من العقيان
أما الولائم والنثار تمازجا
في فرحة العرس الكريم الشان
وغدت تُرشُّ على العريس نجومها
وقد استعاض عن الخطى بحصان
وطرُ العزوبة قد تولى وانقضى
منذ التقى بالفرحة الزوجان
ومضى لبيت عروسه في مولد
قد شعَّ بـ (الصلوات) والرضوان
قد قرَّ عين الوالدين فهاهما
من فرحة نجمان مؤتلقان

* * *

يا عهد «ساداس»[٣] وأتراب الوفا
وضفافها وتواثب الصبيان
وزمان «صافية»[٤] وأسراب القطا
في «جفنها» وتضاحك الغلمان

وهوى القلوب وملتقى أحبابها
والقيظ مثل القدر في الغليان
هذا يعلم طفله بمهارة
في مائها المترقرق الوسنان
هذا يغوص وذاك يطلق طرفة
هذا يعاتب تربه بحنان
ويمتعون نفوسهم بنهارها
ما بين سحر النخل والشطآن
حتى إذا احتضر النهار وصوّحت
شمس وضاعت في سماء دخان
خلدوا لترويح القلوب فحبُّهم
للماء حب العاشق الولهان
واستعذبوا حمد الإله وشكره
نعماً بلا حصر ولا حسبان
نسي الزمان غدونا ورواحنا
بين «الحسين»[٥] ومنبع «الشيباني»[٦]
أيام كانت «للقديح»[٧] ومثلها
«أم الدفوف»[٨] مكانة الدبّران
وكذا «الصغيرة»[٩] و«الجميمة»[١٠] و«الرحا»[١١]
عطر تدفق في ضحى نيسان
«مضرية»[١٢] ما أنت إلا معلم
لتقدم الإنسان في العمران
عين «الهلالي»[١٣] مثل حلم زائل
طللٌ عفى متهدم الأركان
وتألقت «للجوهرية»[١٤] زورة
موعودة في رفقة الأخدان

أما «القويع»[١٥] تبعثرت آثارها
لم يبق ثمة معلم لبيان
يا «أم ريشة»[١٦] أين منك معالم
غرنوت في عالم النسيان
عين «العمارة»[١٧] لم تزل أصداؤها
تختال مثل القلب في الخفقان
وضحى «الشرابيه»[١٨] الأنيق وقد حوى
مغنى لطهر الريم والغزلان
قد غيَّر الحدثان رائع نبعها
فهوى كما يهوي الشهاب الفاني
تالله ما وجدي وطول تلهفي
إلا لنبع «السدرة»[١٩] الولهان
كانت لنا أملاً ولحناً خالداً
نلهو به في تلكم الأزمان
يا نبع «غريبي»[٢٠] أتيتك باكياً
أشكو إليك سحائب الأشجان
و«الديسمية»[٢١] و«الوسائع»[٢٢] لم أزل
أبكي ربوعهما بدمع قان
أتراه ينكر «للرواسي»[٢٣] برهة
والصفو صفو والقطوف دوان
زمن الدراسة والحياة جديدة
مخمورة من وُننا الرنّان
و«القحطبية»[٢٤] قد سمعنا ذكرها
تاريخ مجد سامق البنيان
«بلاعةُ»[٢٥] كم جئتها فوجدتها
تشكو «العمارة»[٢٦] من جفا الإخوان



لقطة لسوق الخميس بالقطيف الذى يقام اسبوعيا

وشممت من نفح «العتيقة»[٢٧] عطرها
ينساب بين خمائل وجنان
لو كنت تعرف ما «الحريف»[٢٨] وما غدى
من بعد عهد الحب في الشطآن
أو كنت تدرك ما «المهنا»[٢٩] في الهوى
الزاهي و«أم البرج»[٣٠] للبستان
وكذا «الثماميات»[٣١] نبع دافق
قد عانقت «صدرية»[٣٢] الإحسان
لغدوت تنكر «للعوينة»[٣٣] فضلها
أو فضل «قصمول»[٣٤] على الكثبان
حتى غدا قلب «البديعة»[٣٥] «هدلة»[٣٦]
بين «السويجني»[٣٧] و«الخسيف»[٣٨] الفاني

وترى «الجبيس»[٣٩] يلوح عذب مياهها
مثل «الخداشي»[٤٠] بسمة للعاني

* * *

نسي الزمان شقاوتي وبراءتي
وطفولتي .. والغر من أخداني
كم وثبة لي في الأزقة وقعها
ما زال يقرع بالصدى آذاني
تلك الأزقة ما رأيت شبيهها
في الحسن إلا الريم في الغيطان
والليل يفترش السماء كأنما
نثرت علينا من نجوم جمان
واللهو في «ساباط حمدان»[٤١] إذا
انتبه الصباح بنوره اليقظان


احد بساتين النخيل المنتشرة فى واحة القطيف

وتظللت بسقوفه جلساتنا
ومزاحنا ببراءة وحنان
ولنا به في الصيف من ريح الصبا
بردٌ ومن أنس اللقاء معاني
فهبويه يأتيك رطباً منعشاً
مثل النمير لمهجة العطشان
يجري رخاء في هدوء رائع
أنغامه تجلو صدى الأحزان

الألعاب :

الله، ما أحلى الزمان إذا هوى
«طنقورنا»[٤٢] في همَّة الصبيان
وتدحرجت «دوامة»[٤٣] سكرانة
ما بين كاسب صاحب ورهان
وتواثبت «خاست عروسي»[٤٤] بالصبا
لهثاً أرق من الصبا المتواني
«دحروجة الفتيات»[٤٥] جاءت لعبة
تختصُّ فيها البنت بالإتيان
و«الألف»[٤٦] للفتيان تلعب دائماً
و«الهول»[٤٧] وقت الصيف كالطوفان
وجثت لنا في كل صوب «صبُّة»[٤٨]
و«مخطة»[٤٩] تلهي الحزين العاني

التكاتف:

قومٌ إذا شبَّ الحريق وولولت
أطفالها من وطأة النيران
هرع الجميع مع النداء وكبَّروا
والماء بين قصيهم والداني
فتراهمُ متآلفين يشدُّهم
حبُّ الإله لنجدة الإخوان
متراحمين يسودهم كرم التقى
والبر والإحسان يلتقيان
وتكاتفت همم الرجال فعزمهم
ماض يفوق تصوُّر الإنسان
وتراهمُ سمر الوجوه من العنا
وقلوبهم بيضٌ بلا شنآن
عهدٌ تولى وامَّحت آثاره
وغدا كما الطلل القديم الفاني
لكنما في داخلي حضر الهوى
شوقاً يعرس وجده بكياني
للنخل باسقة على أكمامها
طلع نضيدٌ رائع الألوان
«تحدير»[٥٠] نخل يا لحسن جماله
هل أنبأتك «مغيصة»[٥١] «الدهجان»[٥٢]
و«لفاف»[٥٣] نخل ما ألذَّ فطوره
«بعصيده»[٥٤] و«خبيصه»[٥٥] الملآن
لمواسم الغلات عند «خرافها»[٥٦]
و«صرامها»[٥٧] وتكاتف الشجعان

لصعيد «جابور»[٥٨] يبارك خيرها

وتكدُّس «القلات»[٥٩] كالبنيان

للموز[٦٠] مؤتلقاً كوجنة غادة

للتين[٦١] للإترنج[٦٢] للرمان[٦٣]

للصبح يسكر بالندى أزهاره

وخمائل الجوري والريحان

للدّور في الخباز بعد صلاتنا

ونفوس أحرار بلا أضغان

للسوق عامرة بخير كفاحنا

وشموخنا في غمرة الحدثان

لأبي استقلَّ - على الطهارة - منبراً

يدعو لطاعة ربه الديان

* * *

وطني وبند الفخر يرقص في دمي

لأرومة تمتدُّ من عدنان

سأظل أنشد في الصباح وفي المسا

عشق الوفاء لأطيب الأوطان

الهوامش:

[*] المقصود بها «النخوة».

(١-٣) المحارق، غرًى، ساداس: ينابيع مياه جوفية ذات ماء وفير تسقى منها البساتين، وتقع في القديح.

(٤) صافية أو الصافية: ضربٌ من اللعب يمارس في مياه العيون الجوفية.

(٥ - ٤٠) الحسين المقصود بها عين الحسين والشيباني ... الخ: كلها ينابيع مياه جوفية تسقي بساتين القديح.

عين العتيقة تسقي نخيل الخداشي، وهي واحدة من سبع عيون أخر الغنية بمياهها الجوفية، والعتيقة لم تكن مشهورة بقوتها المائية ولعل السبب تكاثر عيون جوفية أخرى بقربها. ومن عيون الخداشي عين العتيقة، وعين الخداشي، والبردوي، وعين البديعة، ومن أشهر نخيل الخداشي، البردوي، البصرة، السحلوب، والبيعة والخراب... الخ.



تقدم الدولة للمزارعين القروض والاعانات لتحسين الانتاج

(٤١) ساباط حمدان: جزء من شارع داخلي يستخدم أعلاه للسكنى ويستخدم أسفله شارعاً وهو مكان لتجمع الرجال والصبية وقضاء وقت الفراغ فيه والتمتع بهوائه في أوقات الصيف الحارة قديماً، وفي القديح القديمة الكثير من السوابيط.

(٤٢ - ٤٩) الطنقور، الدوامة، و... والصبة والمخطة: اسماء لألعاب يمارسها الناس، الفتية والفتيات، بل وحتى الكبار كالصبة.

(٥٠) تحدير: إنزال عنوق النخل إلى أسفل وربطها بحبل بشكل متناسق سهل التناول للمقتطف.

(٥١ - ٥٢) أسماء لنخيل بالقديح.

(٥٣) اللفاف: لف عنوق النخل بالليف في بدء طلعها لحفظها عن البرد والآفات وقد اندثرت الآن.

(٥٤ - ٥٥) العصيد والخبيص: ضرب من الأكلات الشعبية الشائعة في القطيف.

(٥٦) خرف: جني ثمار النخيل.

(٥٧) صرام: موسم قطع ثمر النخيل.

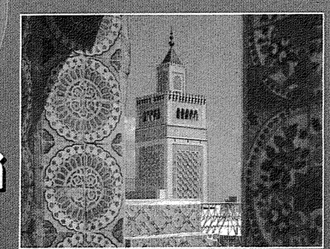
(٥٨) جابور: ما ارتفع من أرض النخيل ومن استخداماته نشر ثمر النخيل عليه لتجفيفه.

(٥٩) القلات: مفرده قلة والقلة وزن يساوي منين وهذه تساوي ٣٢ كيلوجرام من التمر. والقلة والقلات كثيرة الإستعمال في القطيف.

(٦٠ - ٦٣) الموز والإترنج والتين والرمان مما تمتاز به منطقة القطيف.

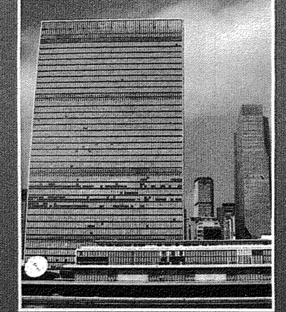
مجلة السائح العدد (١١٦)

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقرئ:
الملامح ويرسم اللوحة



تونس

المدينة العتيقة



جولة فى وسط أمريكا

السائح

قطاف اوراق التوت الطازجة من أجل إطعام دود الحرير

حياكة الحرير حرفة صينية شعبية منذ آلاف السنين

العسل، والمسك، والحرير، هى أغلى ما يقتنى، ولا دخل للانسان في انتاجها، الا الرعاية للنحل منتج العسل، والغزال منتج المسك، ودودة القز منتجة الحرير.

الصين اشتهرت بالحرير، في ريفها البعيد الواقع جنوب شرق البلاد، في المنطقة الممتدة ما بين (هانغزهوه) و(شنغهاي) وتعتبر هذه المنطقة (مملكة الحرير) في العالم، كما يقولون.

أنشأوا مزارع، ومستعمرات لدودة القز، واعتنوا بها غاية العناية، ويعمل في صناعة الحرير عشرون مليون عائلة صينية.

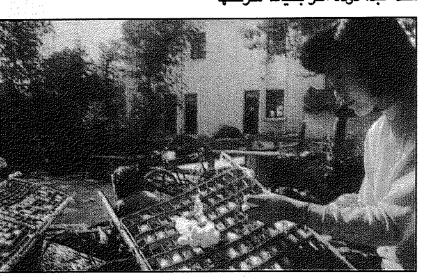
تتغذى دودة القز على ورق التوت الأبيض تحديداً، وهي شرهة في أكله. وتضع بيضها خلال فصل الربيع.

تضع دودة القز أساس شرنقتها بشبكة تشبه شبكة العنكبوت إلى حد ما، وذلك بواسطة خيوط دقيقة من البصاق اللزج الذي تخرجه من فمها، الدودة تعمل بصورة متواصلة في

مملكة الحرير




هكذا تبدأ دودة القز بحياكة شرنقتها


شابة صينية تحوك خيوط الحرير فى حديقة منزلها


داخل معمل لقتل شرانق دود الحرير

بناء شرنقتها وبمعدل حوالي الثلاثين سنتيمتراً من الخيوط في الدقيقة الواحدة، والسر في بصاقها اللزج انه يجف بمجرد ملامسته الهواء ويتحول الى خيط متين النسج. سبحان الخلاق.

تستغرق العملية أسبوعين تتحول الشرنقة بعدها، إذا لم يحصل تدخل خارجي، إلى فراشة بيضاء جميلة تمزق النسيج الذى صنعته بفمها وتطير.

في غضون ذلك تتواصل اعمال مزارعي الحرير الشاقة والمتشابكة، من تنظيف وتعقيم اعشاش الدود والشرانق، وعليهم بصورة خاصة نقل الشرانق إلى السوق المحلية في الوقت المناسب بحيث تموت اختناقاً بالهواء الحار قبل أن تتحول إلى فراشات تتلف القطاف الثمين.

والمرهق فى أعمال دود القز أن المزارع يعيش في سباق دائم مع الزمن، ذلك ان كل مرحلة من مراحل نمو الدودة تتطلب عملا معينا في وقت معين.. عدا المتطلبات الخاصة لهذه الديدان «الأرستقراطية» التى «تنزعج» من الذباب ومن نباح الكلاب ومن رائحة البصل ومن الرياح الشديدة ومن تقلبات درجات الحرارة، وفوق كل ذلك فدودة الحرير لا تأكل إلا ورق التوت، والتوت الأبيض تحديدا، وبشرط أن تكون الورقة طازجة غير جافة كثيراً وغير رطبة كثيرا.

والمزارعون يعرفون جيدا أن الإخلال بأية واحدة من هذه المتطلبات الخاصة ينعكس سلباً على نوعية وكمية الحرير، أو ربما يصيب الدودة بالأمراض أو حتى بالموت.

جولة في وسط أمريكا

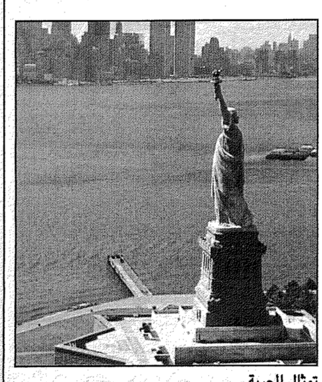
مشاهدات وانطباعات

إن حب الوطن غـريزة فطر عليـهـا كل إنسـان ومـفـارقـتـه تترك في النفس اضطراباً مـهـمـا كـانت الغاية من مفارقته، وكنت أعلل النفس في كل رحلاتي بسرعـة الأيام وأنسى اللقـاء بعـد الفراق وفي يوم الخـمـيس الموافق ١٤٢٠/٣/٣هـ الموافق ١٩٩٩/٦/١٧م، غادرنا مطار الرياض متوجهين نحو نيويورك ومنها إلى ولاية ألينوي لحضور حفل تخرج أحـد الأبناء، ولقـد تداعت إلى ذهني ونحن نعـبـر المحيط الأطلسي رحلة (كرستوفر كولمبس) في القرن الخامس عشر ١٤٩٠م ومغامرته الرهيبة حيث كنا نحلق في سمـاء المحيط الأطلسي «بحر الظلمات» سـابقـاً مـعلقين في الفضـاء أكثر من أربعة عشر ساعة، وقد صعدت بنا الطائرة في علو مرتفع وكانت المضيفة تكرر التعليمات التي لابد منها لعبور المحيط كلباس حـزام النجـاة إذا جـد الجـد

بقلم: عبد الله بن حمد الحقيل
امين عام دارة الملك عبد العزيز ـ سابقا ـ

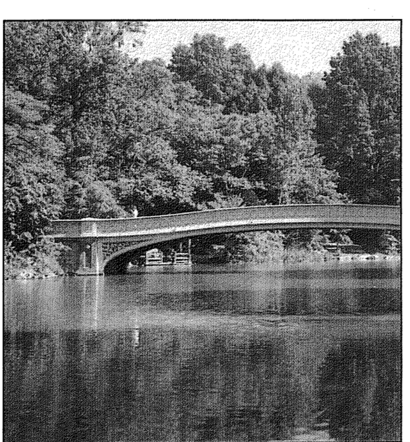


مبنى هئئة الأمم المتحدة فى نيويورك



تمثال الحرية

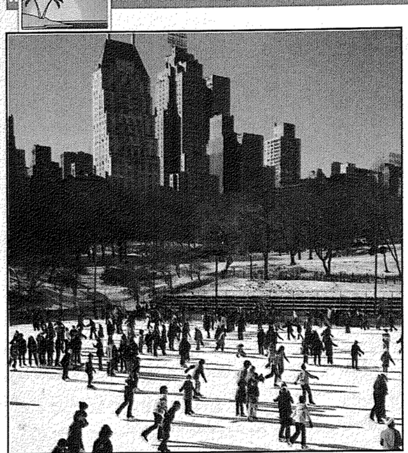
واضطرت الطائرة إلى الهبوط على سطح المحيط، وكيف يوضع لباس النجاة فوق الجسم وكيف تربط أطرافه وكيف ينفخ حتى يصير كالقربة ورأيت البعض يتململ من هذه الدروس والتعليمات فقلت له هون على نفسك هذا الإزعاج الذى تفرضه الاتفاقات الدولية ومنظمات الطيران العالمية، وبعد تقديم وجبات الطعام أطفئت الأنوار وبدأ النوم يداعب الأجفان وأثناء عبور المحيط طلب منا ربط حزام النجاة عدة مرات لوجود مطبات هوائية، ورأيت أحد الأخوة ازداد غيظا وتقطيبا فقلت له الأمر سهل وحدثته عن المغامرين والمكتشفين الأوائل وأن أول خارطة لأمريكا كانت إسلامية قام بتصميمها الجغرافي المسلم «ابن



لقد كان الجو صحواً وكنت أنظر من النافذة إلى الجو لأتمتع بالمناظر الطبيعية وماء المحيط والجزر والسحب المتراكمة أو المتفرقة وهكذا مرت الساعات بين الأحاديث مع مجموعة من الأخوة العرب والقراءة حتى وقفنا في بلدة «شنين» وهي محطة للطيران في ايرلندا وهي النقطة التي يبدأ منها عبور المحيط الأطلسي وتزود الطائرات بالوقود ثم حلقت الطائرة في المحيط ولم أشعر بمرارة السفر وطوله وعنائه لما كنت أتمتع به من مشاهدة هذا العالم وجمال خلق الله، ولقد عرضوا علينا فيلماً سينمائياً كوميدياً لإدخال الأنس على الركاب ولكنهم طلبوا إغلاق النوافذ التي كنت أطل منها على هذا العالم الفسيح ومشاهدة السحب والبحر، ولقد قطعت بنا الطائرة هذا المحيط العظيم الهائل والمحيط الأطلسي «بحر الظلمات» سابقاً ثم بدأنا نقترب من مدينة نيويورك وبدت بعض الجزر ذات الأشكال الهندسية وشاهدت الوديان والمرتفعات وكلها خضراء ثم هبطت بنا في مطار نيويورك الدولي وكان الفرق الزمني بين نيويورك والرياض سبع ساعات، ودخلنا قاعة الجوازات في صف منتظم ثم الجمارك وكانت الإجراءات سهلة وسريعة ولم يفتحوا حقائبنا وتوجهنا صوب شركة T.. W.. A لتأكيد الحجز إلى مدينة شيكاغو، وبعد ذلك توجهنا إلى مدينة نيويورك لقضاء يومين في رحابها وذهبنا إلى فندق «هوليداي إن» وأمضينا تلك الليلة برفقة مجموعة من الأخوان العرب من السعوديين

الزيات» المتوفي سنة ١١٩٨م وفيها رسم خارطة لمنطقة بحر الظلمات الذي نحلق فوق أجوائه وتشمل الجزر المأهولة وهي أمريكا، وقد اكتشف هذه الخارطة د. خوان فرثيط الأستاذ بجامعة برشلونة عام ١٩٥٢م في مكتبة الاسكوريال بمدريد، وقلت له لقد عبرت هذا المحيط ثلاث مرات وهذه هي المرة الرابعة التي أزور فيها أمريكا وعبرت الكثير من المحيطات من شرقها إلى غربها وفي السير في كون الله وأرضه وبحاره عبرٌ لمن يعتبر، وفيه الجديد الإيجابي المفيد والسلبي الذي ينبغي تجنبه والابتعاد عنه وكان محدثي بين اليقظة والنوم والخوف، مما ينطبق عليه قول القائل:

أقول له زيداً ويسمع خالدا
ويكتبه عمراً ويقرؤه بكرا



والأردنيين وغيرهم، وفي الصباح هاتفت أحد الأصدقاء المقيمين في نيويورك وفي الحال حضر إلى الفندق فأهل مكة أدرى بشعابها وأخذنا سيارة للتعرف على هذه المدينة الكبيرة التي تعتبر العاصمة التجارية للولايات المتحدة الأمريكية وانطلقنا نتجول في ربوعها ووسط أحيائها وزيارة معالمها الحضارية كالعمارة العالية الثانية في الارتفاع والتي تبلغ طوابقها اثنين ومائة طابق فذهبنا إليها واشترينا التذاكر اللازمة للصعود وهنا رأينا مئات بل آلاف من الناس صاعدين هابطين والمصعد الواحد يتسع لما لا يقل عن خمسين شخصاً وهو في غاية من السرعة فصعدنا إلى أعلى العمارة هذه وننظر في كل ناحية من أنحاء مدينة نيويورك ثم نزلنا لنذهب إلى المكان الثاني وهو حي «هارلم» الذي يسكنه الزنوج ثم ذهبنا إلى هيئة الأمم المتحدة التي تأسست في عام ١٩٤٥م وتجولنا بين جنباتها ثم عمارة «كريسلر» الشهيرة - وسوق البورصة العالمي ثم شارع «وول ستريت» ثم المركز الإسلامي الذي يضم مكتبة ومسجداً ومدرسة لتعليم القرآن الكريم وقاعة كبيرة وهو يمثل منظراً رائعاً ويمثل فن العمارة الإسلامية، وقد أصبح قبلة للسياح - ووجود هذا المركز الإسلامي وغيره من المراكز والمساجد في هذه المدينة عمل إسلامي عظيم ومساهمة ثقافية في هذه المدينة التي تزخر بثقافات متنوعة وديانات كثيرة كما أنها تخدم الجالية الإسلامية في نيويورك وضواحيها.

إن مدينة نيويورك مدينة كبيرة متنوعة الثقافات فهي مدينة التجارة والمصارف والمال والفنادق والأزياء والنشر والإعلام والسياحة، وإن جزيرة «مانهاتن» تضم مراكز الأعمال ومركز التجارة العالمي الشهير وميدان «تايم سكوير» وحي «بروكلين» التاريخي، لقد كانت فرصة طيبة أن أقضي اليوم للتجول في هذه المدينة والتعرف على معالمها ومتاجرها الكبيرة ومطاعمها الفاخرة وشوارعها الرحبة الأنيقة، لقد ذهب بي الخيال مذاهب في رسم صورة متخيلة لهذه المدينة وضواحيها ومعالمها ومتاحفها المتعددة قديماً وحديثاً، وذهبت «للحديقة العامة» وهي في الوسط الأعلى لنيويورك.. كما أن هذه المدينة تضم عدداً من الجامعات مثل جامعة «كولومبيا» و«نيويورك سيتي» وغيرها من المعاهد العلمية ومراكز الأبحاث، ولعل من أجمل ما يشاهده

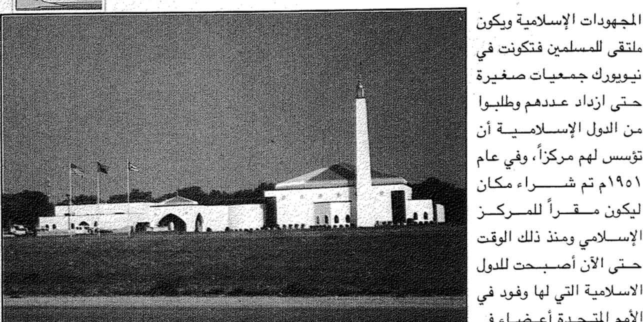
المرء منظر النهر الجميل «هدسون ريفر» حيث يحد المدينة من جهة الغرب وتقع «منهاتن» على ضفته وناطحات السحاب الشامخة، إنها ساعات طويلة ونحن نسير سيراً متواصلا وسريعاً ولكن لا نحس بالتعب حيث الأنظار مشدودة إلى روعة هذه المدينة وطبيعتها الجميلة ومبانيها العملاقة الباذخة وشوارعها الأنيقة وهناك سفن سياحية تملكها وتديرها شركات سياحية تحمل الواحدة منها مئات الركاب وتتجول بهم في عرض النهر وتطوف بهم في مقابل عشرين دولارا للفرد الواحد وسعدنا فيها وأخذنا أماكننا بين مئات الركاب من جميع الأجناس والألوان ويأتي صوت مذيعها الخاص مرحباً ومتمنياً نزهة ممتعة وجولة مفيدة، وفي نهاية المطاف تنتهي بنا بعد جولة ونزهة طريفة ومناظر بديعة.

إن مدينة نيويورك هي واجهة أمريكا وصورتها العامة بكل ما فيها من متناقضات ومفارقات فهي مدينة الغنى الفاحش والفقر المدقع مدينة التجارة والصناعة والملاحة وبيوت المال وفيها أكبر تجمع لليهود ويعود تاريخ هذه المدينة الى القرن السابع عشر الميلادي وكانت تسمى عندئذ «نيوامستردام» ففي موجات الهجرات الأولى التي تدفقت على أمريكا نزلت بها في «مانهاتن» جالية هولندية كبيرة في وقت كانت فيه الشركات الاستعمارية هي التي تستغل المستعمرات وتباشر إدارتها فاستطاعت شركة الهند الغربية الهولندية أن تقوم بعملية احتيال تاريخية فاشترتها من الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين بما يعادل أربعة وعشرين دولاراً، نعم إنها فقط كما يروى ثمن أكبر مدينة في العالم وأسماها الهولنديون اسم عاصمتهم «نيوامستردام» بدلا من امستردام، وهو اسم لمدينة انجليزية تقع في مقاطعة يوركشير شمالي انجلترا وهي مدينة لها شهرة تاريخية ولذا خلعوا اسمها على المدينة الأمريكية الجديدة ولقد رشحها موقعها الممتاز للنمو والازدهار وأصبحت أعظم ميناء وأهم مركز للتجارة وبناء السفن والصناعات المختلفة حتى أصبحت أكبر مركز مالي في العالم وتقوم على ثلاث جزر هي: بركلن، مانهاتن، واستاين آيلاند، وتربط بين هذه الجزر والمدن الأخرى الجسور الشامخة ذات الطبقات المتعددة والأنفاق التي تمتد تحت نهري «الهدسون» و«إيست ريفر» والمعديات، وتعتبر مدينة نيويورك أقوى معقل لليهود في العالم حيث يبلغ عددهم أكثر من سبعة ملايين نسمة ولهم نفوذ وسيطرة ويديرون مشروعات تجارية وعلى الكثير من وسائل الإعلام كالصحف والمجلات ومحطات الإذاعة والتلفاز وغيرها من وسائل الإعلام ومنهم عدد في الجامعات يعملون في شتى ميادين المعرفة ومختلف المجالات العلمية، كما أنهم يملكون الكثير من الفنادق والمطاعم والمصارف في كل من نيويورك وشيكاغو ولوس انجلوس وسان فرانسيسكو وبوسطن.

المركز الإسلامي:

يعود تاريخ المركز الإسلامي في نيويورك إلى الأربعينيات ويعتبر من أهم المراكز الإسلامية على الإطلاق لأنه يمثل الدول الإسلامية ولأنه قريب من مقر الأمم المتحدة في أمريكا وفي البداية كانت هناك جالية إسلامية في نيويورك هي من أقدم الجاليات الإسلامية بعد الجالية الإسلامية في «دويستروبت» وتتكون من المهاجرين اللبنانيين والسوريين وأصبحت دول إسلامية كثيرة العدد أعضاء في المنظمة العالمية وازداد عدد المسلمين بزيادة الوفود الإسلامية في الأمم المتحدة مما حدا بالمسلمين في أوائل الخمسينيات الى إنشاء المركز الاسلامي ليضم

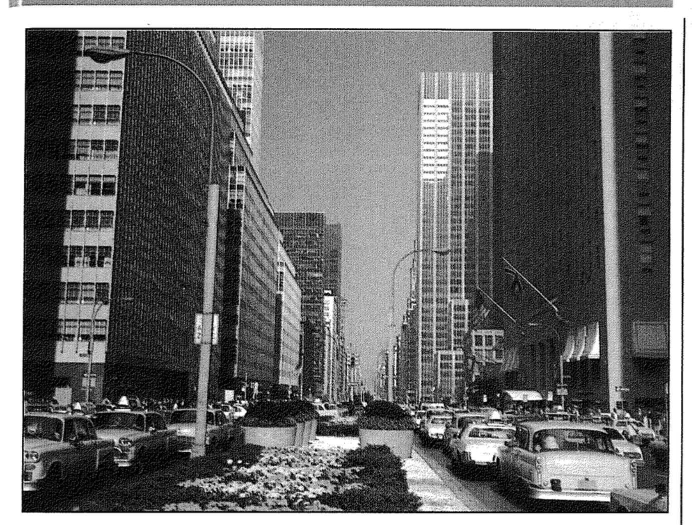
المجهودات الإسلامية ويكون ملتقى للمسلمين فتكونت في نيويورك جمعيات صغيرة حتى ازداد عددهم وطلبوا من الدول الإسلامية أن تؤسس لهم مركزاً، وفي عام ١٩٥١م تم شراء مكان ليكون مقراً للمركز الإسلامي ومنذ ذلك الوقت حتى الآن أصبحت للدول الاسلامية التي لها وفود في الأمم المتحدة أعضاء في مجلس المركز وعدد المسلمين اليوم في الولايات المتحدة ثمانية ملايين من الأمريكيين والمهاجرين وتلعب المراكز الاسلامية في أمريكا دوراً جيداً في نشر الثقافة الاسلامية وتعليم اللغة العربية والحضارة الإسلامية ويعتبر هذا المركز من أهمها لأنه يمثل الدول الإسلامية ولقربه من مقر الأمم المتحدة فهو صرح حضاري إسلامي ويزور المركز عدد كبير من الأمريكيين من ذوي الرغبة الشديدة لمعرفة الاسلام وطرح الكثير من الاستفسارات التي يريدون معرفتها، وعلمت مما حدثني به أحد الأخوة في المركز أنه يعتنق الإسلام في كل أسبوع ثلاثة أشخاص لأنهم يجدون فيه ما يرضي رغباتهم وطموحهم ومحاربة الإسلام للعنصرية وهكذا يتجلى دور المراكز الاسلامية في هذه البلاد فهي تساهم في نشر الثقافة الاسلامية والحضارة الإسلامية والتعريف بها ولذا ينبغي تيسير تعليم الإسلام وممارسة تعاليمه للمسلمين الجدد وربطهم بعقيدة التوحيد الخالص وتجنيبهم مواطن الزلل والانحراف



مبنى المركز الاسلامي تخفق فوقه رآية التوحيد

في سلوكهم وعقيدتهم، ولقد قرأت تصريحاً لرئيس قسم دراسات الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا في جامعة «مينيسوتا» بأمريكا أن في الولايات المتحدة إقبالا كبيرا لمعرفة الإسلام والقراءة عنه من جانب مختلف الطبقات والعناصر.

واقترح إنشاء مركز للبحوث والدراسات الإسلامية يضم مكتبة كبيرة ومراجع وتنظيم ندوات عن الاسلام والحضارة الإسلامية وأشار إلى أن أعداداً كبيرة من طلاب الجامعات يطلبون معلومات عن الإسلام وهناك تشويه في المناهج الدراسية والصحافة في المعلومات عن الاسلام، وتصدر في نيويورك عدد كبير من الصحف اليومية كالديلي تلجراف، والهيرالدتريبسون والاسبوعية لمجلة التايم ونيويورك بوست وغيرها، ولقد لاحظت خلال بقائي في أمريكا وبين مدنها المختلفة أن الصحف الأمريكية تقدم يوم الأحد أعداداً خاصة تتألف عادة من عدة صحف في عدد واحد ومجموع صفحاتها يتجاوز



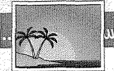
إحدى المنتزهات

مائة صفحة وهناك صحف مخصصة للمسرح والأدب وأنواع الهوايات وشئون المال والأعمال والتعليم والرياضة وعرض لأهم أنباء الأسبوع المنصرم وعن المؤلفات الجديدة والكتب الحديثة وهلم جراً.

وبالجملة فمدينة نيويورك مدينة الصناعة والتجارة كما أن تركيبتها السكانية قامت على تجمعات عرقية ذات ثقافات متعددة ومهما زار المرء هذه المدينة والتعرف عليها فأنى له أن يمر بهذه المدينة الكبيرة التي تعتبر العاصمة التجارية للولايات المتحدة الأمريكية ويستوعبها خاصة وأنه لم يبق أمامنا إلا بضع ساعات في هذه المدينة لمغادرتها إلى شيكاغو مما ذكرني بقول الشاعر:

فاشدد رحالك واعجل فالدنا فرص
وما سماعك بالآثار كالنظر

وبعد فإن نيويورك قلب الحضارة الغربية النابض كما يقول الدكتور غازي القصيبي، ولقد وصفتها الأديبة الفرنسية فرانسواز ساجان التى زارت نيويورك مرتين ثم كتبت بعد ذلك كتابا جاء فيه:



إن نيويورك ثقيلة الوطأة على الانسان مدينة ينبض قلبها بسرعة اكبر من سرعة سكانها وان الدم الفوار يجري في عضلات سكانها المتعبى القوى العجلين إنهم يريدون أن يقتصروا في الوقت دون أن يعرفوا كيف ينفقون ذلك الوقت.. ولقد وصف أحد الأدباء الغربيين عمران نيويورك وازدهارها المادي بأنه غطاء جميل لحالة من الشقاء فكثر المال ليس هو السعادة.

كما وصف هذه المدينة الأديب اللبناني أميل يسوعي منذ اكثر من خمسين عاما في كتابه «السفر العجب الى بلاد الذهب» قائلا:

إن مدينة نيويورك من ابهج مدن الدنيا واعظمها رونقا وفخامة وهي قائمة في جزيرة على مصب نهر الهدسون ونظرا لتزايد اتساعها ضاقت الجزيرة عن استيعابها فمدت الى الناحية الشمالية خطوطاً طويلة من المنازل يفصلها عن بعضها شوارع متوازية وتقطعها زوايا مستقيمة مما يجعل لها مشهداً يشبه رقعة الشطرنج العظيمة. وقد تشيدت حول المدينة الاصلية مدن أخرى عديدة ولكنها ما لبثت ان اتصلت بها بحيث صارت معها مدينة واحدة كبيرة لا تقل مساحة سطحها عن ١١٠ كيلومترات مربعة وفي هذه المدينة مليونان من السكان تراهم دائما في تزاحم وتسارع الى اشغالهم. اما الشوارع فلا تزال تجري فيها ليلا ونهارا العربات والحوافل (أمنيبوس) وعجلات الترامويِ الكهربائي كما تمر ايضا مركبات السكك الحديدية فوق المنازل.

على أن الغريب الذي يشاهد هذه المناظر يقف عندها مبهورا حائرا بينما ان الاميركي لا يتأثر منها مطلقا لكونه قد ألف رؤيتها واعتاد مشاهدتها كل يوم، وجميع المخابرات تجري في نيويورك اما بالتلغراف أو بالتليفون ولذلك تعد الاسلاك الممدودة في الجو لهاتين المصلحتين بالالوف ولا تكاد تدخل فندقا الا تجد فيه كل ما يلزم للمخابرة مع اقصى اطراف المدينة. وابلغ من ذلك انك تستطيع وانت في حجرتك ان تستدعى ما شئت من عربة أو شرطي أو غيرهما حتى اذا احتجت الى رجال المطافىء ايضا امكنك ان تأتي بهم في الحال. نعم ان في الشوارع الكبيرة من نيويورك قصورا عظيماً من الحجر المانع (غرانيت) او الرملي الاحمر أو الرخامي الابيض إلا ان فيها ايضاً كثيرا من البيوت الخشبية. وانما يختار الاميريكيون بناء منازلهم بالاخشاب لانها اوفر اقتصاداً وأخف ثقلا فيمكنهم عند الاقتضاء ان ينقلوها من مكان الى آخر مجرورة بالقواطر الكهربائية. وحوادث الحريق كثيرة في اميركا ولكن ماذا يهم الاميريكيين اذا احترقت منازلهم الخشبية طالما انهم قادرون على ان يجددوا بناءها على طرز أجمل وأوفر ملائمة للصحة، ثم انه لا يخفى ان الاختراعات في اميركا مازالت تتوالى وتتعاقب واللاحق منها يقرض السابق فاذا كانت تؤول الى جر مغنم لمخترعها فقد ادركت غايتها القصوى وغرضها الاسمى وكل ما تبقى يعد امراً ثانويا قليل الاهمية، على أن كل من باشر عندهم امراً ولم يصب فيه نجاحاً لا يقنط ولا ييأس بل يستأنفه مرة أخرى بعزم أشد وطرق أجد فاذا حبط مسعاه نهض ايضا بهمة اعظم واذا قدر له عدم النجاح هذه المرة فانه يأمل التوفيق في مرة أخرى ولا يزال هكذا حتى يستتب له الفوز.

تونس المدينة العتيقة

تونس تلك المدينة التي كانت ذات يوم قرية بربرية صغيرة ممتدة فوق الربوة المنحدرة في يسر حتى ضفاف البحيرة المعروفة لم يكن هناك ما يهيئها في بادىء الأمر لكي تصبح عاصمة لافريقيا التي كان يطلق عليها اسم (أفريكا) في العصور القديمة؛ لا سيما وأن قرطاج - جارتها - العظيمة في عهديها البونيقي ثم الروماني كانت مركز الاهتمام غير أن الفتح العربي جعل من هذه المدينة في أوائل القرن الثامن قلعة حصينة تتجمع فيها جيوش المسلمين وينطلق منها الفاتحون وورثت تونس آنذاك مزايا مدينة قرطاج وعرفت المدينة الازدهار والرخاء وعمرها المسلمون بالايمان وكان جامع الزيتونة المعمور أول مسجد جامع يعمر بالمدينة بأمر من القائد الفاتح العربي حسان بن النعمان ومع توالي الحكام والولاة شهدت المدينة نهضة عمرانية أهلتها اليوم لتكون واحدة من المعالم الأثرية العالمية المدرجة ضمن قائمة التراث العالمي التي تقرها المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) لما تحتويه المدينة من كنوز هي الشاهد الأول على عظمة الحضارة الاسلامية العربية.

ورغم أنه ليس من السهل على أحد أن يوجز سر وعظمة هذه الكنوز في صفحات عدة فإننا سنحاول - قدر استطاعتنا - التعرف على بعض من هذه الكنوز التي جعلت من المدينة كنزاً عالمياً.

في قلب المدينة العتيقة وعند ملتقى محورين رئيسيين الأول شمالي - جنوبي والثاني شرقي - غربي أسس أهم حرم في تونس، إنه جامع الزيتونة المعمور الذي يمثل جزءاً أساسياً من أجزاء المدينة العتيقة تحيط به الأسواق والمكتبات والعطارون ويتوافق تاريخ بناء الجامع مع تاريخ تشييد المدينة العتيقة.

وقد قام الأمير الأغلبي ابراهيم بن الأحمد (٨٥٦ - ٨٦٣) بإعادة بناء الجامع الذي كان يمثل فيما مضى مركزاً سياسياً ودينياً حيث كانت تبرم فيه العقود والصفقات التجارية إلا أنه مع مرور الزمن فقد هذه الصبغة الاقتصادية واقتصر نشاطه على المجال الديني، واصبح مركزاً لتدريس الشريعة الاسلامية ذا شهرة كبيرة تخطت حدود تونس فقصده طلاب العلم من كل مكان بعد أن خصصت المدارس المحيطة به لايواء هؤلاء الطلبة.

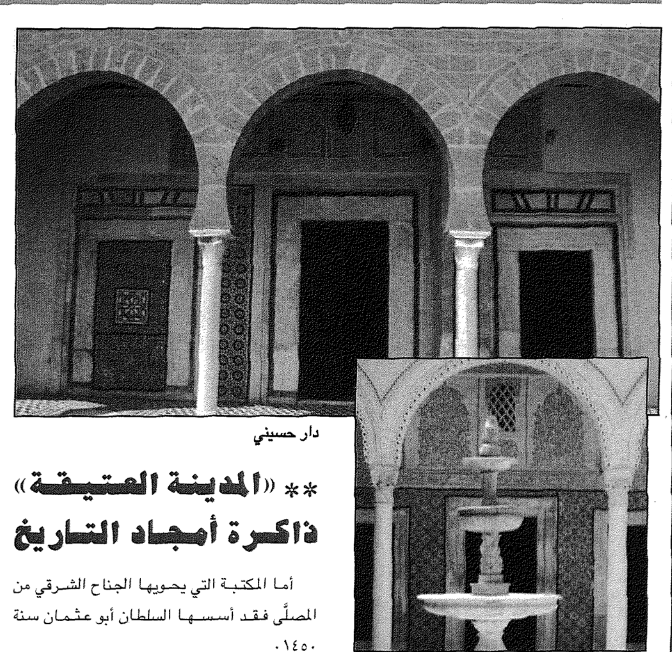
أما اليوم فإن جامعة الزيتونة العصرية تقوم بنفس الدور التعليمي الذي كان يقوم به جامع الزيتونة الذي واصل رغم ذلك اعطاء الدروس الدينية الى جانب وظيفته الأساسية كملتقى للمسلمين أثناء الصلوات الخمس أو عند صلاة الجمعة والأعياد.

ويعتبر جامع الزيتونة من الناحية المعمارية درة المدينة العتيقة وأروع طراز معماري عرفته المدينة إذ تحتوي القاعة الكبيرة على مالا يقل عن ١٨٤ عموداً يرى خبراء الآثار أنها قد تكون أخذت من الآثار

إعداد : أوس داوود يعقوب
- تونس -

القرطاجنية ووزعت في تصميم جديد. ومنذ ذلك الحين طرأت على المعلم عدة تحسينات أرادت كل عائلة حاكمة من خلالها أن تخلد بصماتها على هذا

جامع الزيتون المعمور درة المدينة العتيقة



دار حسيني

دار ابن عبدالله

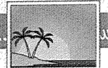
** «المدينة العتيقة» ذاكرة أمجاد التاريخ

أما المكتبة التي يحويها الجناح الشرقي من المصلّى فقد أسسها السلطان أبو عثمان سنة ١٤٥٠.

وفي بداية القرن السادس عشر أضيف إلى الواجهة الأمامية للناحية الشرقية رواق من الأعمدة القديمة، فيما تمثلت مساهمة في تحسين هذا المعلم في إضافة ثلاثة أروقة تحيط بثلاث جهات من الساحة، إضافة إلى بناء صمعة جديدة عوضت سنة ١٨٣٤ ببرج يبلغ طوله ٤٤ متراً وقد استوحي تصميم هذا البرج من صومعة جامع القصبة التي

الجامع الجليل.

ويتراءى للزائر مباشرة فوق المصلّى من جهة الساحة قبة البهو وهي إنجاز من أروع الانجازات المعمارية «الزريدية» للقرن الحادي عشر والتي تتعدد فيها الكواة (المشاكي) في انسجام بديع مع ألوان الحجارة.



تمتاز بطابع أندلسي بحت.

دار ابن عبد الله .. رحلة نحو الماضي:

ومن أهم كنوز المدينة العتيقة دار ابن عبد الله التي يرجع تاريخ بنائها الى ١٧٩٦ وهي تحفة معمارية فريدة من نوعها في المدينة العتيقة وقد تم تحويلها لمركز الفنون والتقاليد الشعبية التونسية. وتمثل زيارة هذه الدار أكثر من مجرد مغامرة.. انها رحلة في ماضي هذه الديار - القصور الفخمة - حيث يتغلغل الزائر في خاصيات الحياة العائلية الناعمة لسكان هذا المكان.

وبدخولنا الدار يحملنا ممر منعرج الى ساحة كبيرة غير مغطاة تنتشر حولها غرف الأسياد. التي أصبحت اليوم تمثل قاعات المتحف. أما مجموعة التحف الفنية فإنها تعكس نمط عيش البورجوازية التونسية في القرن التاسع عشر من خلال ذوق رفيع واختيار ذكي للبدلات التقليدية المطرزة بالذهب والجواهر والمرصعة بالحجارة الكريمة وغيرها من أدوات الاستعمال اليومي ذات الرقة والجودة العاليتين.

دار عثمان .. خصوصية أندلسية:

في نهج المبزع تقع دار عثمان التي تعد من أقدم قصور المدينة وأفخمها وقد بناها عثمان داي ١٥٩٤ - ١٦١٠ بعد غنيمة كبرى غنمها من احدى غزواته، وقد جعل (الدار - القصر) لاستعماله الخاص بعيداً عن (القصبة) - مقر الحكم آنذاك - ويحيط بهذا القصر كل من نهج المبزع ونهج الدباغين ونهج المجاهدين. وتمثل هذه الأنهج الثلاثة سوراً يفتح مباشرة على نهج المبزع كما بنيت أبواب تمنع الدخول إلى القصر. وقد شهد القصر وفاة عثمان داي سنة ١٦١٠ بعد أن قرر الإقامة فيها نهائيا. وتتميز دار عثمان بواجهة فخمة رائعة يعلوها عمادان متشابهان يفصلهما قوس مقصب ومزين بعقد من الحجارة الملونة. كما يوجد في كل واجهة من واجهاته الأمامية عمود منضد من الرخام أما جدران الدريبة (بهو الدخول) فهي متكونة من أقواس صغيرة تعلو مقاعد مبنية.

ويمتد فناء القصر بين بابين ضخمين تعلوهما خمسة أقواس مقصبة تحمل عقداً منحوتة في شكل أركان من اللونين الأبيض والأسود ترتكز على أعمدة ذات تيجان أندلسية. ويتواصل تتالي هذه الأقواس مغلقة.

دار الحداد.. أقدم قصور المدينة:

وفي زنقة «القلش» شيدت دار الحداد وقد كانت تلك الجهة تقع في القرن السادس عشر جنوبي ضاحية بني خرسان ولذلك فهي تعد أقدم الديار التي بنيت في المدينة العتيقة.

وقد كانت منذ بداية القرن الثامن عشر على ملك عائلة الحداد وهي عائلة غنية من أعرق العائلات ذات الأصل الاندلسي التي هاجرت إلى تونس في غضون القرن السادس عشر وقدمت للأندلس العديد من شيوخها واشتهرت في تونس بصنع الشاشية - غطاء رأس الرجل - .

وتتميز دار الحداد بطرافة تصميمها ودقة سلمها وبساطة ورقة زخرفها. وتطوق الساحة من الجهات الثلاث أروقة الدار ذات الأعمدة قدالة الشكل

بتيجانها الحفصية بينما تحتوي الجهة الرابعة على ثلاثة كواة مستطيلة يوجد تحت كل من الكوتين الجانبيتين مقعد حجري مما يزيد المنظر شاعرية وجمالا.

وينبهر المرء عند الصعود للطابق العلوي إذ يحتوي على رواق يطل على الجهات الأربع وفي كل ركن منه أعمدة ترتكز على قاعدة مكسورة الزوايا يربط بينها «درابيز» من الخشب المصقول والمنقوش. وقد صممت واحدة من ضمن الغرف الستة الموجودة في هذا الطابق بطريقة فنية غير معهودة، فهي عبارة عن غرفة رئيسية الوسط تحيط بها أربع مقصورات جانبية صغيرة.

دار حسين .. لوحات خزفية رائدة:

بنيت دار حسين في المكان الذي بني فيه قصر بني خرسان خلال القرن الحادي عشر وقد بناه اسماعيل كاهية وزير وصهر علي باي (١٧٥٨ - ١٧٨١) ثم سكنه في بداية القرن التاسع عشر يوسف صاحب الطابع وزير حمودة باشا.

ويجد زائر الدار نفسه بعد مروره بسقيفتين متعاقبتين في ساحة ذات أعمدة رخامية ايطالية الأصل كتلك الموجودة في «دار ابن عبد الله» أما الجدران فغلفت بخزف «القلالين» الذي يتجاوب مع لوحات فنية رائعة من الخزف في شكل محاريب ذات مزهريات خلابة. بينما تشهد ركائز الاعمدة - من النوع الكورتياني الحديث - على براعة النحاتين الايطاليين.

وتحتفظ القاعة الرئيسية ومخادعها بالتصميم الكلاسيكي وتحيط بها المقصورات في ثلاثة من الغرف التي تطوق الساحة. بينما تمثل الغرفة الرابعة نزوة من نزوات يوسف صاحب الطابع فهي غرفة ذات شكل شبه مربع تحتوي على المخادع التقليدية لكنها مغطاة بأقواس مجصصة على شكل مزهريات تنبثق منها باقات من الورود المنقوشة على صورة جدائل ملتوية تغلف الجهات الأربع للقوس الرئيسي.

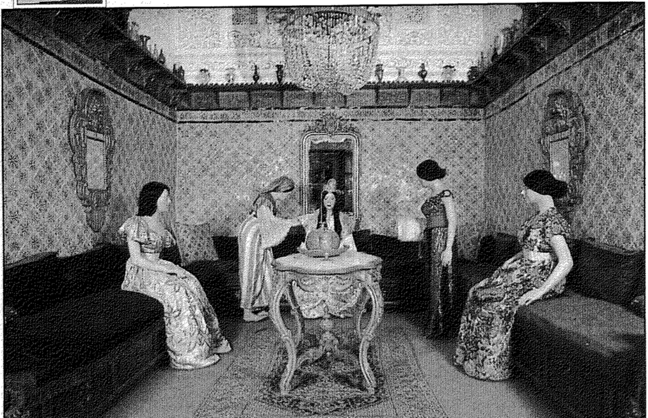
وقد ضمت «دار حسين» بعد ترميمها سنة ١٨٥٨ أول اجتماع لمجلس بلدي يترأسه الجنرال حسين ومن هنا جاءت تسميته بـ «دار العشرة» نسبة إلى الأعوان العشرة الذين كانوا يكونون المجلس.

وفي سنة ١٨٨٢ دخل الجنرال «فور جمول» تونس على رأس الجيش الفرنسي من «مقر البلدية» مركز القيادة العسكرية بعد أن استقر فيه صحبة قيادته العامة كما هيأت المقبرة المحاذية للقصر لتكون ساحة واصبحت تعرف فيما بعد بساحة القصر.

وقد أصبح هذا القصر إثر اعلان الاستقلال ١٩٥٦ مقراً للمعهد القومي للآثار.

دار الباي .. أصالة العمارة المغربية:

على آثار البناءات المرادية في المدينة العتيقة أقام ولي العهد الحسيني سنة ١٧٩٥ هذه الدار التي زودها بطابق إضافي رائع. وقد تميزت الغرف المحيطة بالفناء جنوباً وشرقاً بفخامة وروعة خاصة أن بناة الدار استقدموا نحاتين وفنانين مغاربة خصيصاً للقيام بلوحات منحوتة على الجبس زادت دار الباي بهاء على بهاء إضافة الى النحوت والزخارف الاندلسية التي تعكس بصمات الفنانين الاسبانيين.



غرفة الحريم في دار ابن عبدالله

** تحف معمارية جعلت من المدينة كنزاً عالميا

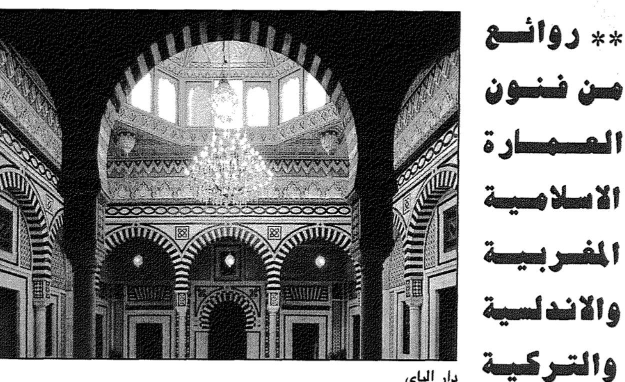
إلا أن أولياء العهد كانوا يفضلون الإقامة في قصر «باردو» على الإقامة في دار الباي التي تحولت إلى دار للضيافة. إلا أن هذا القصر فقد قيمته كقصر للضيافة غداة انتصار الحماية الفرنسية في تونس ١٨٨٢ ـ ١٨٨٣ إذ أقيمت به الأقسام الإدارية بعد نقلها من قصر «باردو» وقد تحولت دار الباي بعد الاستقلال إلى قصر للحكومة.

تربة الباي.. من آثار الامراء الحسينيين:

في نهج حمل اسمها تقع «تربة الباي» في الجهة الغربية من المدينة العتيقة وهي تعتبر تربة فريدة من نوعها في تونس فواجهاتها الخارجية مزينة بالجص المستصفر وبأحجار وأعمدة ايطالية أما القباب التي تعلو الشرفة فإنها تتتالى وتتعدد بتعدد الغرف التي يحتويها هذا المعلم الذي يعود بناؤه إلى عهد الأمراء الحسينيين منذ كان علي باشا الثاني (١٧٥٨ ـ ١٧٨٢) أميراً على تونس.

وتحتوي هذه التربة الى جانب أضرحة العائلة الحاكمة على قبور وزرائها وخدمها الأوفياء ولما كان لأولياء العهد شغف كبير بكل من يشهد له بالبأس والقوة فقد خصصت لهم في هذه التربة قبور إما في الباحة (الساحة) أو قاعات خاصة. وأهم ما يجلب

** روائع من فنون العمارة الاسلامية المغربية والاندلسية والتركية



دار الباي

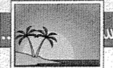
الانتباه بين كل غرف التربة - التي كانت تتوسع كلما دعت الحاجة الى ذلك - غرفتان تتميزان بخاصيات فريدة. إذ تحتوي الاولى على قبور مبلطة بالرخام الايطالي الملون، أما الغرفة الثانية فتغطيها قبة كبيرة بيضاوية الشكل مما جعل خاصيتها المعمارية أهم من خاصيتها التزويقية.

وتغطى القبور المنحوتة في الأرض بصناديق رخامية غنية بالنقوش تعلوها أعمدة رخامية «موشورية» مبلطة تحمل بالنسبة لقبور الرجال شكل «عمامة» أو «طربوش» من الحجارة المنحوتة أما قبور النساء فتحمل من جهة الرأس صفيحتين على كل واحدة منهما كتابة منقوشة.

تربة عزيزة عثمانة:

في زنقة الشماعية في قلب المدينة العتيقة تقع تربة خاصة بأميرة خيّرة أحبها التونسيون هي الأميرة عزيزة عثمانة المشهورة بأعمالها الخيّرة إذ اعتقت قبل وفاتها سنة ١٦٦٩ جميع عبيدها وخصصت جميع عقاراتها وأموالها «وقفا» للأعمال الخيرية، فأنشأت المستشفيات والصناديق المالية لتعتق بقية العبيد وفداء الأسرى وتجهيز الفتيات الفقيرات.

كما خصص جزء من ايرادات «الاوقاف» لشراء الورود لأن أمنيتها الأخيرة قبل وفاتها كانت أن توضع الزهور كل يوم على قبرها. وما أن يدخل المرء مدرج التربة حتى يفضي الي بهو مستطيل يطل على ضريح ينقسم الي ثلاثة أجزاء حيث يوجد ضريح الأميرة عزيزة عثمانة وخدمها. وعلى الشمال توجد غرفة خادميها وعائلتهما الجنازية. ويتميز الجزء الرئيسي لهذا الضريح بزخرفة هائلة من خزف



«القلالين» الملون يكسي الأرض والحائط وكسا الجص المنقوش كامل القبة من الداخل.

ومباشرة أمام بهو الدخول يوجد حائط خشبي يعوض الحائط الحجري في قاع الغرفة ويفصل بين تربة عزيزة عثمانة وزاوية الولي الصالح بن عروس.

ضريح سيدي بوخرسان.. آخر آثار بني خرسان:

تزخر المدينة العتيقة بأضرحة الأولياء الصالحين ولعل أشهر هذه الأضرحة ضريح سيدي محرز بن خلف وضريح سيدي قاسم الجليزي وضريح سيدي بوخرسان يقع في نهج بن محمود جهة الأسوار الشمالية الشرقية للمدينة.

ورغم أنه لم يبق من المقبرة التي تخلد سلالة بني خرسان الذين حكموا بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر إلا هذا الضريح بنصبه الجنائزية التي تشد الانتباه لما عليه من مخطوطات قيمة رغم ذلك فإن الضريح يحظى بعناية فائقة لتأثره بالمعمار الكلاسيكى المغولي ويعود تاريخ بناء هذا المعلم الى القرن الحادي عشر وترتكز القبة الكروية الرئيسية على موائد حجرية مستديرة مرفوعة بدورها على قاعدة مربعة الشكل مسندة إلى اربعة دعائم ضخمة.

جامع يوسف داي .. تحفة العمارة التركية:

في قلب الأسواق العتيقة شيّد الأمير يوسف داي ولي العهد الذي ورث عن والده عثمان داي بلداً مزدهراً منظماً جامعاً في بداية القرن السابع عشر إذ أراد أن يكون للأتراك الذين أصبحوا أكثر عدداً ويتمتعون بوضعية سياسية مستقرة أن يكون لهم مسجد يقيمون فيه صلواتهم على المذهب الحنفي - لأن سائر البلاد على المذهب المالكي - فكان أن شيد مسجده هذا الذي يعتبر المثال الأفضل لما حققه يوسف داي (١٦١٠ - ١٦٣٧) من إنجازات رائعة في ميدان الهندسة المعمارية. وان كان هذا الجامع التركي الأول في المدينة العتيقة لا يختلف في معماره عن بقية الجوامع الأخرى الموجودة آنذاك إلا أنه يتميّز في استبدال المنبر الخشبي بالمنبر المبني إلى جانب السدة (مصطبة عالية) التي يجلس عليها (الشيخ مرتل القرآن) إضافة إلى الشكل الجديد.

وهو ذو تخطيط مربع تحيط به أقواس عالية من كل جانب ترتفع بينها طوابق كبيرة ومنبسطة تزين أركانها أعمدة تزيد المكان بهاء وجلالا. وتحتل الصمعة الجهة الشمالية الشرقية من الجامع وترتفع إلى أعلى قاعدة مربعة. ويعد هذا النوع من الأصمع الثمانية الأضلاع الأول من نوعه في تونس والذي أثر عميق الأثر في تصميم الأصمع التركية فيما بعد. وتنتهي هذه الأبراج بشرفة مستديرة مغطاة بإفريز من الخشب وفوق هذه الشرفة توجد كوة ذات سقف قرمدي هرمي الشكل تمكن النور من التسرب إلى الداخل.

ومهما تحدثنا عن كنوز مدينة تونس العتيقة فإنه لا يمكننا الإحاطة بهذا الكنز الحضاري الملتف حول جامع الزيتونة من أنهج منازل أعيان وقصور للضيافة وخزانات الماء والمخازن وورشات العمل والمدارس والمقابر والحدائق والأسواق وغيرها من المعالم التي تزدان بها المدينة كأبهى وأجمل مدن العالم الإسلامية التي حافظت على رونقها وطابعها الأصيل رغم القرون الثلاثة عشر التي مرت عليها.

الشيخ / علي الطنطاوي

حين تلقيت نعي الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ على الطنطاوي خُيّل إليّ أني تلقيت نعي أحد أفراد عائلتي، لأن صلتي الروحية به، كانت من الصلات الحميمة التي ترتبط بها النفوس لمعنى إنساني يفوق كل المعاني الرسمية المصطلح عليها، إذ كان في حميته الدينية وغيرته الاسلامية وتوهج مشاعره العربية ما يجعلني أتذوق خواطره تذوقا عذبا، وقد تكون هذه الخواطر غير جديدة على مثلي، بل هي مما استكنت في الفؤاد، وتغلغلت في الأعماق، ولكني حين أطالعها بقلم كاتب مؤمن متقد الأحاسيس أحس أني كشفت طيات متراكمة كانت تغلف أعماقي الدفينة، فجعلت أنزعها ورقة خلف ورقة حتى بدت السرائر شفافة رفافة! وكنت آخذ عليه شدة هجومه على مخالفيه، وأعدّ ذلك تسرعا لا موجب له، ولكن مرور الزمن بعجائبه المدهشة جعلني أستسيغ هذا الهجوم في بعض مناحيه إذ أجد نفسي أحيانا أمام أناس يتنكرون لأشرف مبادىء الاسلام، ويعدونها تقهقرا للوراء، جريا وراء أهواء جامحه مريضة، وصاحب الأهواء المغرضة لا يعنيه دليل منطقي، أو يفحمه برهان عقلي بل يسدر في غلوائه متبجحا متطاولا ولابد لهؤلاء من غضبة مضرية يقوم بها كاتب متوهج الأحاسيس من أمثال على الطنطاوى وأبي الحسن الندوى ومحمد الغزالي ممن رزقوا مع قوة الإيمان وصلابة اليقين حرارة الأسلوب وقوة الدليل.. أذكر أن أحد هؤلاء الأغرار تحدث عن الإسلام مهاجما في حضرة إمام كبير هو الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي شيخ الإسلام في مصر لمدى طويل، وقد ظن أن الإمام سيحتفل بالرد عليه في المجلس المشهود، ولكن الشيخ نظر إلى جلسائه وقال في ألم: إن الإسلام خسارة أي خسارة أن ينتسب إليه أمثال هؤلاء، هو أعلى قدراً من أن يعزى إليه كل أفاق ممسوخ، إذ لا يجب أن ينتسب إلى الاسلام إلا كل رجل شريف! وأطرق الشيخ محركا رأسه في امتعاض، وأحس المتطاول بحرجه فانسحب من المجلس ونظرات الازدراء تنوشه كالسهام!.

عرفت الأستاذ الطنطاوى أول ما عرفته من مجلة الرسالة إذ كان كاتبا مرموقا من كتابها الكبار، وهم حينئذ من أعلام المفكرين في الشرق العربي، غير أن اتجاهه الصارخ كان يضعه مع الكوكبة المؤمنة من كتابها أمثال مصطفى صادق الرافعي ومحمد أحمد الغمراوي ومحمود محمد شاكر وعبد الوهاب عزام وعبد المنعم خلاف، وكلهم خيار من خيار وقد يفوقهم في ترصده لكل نزوة تصدر من كاتب مسرع، فيناقشه الحساب مناقشة دقيقة غير عابئ بمكانته الرسمية في وظيفته اللامعة، مع شدة يحاول الأستاذ الزيات أن يلطف من حدتها بحذف ما يراه إيغالا في التهكم، وحسنا فعل، لأن المنطق الأصيل يبلغ من قارىء الرسالة مالا يبلغه اندفاع عاطفي قد يُضائل من سلامة الاتجاه، والطنطاوى يحمد لصاحب الرسالة ما صنع، ويكتب إليه شاكرا.

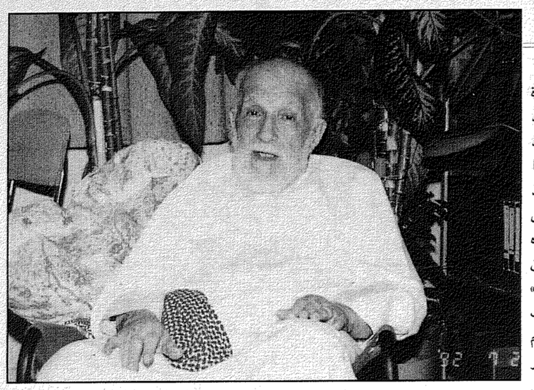
وأول لقاء شخصي لي مع الأستاذ على الطنطاوي كان في منتصف الأربعينيات تقريبا، حيث انتدب الأستاذ لمدة عامين في بعثة قضائية لدراسة أحوال المحاكم المصرية مع زميل له من رجال القضاء السوري أظنه الأستاذ نهاد القاسمي، وكانت فرحته كبيرة بلقاء أسرة الرسالة وصاحبها الأستاذ أحمد حسن الزيات فكان لا يكاد يترك إدارة المجلة إذا انتهى من عمله

بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية ـ الأزهر ـ

الرسمى في زيارة المحاكم المختلفة، وقد رحب به الأستاذ الزيات ترحيباً كبيرا تحدث عنه الأستاذ الطنطاوي في بعض مقالاته، كما أخبره الزيات أن مقاله عن «الأدباء الرسميون» كان موضع غضب من الأستاذ الجارم إذ ظن الشاعر الكبير أنه هو المعني بكلمتي (المفتش الكبير) وهو ظن له ما يبرره لأن الأستاذ الطنطاوى حمل من قبل ذلك على الأستاذ الجارم حين نقد بعنف قصيدته التى ألقاها في حفلة التأبين الخاصة بالملك غازى ببغداد ومطلعها:

بكينا النضار الحرَّ والحسب العدا
بكينا فما أغنى البكاء ولا أجدى

وقال إن معانيها مأخوذة من دواوين الشعراء السابقين، ثم جاءت العطلة الصيفية للأستاذ الزيات فسافر إلى قريته بالدقهلية، وترك للأستاذ الطنطاوى أن يشرف على تحرير الرسالة مدة غيابه، وكنت أرسلت للرسالة مقالا تحت عنوان (الغزل في شعر المرأة) فنشر سريعا، ثم أرسلت المقال الثاني وظهرت عدة أعداد دون أن ينشر بها المقال، فتوجهت إلى دار الرسالة لأرى الأستاذ الطنطاوى يجلس على مقعد الأستاذ الزيات ويدير شئون التحرير، فتقدمت إليه ذاكرا اسمى وسائلا عن المقال المحجوب، فقال الطنطاوى مبتسما، إن المقال الأول رائع رائع وقد نُشر سريعا لطرافته، ولكن المقال الثانى يتحدث عن شعر الجوارى وأشباههن وفيه من الغزل المكشوف مالا يجوز أن يظهر في مجلة الرسالة، قلت متسرعا، ولكنه ليس مكشوفا إلى الحد الذى يجعله محرما على القراء،



الشيخ على الطنطاوي

وقد قرأت للأستاذ الطنطاوى استشهادات مماثلة، فتوقعت أن يغضب، ولكنه ضحك، وقال نعم فعلت ذلك، حين كنت في مثل عمرك الصغير، ولكني استغفر الله مما صنعت، ووالى ابتسامه وهو يقول، أذكر أنى كنت معجبا كل الإعجاب بقصائد الشريف الرضى التى تسمى بالحجازيات، وفيها وصف بارع للحاجات من الحسان، وحنين الى مطارح الصبابة في مكة ومنى وسلع والخيف، ثم بدا لى بعد أن مدحت هذا الاتجاه أننى كنت مخطئا في الإعجاب به، وما أظن الشريف على جلالة قدره إلا كان مقلداً للشاعر الأموى عمر بن أبي ربيعة، وهو شاعر غير ملتزم، وقد فتح بذلك مجال القول في أماكن الحج لأمثال مهيار الديلمي، والابيوردى والطغرائى، فقالوا كثيرا دون تحفظ، لذلك أعلن الآن رفضى لهذا الاتجاه، وأرجو أن تسمح لي بحذف بعض الأبيات (الجارحة) من مقالك، لأنشره في العدد القادم، فقلت له الأمر أمرك، وفعلا ظهر المقال الثاني بعد حذف يسير، أعجبت بالأستاذ حين وجدته ينقد نفسه نقدا ذاتيا، إذ يقرر رجوعه عن رأيه في الحجازيات وأنا لا أقره على هذا الرجوع لأن الشعراء يقولون مالا يفعلون، ولكنى أقدر الصدق مع النفس،

وهو من طبيعة الشيخ على الطنطاوى، عرفت ذلك في موقف آخر، فقد كنت ذات مساء في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، فشاهدته يجلس مع الأستاذ عبد المنعم خلاف، وكان قد كتب مقالا شديد اللهجة خاصا بنقد الأستاذ أمين الخولى تجاوز فيه النقد إلى الناقد، إذ أن الأستاذ الخولى قد تورط في الدفاع عن رسالة جامعية أشرف على إعدادها تحت عنوان (القصص الفني في القرآن) وقد رفضها زميلاه في الجامعة الأستاذ أحمد أمين والأستاذ أحمد الشايب لأنها تجعل القصة القرآنية أدبا فنيا لم يلتزم الصدق الواقعى، وهذا خطأ صريح، ثارت من أجله عشرات الأقلام في مصر، وأدلى الأستاذ عليٌ بدلوه، فعمد إلى تجريح الأستاذ أمين الخولى إذ قال من كلمة نشرها بمجلة الرسالة بالعدد الصادر في ١٩٤٧/٩/٢٢م موجها الخطاب للأستاذ الخولى:

«أغرّك حلم الله عنك، وأنه مدَّ لك حتى صرت تُعطي الدكتوراه، وأنت لم تأخذها، وتمنح العلم وأنت لا تملكه، وتؤلف في البلاغة وما أنت منها في شيء، ولا أثر عنك بيان غطّى على بيان الجاحظ وأبي حيان والرافعي والزيات ولا أنت صاحب نثر ولا شعر، وقصارى أمرك أنك أدخلت على طلاب لا يفهمون من البلاغة شيئا، فمخرقت عليهم وزعمت لهم أنك إمامها ومؤذنها وخطيبها» الى آخر ما ينحو هذا النحو.

أجل كان الأستاذ الطنطاوي قد كتب هذا المقال قبل أن ألقاه بالجمعية بيومين، فرأيتها فرصة طيبة لمجاذبته الحديث، وسلمت عليه، فردّ التحية بأحسن منها، ثم هجمت على الكلام دون مقدمة، فقلت له إن مقالك عن الأستاذ الخولى لم يصادف ارتياح الكثيرين، لأنك تحدثت عنه ونسيت الموضوع الأدبى الذي دار حوله النقاش، وكان الأولى أن تتجه إلى مناط الخلاف فتكشف عنه ببيانك المعهود، قلت ذلك، وانتظرت أن يغضب لهذا الهجوم الذى توقعته سلفاً، ولكنى فوجئت به يضحك ثم يقول: هذا بعض ما تحدث به الكثيرون ممن لاقيتهم، حتى أخى خلاف هذا؟ وأنا قد تسرعت فعلا، ولكن لذلك سببٌ لا شعورى لم أستبنه من قبل، وتهيأ لى الآن، فقد دارت شبه معركة بينى وبين الأستاذ الخولى منذ أعوام على صفحات الرسالة بشأن صلة الفقه الإسلامى بالقانون الروماني، إذ ذهب الأستاذ الخولى إلى تأثر هذا الفقه المحمدي الصريح بقانون جوستيان، وعزّ عليَّ ذلك فهاجمته هجوما حذف الأستاذ الزيات بعضه، وكان كأنه نار تشتعل، وعزَّ عليَّ ألا أفضى للقراء بكل ما أريد أن أقول عن الشيخ الخولى، وكتمت السهم في كبدى كما يقول شوقى، فلما حانت فرصة الحديث عن القصص الفني اندفعت لا شعوريا باحساسي القديم. فكتبت شبيها بما حذفه الأستاذ الزيات، وخيّل اليّ أنى شفيت صدرى، ولكنّ ما وُجه اليّ من نقد سيعيدني إلى الصواب، هكذا قال الرجل الصريح.

الحق أنى أعجبت بالأستاذ سلوكا كما أعجبت به أدبا، فهو سهل العريكة في حديثه، يستمع إلى الرأى المخالف فيحتفل به، ويخيل اليّ أن اندفاعه الكتابي في بعض الأحيان يأتي من تأثير عاطفة حادة تملك عليه مشاعره، فلا يستطيع انفلاتا من توهجها الحار، وقد عرفت أنه كان بدمشق أيام الثورات السياسية خطيبا ذا شأن، والخطيب لا يفكر كثيرا فيما يتحدث به، كما يفكر الكاتب المتئد، وهنا سيطرت الروح الخطابية على بعض آثاره، وهى روح محمودة دون نزاع، لأن الرجل ينقل عن إحساس صادق، ولا يموه على سامعيه، ولابد أن يجد المخالف، إذ لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة.

ثم مضى أكثر من عشرين عاما لم أقابل الشيخ، حتى هيئت لي الرحلة إلى المملكة العربية السعودية أستاذا بجامعة الإمام محمد بن سعود، فعلمت ذات ضحى أن الأستاذ الطنطاوى يجلس في حجرة المدرسين مع نخبة من الزملاء حيث وفد زائرا للرياض لبضعة أيام، فأخذنى شوق الى لقائه، ولم يبدُ عليه أنه يعرفنى، وهو طبيعى في ذلك إذ لا تكفى مقابلتان عابرتان منذ زمن بعيد لأن يتذكر شاباً بين مئات من الشباب ناقلوه بعض الحديث، فجلست مستمعا، ولكن الرجل سأل عنى، فذكرت له اسمى فرحب بي ترحيبا كبيرا، وقال متواضعا يا أخى نحن زملاء في أسرة الرسالة، قلت يا سيدى لسنا زملاء فقد كنت في

الأسرة أستاذا كبيرا، وأنا تلميذ ناشيء، فضحك وقال كم من تلميذ فاق الأستاذ، قلت له ولكن في غير أساتذة الرسالة! وكان الشيخ أيامها صاحب برنامج تليفزيونى شهير يجيب فيه أسبوعيا على أسئلة القراء، وكنت حريصا كل الحرص على استماعه، لأنه لم يكن خاصا بالفتاوى الدينية وحدها، ولكنه يشمل شئونا من أنواع الثقافة الإسلامية أدباً وتاريخا ولغة، ومَنْ مثل الطنطاوى في أحاديث الأدب والتاريخ، وقد لاحظت أنه فى بعض إجابته عن السؤال الديني، يذكر حُكمين مختلفين، فيقول أجاز الشافعى وحرّم مالك، وهذا ما يوقع السامع في لبس، فقلت له يا سيدى أنا أتابع برنامجك الرائع في شوق لا حد له، ولكنك فى بعض الأحيان تذكر حكمين مختلفين في المسألة الواحدة، ويخيل اليّ أن الاقتصار على ما يكون راجحا لديك أولى، فهز الرجل رأسه كالذى يخفى لواعج في نفسه، وقال في نبرة حزينة يا أخى! ماذا أصنع؟ إذا ذكرت الرأى الذى استريح له، أجد من يكتب في الصحف لا مخطئا فقط، بل مُسَفها وموبخا، وأجد من يستعدى عليَّ المسئولين، وكأنى أخطأت في كتاب الله، واضطر الى الرد، ثم رأيت أن أذكر الحكمين معا، ليعلم من يعترض أنى أجبت عن بحث، وأنا لا أترك الأمر مضطربا بل أرجح ما عنَّ لي ترجيحه، وقد عانيت في سوريا أثناء القضاء بعض ما أعانى الآن.

وكان السامعون لحديث الشيخ في يقظة تامة، فأخذوا يباركون اتجاهه، ويسألون له التوفيق والسداد، أما ا اللقاء الأخير فقد كان (بجدة) في منزل صهره العزيز الأستاذ نادر حتاحت حيث صحبنى الى زيارته نفر من الكرام أذكر الأساتذة عبد الفتاح أبو مدين ومحمد على دولة، ومجد مكى، وقد كان الشيخ هادئا يجلس على كرسيه متأملا وكأنه حين قابلنى يستذكر تاريخ شبابه في مصر حين كان طالبا بدار العلوم، وتاريخ كهولته حين كان مندوباً لوزارة العدل، وقد قرأت في وجهه معانى كثيرة جاش بها خاطرى، وكأنه أراد أن يزيل ما استشعرته من الهيبة، فقال لا أزال أذكر مقالاتك بالرسالة التى كنت أحرص على نشرها حين قمت مقام الزيات في رئاسة التحرير، وتدفق الحديث، فأخبرته بأن تمثيليته (أبو جهل) التى نشرها بالسنة الثالثة بمجلة الرسالة قد سبقت كتاب (محمد) لتوفيق الحكيم، وهو عدة مشاهد من السيرة النبوية سيقت في نسق تمثيلي، فابتسم الرجل وقال: هذا صحيح، ولم يلتفت إليه غيرك، قلت له من يدرى فمثلي كثيرون ممن يتابعون آثارك؟ ثم تطلع إليَّ قائلا: وماذا من هذا القبيل لديك؟ قلت: إنك أول من دعا إلى كتابة مؤلف عن الدين الإسلامي سنة ١٩٣٨ يصلح أن يترجم الى اللغات الأوربية من ناحية، وأن يكون زاداً للشباب الغافل الذى لا يستطيع أن يقرأ كتب التراث لصعوبة منحاها وقد دعوت كُتّاب الرسالة إلى كتابة هذا المؤلف مبتدئا بالفصل الأول. وكان الفصل الثاني بقلم صديقك الأستاذ محمد بهجت البيطار، فشد الرجل على يدى، وقال لم أجد من يتابع القول بعد الشيخ بهجت، فرأيت أن أنفرد بالتأليف، وقد ظهر الكتاب، وطبع عدة طبعات وسأهديه إليك مع مجموعة متواضعة من مؤلفاتي! ولعلي أذكر أنى اقترحت عليه أن يجمع مقالاته الخاصة بمصر لتنشر في كتاب مستقل، كما فعل في كتبه عن دمشق وبغداد ومكة فرحب بالفكرة، ولم أشأ أن تفوت، فقد بحثت عن هذه المقالات في مجلدات الرسالة، وكتبت فهرسا عنها يشمل أرقام الأعداد وتاريخ صدورها، وأرسلته إلى صهره الأستاذ نادر حتاحت، ولا أدرى إذا كان قد نشر ما وعد بنشره من هذه المقالات أم حالت دون ذلك موانع هو أعلم بها! لقد واصلت ذكريات الأستاذ لأسليَّ عنه راجعا إلى ذاكرتي المتواضعة، وما فاتنى أكثر مما ذكرت فكان مجلسا تاريخيا يذكّر بتغيرات مجهولة في تاريخ الرجل المجيد، وحين رجعت الى الفندق، وجدت رسول الأستاذ الطنطاوى يحمل صندوقا يجمع مؤلفاته كلها، وهو هدية لا أقدر أن أفى حقها من الشكر، على أنى حرصت على أن أبلغه تحياتى مع كل وافد من جدة وإليها، وأحسن ما سرّنى من إجابته على هذه التحيات هو ما قاله الأستاذ مجد مكى من أنه يدعو لى! وأكرم بدعوته وساماً روحيا أسعد به وأعتز.

هذا بعض ما يحضرنى عن الراحل الكريم، وقد أرجع الى حديثه بعد حين.

فقيد البيان
«علي الطنطاوي»

مات البيان فأين أين بياني ... بالأمس مات فقيهنا في عصره[*]

ياليتها تجري به ألحاني ... واليوم غاب بليغنا المتفاني

الشيخ مات فودعي يا أمتي ... عاش الحياة مجاهداً في ثغره

شيخ البيان العالم الرَّباني ... وبدينه قد هام في الأوطان

ماذا سأكتب والقصيدة ودعت ... باع الحياة مطلقا لذَّاتها

تبكي زمان الذل والإذعان ... وهوى الممات بطاعة الرحمن

ماذا سأكتب هل يطاوعني فمي ... قد كان يدعو للجهاد بقوله

والقلب شُلّ بسرعة الخفقان ... وبفعله ويصيح يا إخواني

ماذا سأكتب والحروف تاكلت

والشعر ملَّ مرارة الأحزان

شعر : أبو عبدالرحمن حفيظ الدوسري
ـ السعودية ـ

هذي هـي الذكـرى تلوح بخـاطري
والـذكـــريات طغت على أوزاني
مـازلت تكتب ذكـرياتك مـسـعـفـاً
بالخـيـر من صـدق ومن إحـسـان
حـتى قـرأناها فـأعـجـبنا الذي
قـد كـان يجـرى منك في الريعـان
ولكم غـنـمـنـا حـين كنت تـزيـنـا
علمـاً وترفـدنا بغـيــر تواني
أمطرتنا فـأفـدتنا يا شـيـخنا
وكـســوتنا حُللا من الإيمان
علمـتنا الإخـلاص في كلمـاتنا
وسـقـيـتنا نبـعـاً عـزيز الشـان
يا شـيخ كنت مـعلمـا ومـهـذبا
تحنو على الدنيـا بفـيض حنان


الشيخ الطنطاوي مع أحفاده

قـد كنت تبكي القدس وهي جريحة
وتقـول أين كـتـيـبـة الشـجـعـان
قـد كنت تحـرص أن تكون كـوحـدة
أو مـثلمـا البنيـان للبنيـان
قد كنت تروي سيرة الأصحاب في
تـاريخك المملوء بالريحـان
قـد كنت تسبـقنا إلى ركب العـلا
سـيـان أشـيـاخي مع الشـبـان

---

[*] سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - عليه رحمة الله ورضوانه -

قراءة في آثار الشيخ (علي الطنطاوي)

رحمه الله تعالى - (١٣٢٧ - ١٤٢٠ هـ)

تعد وفاة الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالي - خسارة عظيمة للأمة العربية والاسلامية ، فبموته فقدت الساحتين الدينية والأدبية علما بارزا من أعلامها ، ظل يخطب ويكتب ويجاهد أكثر من نصف قرن ، فما فترت عزيمته ، ولا لانت قناته علي كبر سنه وضعف بدنه .

،الطنطاوي الشـيـخ والأديب والفـقـيـه والمؤرخ موسوعة عظيمة لا يعرف قدرها الا من نهل منها أو استمع الي حديثها أو قرأ في صفحاتها

ولد الطنطاوي في دمشق في حي (العقيبة) وبها نشأ وترعرع وتعلَّم في مدارسها ونال شهادة الثانوية من (مكتب عنبر) أحد منارات العلم في ذلك الوقت ، وتلقي علومه علي أشهر أساتذة الشام في ذلك الوقت أمثال : عبدالرحمن سلام البيروتي ، وسليم الجندي ، وقدري باشا ، ومحمد النبرم - رحمهم الله جميعا - وكانوا يعلمون الطلاب العلم والعمل معا . وقد كتب الطنطاوي - رحمه الله - عنهم قائلا : « لقد أقام الشيخ سلام معنا أشهرا ثم عاد إلي بلده ، فعين أمينا للفتوى في لبنان ، وجاءنا من بعده الأستاذ سليم الجندي ، لقد ماتا وما أعرف تحت قبة الفلك أعلم منهما بالعربية وعلومها ، ولقد كانا أشد المدرسين تأثيراً في تكويني اللغوي والأدبي ، رحمة الله عليهما وعلي أساتذتنا جميعا . أما المبارك فقد كان الامام في اللغة ، والمرجع فيها ، قيد أوابدها وجمع شواردها ، وحفظ شواهدها ،وكان أعلم العرب بالعرب ، عرف أيامهم ، وروى أشعارهم ، وكان المفرد العلم في بابه ، لا أعرف نظيرا له في العلماء ، تحس إذ تجالسه وتسمع منه كأن الأصمعي وأبا عبيدة قد تمثلا لك في جبته ، وكأن ماكنت تقرؤه من أخبار الرواة والحفاظ ، قد عاد لك حتي رأيته بالعيان . لقد كثر اليوم الأساتذة من حملة الشهادات وأصحاب الدكتورات ، ولكن ذلك الطراز لم يعد له وجود . أما درسه ، فما حضرت علي كثرة ماحضرت من الدروس درسا أكثر منه حياة ، وأبقي في نفس سامعه أثرا ، إن نغمته لا تزال إلي اليوم في أذني وكلماته في قلبي » (١)

وعلي مثل هذه الصفوة المباركة من الأساتذة تلقي الطنطاوي علومه وجد واجتهد وأقبل علي الكتاب يقرؤه قراءة فهم وعقل ، حتي أصبح الكتاب أنيسه وجليسه وخليله ورفيقه ، يقول عن نفسه : « لقد قرأت قبل (مكتب عنبر) وفي سنواتي الأولي فيه كتبا لا أكون مبالغا ، ولا مدعيا مغرورا ، إنْ قلت إن في الأساتذة اليوم من لم يقرأها ، ذلك أني كنت أمضي وقتي كله ، إلا في ساعات المدرسة ، في الدار ، لم أتخذ لي يوما رفيقا من لداتي ، ولا صديقا من أقراني ، ولم أكن (بحكم تربيتي ووضع أسرتي) أعرف الطريق إلي شيء من اللهو الذي كان يلهو بمثله أمثالي ، فلم يكن أمامي عمل أنفق فيه فضل وقتي وأشغل به نفسي ، إلا المطالعة . وكانت في دارنا مكتبة كبيرة ، وهي دانية مني ، كتبها كلها تحت يدي ، ولم أكن (لشغل أبي عني) أجد من يرشدني ويدلني ، لذلك كنت أسحب الكتاب لا أدري ماهو، فأفتحه فأنظر مافيه ، فإن لم أفهمه ، أو فهمته ولكن ما أسغته ، أعدته ،



بقلم : أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي
- السعودية -

وقد علق في ذهني اسمه ، وإن فهمته وأسخته قرأته » (٢)

لقد ربى الطنطاوي - رحمه الله تعالي - نفسه تربيه دينية وفكريه وعقلية ، وغذّى نفسه بأنواع العلوم المختلفة ، التراث العربي بكل فنونه ، والآداب الأجنبية التي وقف عليها بذاته واختار منها ما يناسب عقيدته السلفية وتربيته الملتزمة . لم يكن - رحمه الله - يتعلم أو يعلم اللغة والأدب علي أنه حمل لابد أن يلقيه عن عاتقه ، بل علي أنه جمال وذوق لابد أن نكتشفه ونتذوقه ، يقول : « كنت أدرس الأدب لا علي أنه واجب مدرسي ، بل علي أنه إمتاع نفسي ، كنت أشعر الطلاب لذته وجماله ، وإن لم أقصر في إكمال المنهج ، وإعداد أسباب النجاح في الامتحان . وكنت مع طلاب أولي ذكاء وفطنة ، وأدب وتقدير للمدرس ، ففتح الله عليَّ بأشياء ألهمتها وما سبقت إليها ، منها أن كتب تاريخ الأدب التي كانت تدرس يومئذ في المدارس في مصر وفي غيرها ، كانت تنسب لابن المعتز الموشح المشهور :

أيها الساقي إليك المشتكي
قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غُرته
ويشرب الراح من راحته
كلما استرسل في سكرته
جذب الزقَّ اليه واتكي
وسقاني أربعا في أربع

فأمليت علي الطلاب شكي في نسبة هذا الموشح إلي ابن المعتز ، ودللت علي ذلك بأدلة منها : أنه لا يشبه أسلوب ابن المعتز ، الثاني : أنه لو كان له لقلده شعراء من أهل عصره ولكثرت الموشحات ، ولم يجيء فلتة لا نظير لها ، وأدلة أخرى أمليتها عليهم ثم مرت الأيام ، فتبيَّن للباحثين أن الموشح ليس لابن المعتز»[٣].

بعض مؤلفات الشيخ علي الطنطاوي

وقد استطاع الطنطاوي - رحمه الله تعالي - أن يمسك بالقلم في سن مبكرة ويدخل في عالم الصحافة ، ففي عام (١٣٤٤) نشر مقالة في مجلة (المقتبس) ورحل إلي خاله العالم الأديب محب الدين الخطيب - رحمه الله تعالى - في مصر ، وشارك في تحرير مجلتيه : الفتح والزهراء (٤)

لقد كتب الطنطاوي مئات المقالات وعشرات الكتب وكان بارعا في أسلوبه ، ماهرا في جذب نفوس الناس الي مادته ، وقد تأثر بأئمة الأدب الذين قرأ لهم مثل : طه حسين وأحمد حسن الزيات والعقاد والمنفلوطي ومحمد كرد علي وخير الدين الزركلي وغيرهم من شعراء وكتاب وعلماء دين .

يقول رحمه الله عن محمد كرد علي : « أما محمد كرد علي فهو أستاذنا وأستاذ كل من خط في الشام بقلم في مطلع هذا القرن الميلادي ، ذلك أنه أول من رسم لهم الطريق ، وأول من عبَّد لهم الجادة»[٥]

وتعد رسائل الاصلاح التي كتبها عام (١٣٤٨هـ) من أفضل ما كتب في بابه آنذاك ، فقد نفع الله بها

خلقا كثيرا وتحدث المجتمع عن نفعها وثمرتها في الاصلاح الذي نشدته .

جاء في مقدمة تلك الرسائل « اللهم إن هذا دينك الذي بعثت به نبيك ، وهذا كتابك الذي أنزلت به وحيك، وهؤلاء عبادك الذين أمرتهم باتباعه، وأوحيت عليهم العمل به، اللهم إنهم قد ضلوا (أو ضل أكثرهم) سبيلك واختلفوا في دينك ، وتفرقوا شيعا ، فأضاعوا عزهم ، وودعوا مجدهم ، وعاشوا وهم أكثر ماكانوا عددا ، أشد ماكانوا ضعفا ، اللهم هيئ لهم وليا من أوليائك ، يرشدهم إلي طريق الهدى ويدلهم علي سبيل السداد ، ويُبدّلهم بالشتات اتحادا ، وبالضعف قوة ، وبالذلّة عزا ، وبالجهل علما ، وما ذلك على الله بعزيز»[٦]. ثم بدأ رحمه الله يتحدث عن توحيد الله عز وجل ، وعن أثر ذلك علي الفرد والمجتمع ، وعرج علي ذكر الاسلام والايمان وأركانهما وأثرهما في حياة الانسان بأسلوب سلس أخّاذ .

أمسك الطنطاوي - رحمه الله تعالي - القلم حاملا إياه بأمانة وصدق لمدة تزيد علي ستين عاما ، يكتب ويلخص وينقد ويدافع بأسلوبه الأدبي الرائع ، حتي ترك لنا ذخيرة ثمينة من المؤلفات نذكرها هنا حسب تاريخ تأليفها :

في عام (١٣٤٨ هـ) ألّف كتابين هما :

١- رسائل الاصلاح

٢ - بشار بن برد

في عام (١٣٤٩ هـ) ألّف كتابين هما :

٣ - رسائل سيف الاسلام

٤- الهيثميات

في عام (١٣٥٢ هـ) ألّف كتابا واحدا هو :

٥- عمر بن الخطاب (جزءان)

في عام (١٣٥٣ هـ) ألّف كتابا واحدا هو :

٦ - في التحليل الأدبي

فى عام (١٣٥٥ هـ) ألّف كتاباً واحداً هو :

٧ - كتاب المحفوظات

فى عام (١٣٥٨ هـ) ألّف كتابين هما :

٨ - فى بلاد العرب

٩ - من التاريخ الإسلامي

فى عام (١٣٧٨ هـ) ألّف عدة كتب هي :

١٠ - مقالات في كلمات

١١ - في سبيل الإصلاح

١٢ - دمشق

فى عام (١٣٨٠ هـ) ألّف عدة كتب هي :

١٣ - بغداد

١٤ - مع الناس

١٥ - فكر ومباحث

١٦ - في أندونيسيا

١٧ - الجامع الأموي

١٨ - فصول إسلامية

١٩ - هتاف المجد

٢٠ - سلسلة حكايات من التاريخ

فى عام (١٣٩٨ هـ) علّق وراجع كتاب :

٢١ - صيد الخاطر

فى عام (١٣٩٩ هـ) ألّف كتاباً واحداً هو :

٢٢ - سلسلة أعلام التاريخ

فى عام (١٤٠٠ هـ) ألّف :

٢٣ - من نفحات الحرم

٢٤ - قصص من الحياة

فى عام (١٤٠١ هـ) ألّف كتاباً واحداً هو :

٢٥ - من حديث النفس

فى عام (١٤٠٢ هـ) ألّف :

٢٦ - صور وخواطر

فى عام (١٤٠٣ هـ) ألّف :

٢٧ - أخبار عمر

٢٨ - قصص من التاريخ

فى عام (١٤٠٥ هـ) بدأ بنشر :

٢٩ ـ ذكريات علي الطنطاوي

وقد تم نشرها فى ثمانية أجزاء فى عام ١٤٠٩ هـ عن دار المنارة بجدة

فى عام (١٤٠٦ هـ) صدر له :

٣٠ ـ رجال من التاريخ

٣١ ـ أبو بكر الصديق

٣٢ ـ فتاوى الطنطاوي

فى عام (١٤٠٩ هـ) صدر له :

٣٣ ـ (تعريف عام بدين الإسلام) وهو آخر مؤلفاته وأعظمها أثرا ونفعا فى الناس ، وقد طبع أكثر من طبعه الى لغات عالمية عديدة .

هذا ماتم الوقوف عليه من مؤلفاته ، وقد صرح رحمه الله بأنه كتب رسائل وكتباً ضاعت منه في أول حياته ، وقد طبع بعضها في بعض المجلات والبعض الآخر لم يطبع .

يقول عن نفسه رحمه الله : « وكتبت مالم يكتب أكثر منه ممن أعرف الا قليل كالأمير شكيب أرسلان والأستاذ العقاد وأمثالهما ... والذي نشر مما كتبت يزيد علي ثلاثة عشر ألف صفحة ، وماضاع مني مثله أو أكثر منه ، منها مقالات كان لها في حينها ضجة كضجة مدفع رمضان ، يوقظ النائم ، ويسر الصائم ، ويغيظ المفطر الآثم»[٧] .

وكما قدمنا قبل أسطر : إن اسلوب الطنطاوي يضاهي أساليب الأدباء الكبار في مصر كالرافعي والمنفلوطي وأحمد أمين وأحمد الزيات وغيرهم من النخبة الشهيرة في ذلك الوقت . وكي يزداد القاريء قناعة أسوق له قطعة من كتاب « قصص من التاريخ » وهذه القطعة دليل ناصع علي براعة الطنطاوي في الكتابة النثرية . يقول ـ رحمه الله تعالي ـ

« والله الذي أمال الزهرة علي الزهرة حتي تكون الثمرة ، وعطف الحمامة علي الحمامة حتي تنشأ البيضة ، وأدني الجبل من الجبل حتي يولد الوادي ، ولوى الأرض في مسراها علي الشمس حتي يتعاقب الليل والنهار، هو الذي ربط بالحب القلب بالقلب حتي يأتي الولد ، ولولا الحب ماالتف الغصن علي الغصن في الغابة النائية ، ولا عطف الظبي علي الظبية في الكناس البعيد ، ولا حنا الجبل علي الرابية الوادعة ، ولا أمد الينبوع الجدول الساعي نحو البحر . ولولا الحب مابكي الغمام لجدب الأرض ، ولا ضحكت الأرض بزهر الربيع ، ولا كانت الحياة » (٨)

ويقول في كتابه « صور وخواطر » :

« لبنان الذي كان يوما دار الأولياء والشعراء ، والسياح والزهاد ، من كل عابد متبتل ، ومحب هائم ، وتائب أواب . لبنان الذي جعل الله ماءه خمرا ، وجماله سحرا ، فلا تدري أهو السحر قد خيل لك أنك في جنة الخلد . أم هو السكر قد جعلك تحس التخلص من هذا العالم ، الغارق في الدم، الملتحف باللهب . لبنان الذي لا تدري أي شيء فيه هو أجمل : أذراه التي تبرقعت ببراقع الثلج فلم تبصرها عين حي من يوم خلق الله العالم ، فعز بالحجاب جمالها ، حين ذل بالسفور الجمال ، أم سفوحه الحالية بالصنوبر ، أم القرى المنثورة علي تلك السفوح ، أم ينابيعه المتفجرة تفجر الحكمة علي لسان نبيّ ، أم أوديته الملتوية التواء الفكرة في رأس أديب لا يملك البيان عنها .. » (٩)

لقد درس الطنطاوي اللغة العربية دراسة عميقة وأحاط بفنونها وآدابها وقواعدها . ويعد كتاب (المطالع النصرية) من أوائل الكتب التي حفظها الطنطاوي في قواعد اللغة العربية ، وقد أثني الطنطاوي علي مؤلفه « نصر الهوديني » وشكره في ذكرياته . (١٠)

وعن حبه وجهاده في تعلم قواعد اللغة العربية يقول ـ رحمه الله تعالي ـ « كنا في سنة ١٩٢١م نقرأ في الصف السابع (أي في السنة الأولي المتوسطة) كتاب (قواعد اللغة العربية لحفني ناصف وإخوانه) ونحفظه ونؤدي الامتحان فيه ، بل ندخل بين كل صفحتين منه

صفحة نكتب فيها مانضمه إليه مما نستفيده من دروس أساتذتنا . هذا الكتاب لو وعاه أستاذ العربية، ووعاه الأديب واقتصر عليه لكفاه ، فكم الذين يعرفونه من الطلاب الآن؟ .. كنا ونحن في أول المدرسة المتوسطة نراجع في القاموس المحيط أو اللسان فكم الذين يعرفون كيف يرجعون إليهما الآن ؟ . كنا نحفظ من الشعر العربي الذي يحتج به ، من شعر الجاهليين والاسلاميين مئات من الأبيات ، فكم يحفظ منه الطلاب الآن ؟ » (١١)

إن هذه الهمة العالية التي شحذ بها الطنطاوي نفسه قد أثمرت وأينعت وانعكست آثارها علي قلمه وفكره وفصاحته ، فكانت كتابته ونطقه وفق اللغة العربية الصحيحة ، وقد اجتهد في بعض قواعد اللغة العربية بما يراه موافقا للصواب فأصدر أحكاما وآراءا نقلت عنه واستحسنها كثير من أساتذة اللغة ومحبيها . ونورد هنا طائفة من آرائه وأحكامه حول بعض المصطلحات والألقاب المتداولة :

- شهادة الكفاءة : اقترح أن تدعي شهادة الكفاية، لأنها تشهد لحاملها بأنه رجل كفي ، وأنه يكتفي بها ، وأبان بأن الكفاءة لا معني لها (١٢)

- الطباشير : قال لا نعرف في الشام الا اسم (الحوار) ، وهي كلمة عربية لأن التحوير هو التبييض وإن كان شيخنا المبارك يسميه (الحكك) وهي لفظة ولدت ميتة (١٣)

- الفلكة : يري أن الأفصح والأصح : الفلقة (١٤)

- ألماس : الهمزة من أصل الكلمة بعكس ماقال الفيروز آبادي (١٥)

- الراديو : يري أن الأفضل اطلاق « الراد » اسم فاعل : لأنه يرد علينا الصوت (١٦)

- القرن العشرين : الأولي أن يقال : قرن العشرين (١٧)

- دائرة المعارف : الأولي أن نسميها : المعْلم (١٨)

- المستشفي : الصحيح أنه مذكر (١٩)

- بلاش : أصلها بلا شيء (٢٠)

- الرأس: الصحيح أنه مذكر (٢١)

- الدهس : ليس لها في العربية أصل (٢٢)

- زي الناس : أصلها (سي) ومنها جاء (لاسيما) وهي عربية بمعني مثل (٢٣)

- قرؤوها : كنا نكتب همزتها علي الألف ، والصواب ما أثبتُّه هنا ، لأن الكسر أقوى الحركات ، فإن كانت الهمزة مكسورة أو كان ماقبلها مكسورا وضعت علي نبرة فإن لم يكن كسر وكانت هي مضمومة أو ماقبلها مضموما فعلي واو ، وان كانت مفتوحة فعلي ألف ، إلا إن كان ما قبلها ياء ساكنة مثل (هيئة) . (٢٤)

- التكنلوجيا : أري أن نقول (تقانة) علي وزن نجارة وحدادة وطيانة وهو شبه قياسي (٢٥)

- المتسابق : الصواب (المسابق) فالواحد مقاتل والاثنان متقاتلان ، لأن تفاعل صيغة مشاركة ، فكيف يكون متسابقا وماثم إلا هو ، أيسابق نفسه ؟ (٢٦)

- التشريع : لم ترد في لغة العرب (٢٧)

- مدي صحة التقييم : الصواب ، مدي صحة التقويم ، فالتقييم غلط (٢٨)

- لعبة الجنباز : الأولى : الجمناز (٢٩)

- بس : أي : فقط ، وهي فصيحة معربة من القديم (٣٠)

- الفرق بين العام والسنة : في الفروق أن العام للسنة الشمسية ، والأخرى للسنة القمرية (٣١)

لقد أحب الطنطاوي المملكة العربية السعودية حكومة وشعبا وذلك عند زيارته لها لأول مرة عام (١٣٥٣هـ) ودرس في معاهدها وكلياتها ، وكان يزور الشام كلما سنحت له الفرص ، وشاء الله أن يستقر في مكة المكرمة منذ عام (١٣٨٤هـ) . وقد نفع الله به خلقا كثيرا لاسيما عبر برنامجه في الرائي «نور

وهداية» الذي استمر نحوا من ربع قرن ، وبرنامجه الرمضاني « على مائدة الافطار » فأحبه الناس ووثقوا بعلمه ونصحه ، وأيده الله بحكام المملكة العربية السعودية الذين وقفوا معه في عسره ويسره ، وقد شكر لهم ذلك في ذكرياته وأثنى عليهم ودعا لهم بالتوفيق والسداد .

قال في ذكرياته : «ولأدعو بالرحمة والمغفرة للملك سعود ، ومن قبله الملك عبد العزيز ، ومن بعده الملك فيصل ، والملك خالد ، وأدعو للملك فهد ، فكلهم أحسن إليَّ ، أحسن الله اليهم جميعا ، وجزاهم عني خيرا »(٣٢).

إن شخصية الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالى - شخصية فذة وعظيمة تستحق الوقوف بتأمل أمام بصماتها التي تركتها ، والذخيرة الثمينة التي لا يعرف قدرها إلا من اطلع عليها بوضوح . وذكريات علي الطنطاوي (في ثمانية أجزاء) كنز ثمين أدعو كل العرب والمسلمين الي اكتشافه والتحلي بما فيه ، فالذكريات كتاب لغة بحق ، ومجلة ثقافية ، ومرجع ديني وثيق ، وتاريخ طويل مليء بالغرائب والأحداث دون فيه الطنطاوي أحداث ستين سنة عاشها وعاصرها

يا أمة الإسلام ابكي عالما
حصد الرياح لكي يجنبنا الهوى
يا أمه الإسلام ابكي كوكبا
عشق الإله فرام أجنحة السُّرى
يا أمة الإسلام أنعي بعده
كل الكواكب والنجوم ومن درى
يا راحلا كل المتون تنكبت
ذاك الحصان بحضن بابك قد ثوى
اعلو عليًّا في معارج جنة
وارقد هنيئا في فراديس عُلا(٣٣)

الهوامش :

١ - الذكريات ١ /١١٨
٢ - الذكريات ١ / ١٦٠
٣ - الذكريات ٣ / ٣٠٩
٤ - الذكريات ٢ / ٦
٥ - الذكريات ٢ / ٢٥
٦ - الذكريات ٢ / ٣٩
٧ - الذكريات ٤ / ٧٨
٨ - قصص من التاريخ ٢٧٠
٩ - صور وخواطر ١٠٧
١٠ - انظر : الأعلام ٨ / ٢٩
١١ - الذكريات ٢ / ٢١
١٢ - الذكريات ١ / ١٨٦
١٣ - الذكريات ١ / ١١٩
١٤ - الذكريات ١ / ٣٢
١٥ - الذكريات ١ / ٢٦ و ٢٠٩
١٦ - الذكريات ١ / ٢٥١ و ٢ / ٦٤
١٧ - الذكريات ٣ / ٢٠٠
١٨ - الذكريات ٢ / ١٦٦
١٩ - الذكريات ٢ / ٨٩ و ٣ / ٢٥١
٢٠ - الذكريات ٢ / ٢٧٨
٢١ - الذكريات ٢ / ٨٩
٢٢ - الذكريات ٢ / ٩٠
٢٣ - الذكريات ٢ / ٩٤
٢٤ - الذكريات ٢ / ٣٥
٢٥ - الذكريات ٦ / ٣٢
٢٦ - الذكريات ٨ / ١٧٠
٢٧ - الذكريات ٨ / ١٩
٢٨ - الذكريات ١ / ٢٧٠
٢٩ - الذكريات ٣ / ١٤٩
٣٠ - الذكريات ٢ / ٣٠١ و ٤/١١٧
٣١ - الذكريات ٢ / ٩٤
٣٢ - الذكريات ٤ / ٨٢
٣٣ - جريدة المدينة ١٠/٣/١٤٢٠ هـ

الفرق بين العِلْم والمعرفة

هاتان الكلمتان تستعملان كثيرا جداً، ولا يكاد الكُتّاب أو المتكلمون يفرقون بينهما وقد ذكر العلماء اللغويون فروقاً كثيرة بينهما، وأنا سأذكر ذلك بحسب الوسع فأقول: المعرفة: هي اسم منْ عرف عرفة وعرفانا - بالكسر - إذا علم الشيء بحاسة من الحواس الخمس[١] وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس[٢].

والعلم قد يكون بغير حاسة كما أخبر الله تعالى عن علم الخضر - عليه السلام - قال تعالى {آتيناه رحمة من عندنا وعلَّمْناه من لَدُنَّا علما}[٣].

والمعرفة يفيد لفظها تمييز المعلوم من غيره. ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم.

والشاهد - على ذلك - قول أهل اللغة إنَّ العلم يتعدَّى إلى مفعولين ليس لك الاقتصار على أحدهما، إلا أن يكون بمعنى المعرفة، وذلك لأن لفظ العلم مبهم فاذا قلت: علمت زيداً، فذكرته باسمه الذى يعرفه به المخاطب لم يفد، فإذا قلت: علمت زيداً قائماً، أفدت؛ لأنه دللت بذلك على أنك علمت زيداً على صفة جاز أن لا تعلمه عليها مع علمك به في الجملة.

وإذا قلت: عرفت زيداً، أفدت؛ لأنه بمنزلة قولك علمته متميزاً عن غيره فاستُغْني عن قولك متميزاً عن غيره لما في لفظ المعرفة من الدلالة على ذلك[٤] والفرق الآخر بين العلم والمعرفة. أن المعرفة أخص من العلم؛ لأنها علم بعين الشيء مفصلا عما سواه، والعلم يكون مجملا ومفصلا[٥].

قلت: والحقيقة أن ذلك تابع لمتعلقهما، فالمعرفة ما دامت عن طريق الحواس الخمس فإنها تكون مفصلة لأن طريقها العلم اليقيني من هذه الناحية، وأما العلم فان كان هذا طريقه فهو كذلك مفصل، وأما إذا بُني على نظر واستدلال فقد لا يكون مفصلا بل يكون مجملا. خاصة إذا كان في أوائل النظر فهو قد علم المسألة لكنه لم يعلم تفاصيلها.١٠هـ

وفرق آخر بين العلم والمعرفة أن العلم بمعنى إدراك المركبات، والمعرفة بمعنى إدراك البسائط[٦].

فلا يقال علمت السماء فوقنا ولكن يقال عرفت أن السماء فوقنا، لان سبيل العلم النظر والاستدلال غالبا. وسبيل المعرفة الحواس كما سبق.

وأيضا فالعلم يستعمل في التصديق. والمعرفة تستعمل في التصور.

فالتصديق: إدراك نسبة أمر لأمر، والتصور: إدراك المفرد، ولذلك كان العلم متعدياً الى مفعولين والتصور متعديا إلى مفعول واحد.

تقول: علمت زيداً عالما. فنسبة العلم الى زيد تسمى تصديقا.

وتقول: عرفت زيداً. فأنت عرفت ذات زيد (المفردة) ولم تعرف نسبة شيء إلى زيد زائد عن الذات - قال تعالى {فعرفهم وهم له منكرون}[٧] - أي عرف إخوته، كذلك فان العلم يحصل بأصعب الطرق. والمعرفة تحصل بأسهل الطرق.

لما عرفت من أن العلم يحصل بإعمال الفكر بالنظر والاستدلال. لذلك لا يقال لمن يعلم أن الصلاة واجبة والزكاة واجبة والزنا حرام لا يقال لهذا عالم. لان هذه الأمور معلومة من الدين بالضرورة. وأما المعرفة فلا تحتاج إلى ذلك. فسيدنا يوسف عليه السلام عرف إخونه بمجرد دخولهم عليه، ولذلك جاء العطف بالفاء قال تعالى {فدَخلوا عليه فعرفهم} فعقب بالفاء التي لا تحتاج الى تراخ ولا تأمل.

وينبني على ذلك أن العلم يكون فيه اختلاف كثير بخلاف المعرفة، ذلك لنفس السبب الذى قدمناه وهو لأن العلم مبنى على



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب
جامعة ام القرى - مكة المكرمة

النظر والاستدلال. ومعلوم أن هذا مدعاة للإختلاف لكن الذي يبنى على الحواس لا يكاد يختلف فيه أو لا يكثر الاختلاف فيه.

ولنأخذ نماذج من كتاب الله تعالى تبين لنا الفرق بين العلم والمعرفة ـ يقول الله سبحانه {فلما جاءهم ما عرفُوا كفروا به}[٨] فالله تعالى ذكر الفاعل وحذف المفعول به، للعلم به، وأصل الكلام فلما جاءهم ما عرفوه كفروا به. والذي عرفوا هو دين الاسلام أو رسالة محمد {صلى الله عليه وسلم}.

وقال تعالى: {ولتعرفنَّهم في لحن القول}[٩] فذكر الله عز وجل مفعولا واحدا ـ وقال عز من قائل {تَعْرِفُهم بسيماهم}[١٠] والآيات في هذا كثيرة. وأما الآيات التي فيها العلم يتعدى إلى مفعولين فقوله تعالى: {فان علمتموهن مؤمنات}[١١] فالمفعول الأول (هن) والمفعول الثاني (مؤمنات) وهذا أيضاً يرينا أن العلم يبحث عن التصديق وهو نسبة الإيمان إلى النساء المهاجرات ـ بخلاف قوله (تعرفهم بسيماهم) فهو معرفة تصور؛ لأنه عرف ذواتهم دون نسبة شيء إليهم وأما قوله تعالى {علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم}[١٢] وما اشبه ذلك فهذا من قبيل الاول لأن الجملة. أنكم كنتم .. الخ سدت مسد مفعولي علم.

وإذا أراد المتكلم أن يتكلم عن مفرد فانه يضمن لفظ علم معنى عرف يقول تعالى: {كُلٌّ قد عَلِمَ صلاته وتسبيحه}[١٣] فعدى الفعل إلى مفعول واحد لأن الكلام هنا عن مفرد وهو الصلاة ـ وكذلك قوله سبحانه {قد علم كل أناس مشربهم}[١٤].

وهكذا نجد أن هناك فروقاً كثيرة بين لفظي علم وعرف، ونقيض علم: جهل، ونقيض عرف أنكر. قال سبحانه وتعالى: {فعرفهم وهم له منكرون} فجعل المعرفة يقابلها النكران. وقال تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون}[١٥] فجعل الجهل وهو لا تعلمون شيئا مقابل أسباب العلم وهو السمع والبصر والأفئدة.

وتتميما للفائدة أقول: يذكر الفقهاء في تعريف الفقه أنه (العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية)[١٦] فأعترض على هذا التعريف بأن الفقه فيه ما هو علم وهو كل مسألة فيها نص صريح ولا خلاف فيه، وفيه ما فيه خلاف فهذا يفيد الظن ولا يفيد العلم، ولذلك عبر بعضهم بالمعرفة فقالوا (الفقه معرفة الاحكام الشرعية... الخ. لأن المعرفة بالنسبة للعلوم الشرعية المبنية على النظر والاستدلال تشمل العلم والظن، فلذلك قالوا: إن التعبير بالمعرفة هنا أولى وعبّر بعضهم بالإدراك فقال عن الفقه إنه إدراك الأحكام الشرعية[١٧]... الخ.

وهكذا يبحث العلماء عن الكلمة التي تؤدي المعنى بدقة ليكون كلامهم مفهوماً.

الهوامش:

(١) المصباح المنير للفيومي ٢/٥٣ مادة (عرف). والوسيط ١/٥٩٥ مادة)عرف).

(٢) المصباح المنير للفيومي ١/١٤٧ مادة (حسس) قال: حواس الانسان. مشاعره الخمس .. الوسيط ١/١٧٢ والحواس خمس في العرف العام.. وتسمى الحواس الظاهرة.

(٣) الكهف الآية ٦٥.

(٤) الفروق اللغوية لابي هلال العسكري ص ١٤ وص ٦٣.

(٥) الفروق اللغوية أعلاه.

(٦) مخطوطة في مكتبة الحرم المكي الشريف ناقصة من أولها وليس عليها اسم المؤلف ـ وهي ضمن مجموع برقم ١٧١ ص ٦٨.

(٧) يوسف الآية ٥٨.

(٨) البقرة الآية ٨٩.

(٩) محمد الآية ٣٠.

(١٠) البقرة الآية ٢٧٣.

(١١) المتحنة الآية ١٠.

(١٢) البقرة الآية ١٨٧.

(١٣) النور الآية ٤١.

(١٤) الأعراف الآية ١٦٠.

(١٥) النحل الآية ٧٨.

(١٦) جمع الجوامع للسبكي ١/٢٢ مصطفى الحلبي.

(١٧) أصول الفقه للبرديسي. الفيصلية ص ٣٥.



هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، ٠٠ وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبدا٠

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها٠

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة٠ وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره٠

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية ٠٠ متتبعة نشأتها وتطورها٠



غلاف مجلة الحج



غلاف مجلة التضامن الإسلامي

«مجلة الحج»

تستقبل عامها الخامس والخمسين

في مثل هذا الشهر «رجب» من العام ١٣٦٦هـ الموافق مايو ١٩٤٧م صدر العدد الأول من «مجلة الحج» إبان مطلع نهضة المملكة العربية السعودية بقيادة المغفور له - باذن الله تعالى - جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - تأسيسا على رغبة قوية في النهوض بالفكر والسير في مضمار التقدم واستخدام الصحافة - وهي أداة مؤثرة في التوجيه والارشاد - لتكون وسيلة من وسائل الدعوة إلى الحق وتبصير المسلمين بأمور دينهم، وتذكيرهم بأن هذا الدين هو دين الحياة بكل مسالكها وشعابها وآفاقها٠

وكانت مجلة الحج تصدر عن مديرية شئون الحج - التابعة لوزارة المالية - وعند تحول المديرية العامة للحج الى وزارة الأوقاف صارت تصدر عن هذه الوزارة حاملة شعار «مجلة شهرية اسلامية تصدر عن وزارة الحج بمكة المكرمة»٠

ومنذ صدور عددها الأول استهدفت مجلة الحج غايتين:

الأولى: تعريف الحجاج بأحكام الحج ومناسكه وآدابه، والانظمة والقرارات التي تصدرها حكومة المملكة العربية السعودية لتنظيم كافة شئون الحجاج٠

الثانية: بيان حقائق الاسلام والدعوة الى وحدة المسلمين وتآخيهم وتضامنهم في مواجهة اعداء الاسلام٠

المشرف العام معالى الاستاذ
اياد بن امين مدني - وزير الحج

وقد ظلت «مجلة الحج» تحمل هذا الاسم حتى العام ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧١ - حيث تغير اسمها ليكون «التضامن الاسلامى» تعبيرا عن الدعوة التى حمل لواءها جلالة المغفور له بإذن الله تعالى - الملك الشهيد/ فيصل بن عبد العزيز آل سعود - الذى دعا الى تضامن المسلمين ونبذ الخلاف والفرقة.

ولما كان التضامن الاسلامى هو هدف من أهداف الحج - حيث يجتمع المسلمون من شتى البقاع والجنسيات في صعيد واحد فيتعارفون، ويتفاهمون ويتضامنون - لذا فقد ارتأت وزارة الحج العودة الى الاسم الأشمل «الحج» وصدر بذلك قرار من معالى وزير الحج - سابقا - الدكتور محمود بن محمد سفر بتاريخ ١٤١٤/٧/١٥هـ.

ولكون مشاهير الكتاب في العالم الاسلامى يتابعون قضايا المسلمين في كل مكان على صفحات «مجلة الحج» فقد عمل القائمون عليها على تطويرها في الشكل والاخراج والورق والطباعة والألوان بما يساير تقدم فن الطباعة في أرقى مراحله. كما تم تصوير محتويات «مجلة الحج» خلال خمسين عاما بالميكروفيلم بالتعاون مع جامعة ام القرى بمكة المكرمة ممثلة في معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي.

والمعروف أن مجلة «الحج» تصل إلى شتى الانحاء في القارات الخمس، آسيا، افريقيا، أوروبا، أمريكا واستراليا دون أي مقابل مادي، حيث تتحمل وزارة الحج نفقات اصدارها وارسالها إلى الهيئات العلمية والجمعيات والمؤسسات الاسلامية والمدارس وكذلك الأفراد الذين يطلبونها ، مما دعا الى زيادة أعداد النسخ عاما بعد عام.

والمنهل بمنسوبيها كافة تتمنى لكل القائمين على «مجلة الحج» من اداريين وفنيين وعمال .. التقدم والازدهار.

د. عاصم بن حمدان علي
رئيس التحرير



د. يوسف بن احمد حوالة
اشراف

د. جميل بن محمود مغربي
اشراف



د. حسن بن محمد سفر
اشراف

د. درويش بن صديق جستنية
اشراف



عبد الله بن عبد المطلب بوقس
مستشار المجلة

خالد بن محمود علوي
مدير التحرير والادارة

إعداد : يعقوب السيد حسنين

ربيعة بن مقروم الضبي

ت ١٦ هـ

شاعرنا أحد شعراء مضر المعدودين في الجاهلية والإسلام، وقد بدأ حياته في الجاهلية لا يرهب من شيء، وقد انتهى به هذا الى أن يكون من الشعراء الذين سجنهم «كسرى» في السجن المسمى «المشقَّر»[١].

وما كاد ينتهي من هذه المحنة، حتى دخل في محنه أخرى انتهت بأسره، وسلبه ماله، وهنا أحس بالضيق وتتابع الأحداث حوله، ولكن كُوَّة من النور قد فتحت له، وذلك حين وقف إلى جانبه «مسعود بن سالم»، فكان خلاصه من الأسر على يديه، بالإضافة إلى رد ماله، وهنا أحس ربيعة بن مقروم أنه أصبح أسيراً لمسعود بن سالم، فكان أن توالت مدائحه فيه، وفي مقدمتها تلك القصيدة التى يشرق الغزل في مقدمتها، ثم ينتهى منها إلى الحديث عن الناقة، ثم يتوفر على المدح باقتدار، وكل هذا في بنية متنامية.

بان الخليط فأمسى القلب معمودا
وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا

قامت تريك غداة البين منسدلا
تخاله فوق متنيها العناقيدا

وباردا طيباً عذبا مذاقته
شربته مزجاً بالظلم مشهودا

وجَسْرَةَ أجُد تدمى مناسمها
أعملتها بي حتى تقطع البيدا

لما تشكت إليّ الأين قلت لها:
لا تستريحين ما لم ألق مسعودا

ما لم ألاق امرءاً جزلا مواهبه
رحب الفناء كريم الفعل محمودا

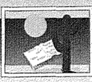
وقد سمعت بقوم يحمدون فلم
أسمع بمثلك لا حلماً ولا جودا

هذا ثنائي بما أوليت من حسن
لا زلت براً قرير العين محسودا

على أنه ظل سيفاً من



بقلم : أ . د . عبده بدوي
- مصر -



سيوف قومه، ولساناً يشيد بالقبيلة، ولم يكن ينسى نفسه، حين يكون الحديث عن المفاخر والحروب، فهو يتحدثُ أولا عن نفسه، ثم يثنى بعد ذلك بالحديث عن القبيلة، وفي ضوء هذا يمكن القول بأنه رسم أكثر من جانب من جوانبه على حدّ قوله:

وإن تسألينى فإنى امرؤ
أهين اللئيم، وأحبو الكريما
وأبنى المعالى بالمكرمات
وأرضي الخليل، وأروى النديما
ويحمَدُ بذلي له مُعتف
إذا ذمَّ من يعتفيه اللئيما
وأجزى القروض وفاء بها
ببؤسى بئيبا، ونعمى نعيما
وقومى - فإن أنت كذبتنى
بقولى - فاسأل بقومى عليما

ثم نراه يدخل في الإسلام، ويقف تحت لوائه، ولقد كان من الحروب التى أبلى فيها بلاء حسنا «القادسية» فقد عمَّر في الإسلام فترة كبيرة، وقد قيل إنه مات عن مائة سنة ولهذا نراه يحس إحساساً خاصا بالزمن، فهو يقول:

ألا صرمت مودتك الروّاع
وجدَّ البين منها، والوداع
وقالت: إنه شيخ كبير
فلجَّ بها، ولم تزع امتناع
فإمَّا أمْس قد راجعتُ حلمى
ولاح عليَّ من شيب قناع
فقد أصل الخليل، وإن نأنى
وغبُّ عداوتى كلا جزاع
وإنى في بنى بكر بن سعد
إذا تمَّت زوافرهم مُطاع[٢]

كما يقول:

وقفتُ أسائلها ناقتي
وما أنا، أم ما سؤالى الرسوما
وذكرنى العهد أيَّامها
فهاج التنكر قلبا سقيما
ففاضت دموعى فنهنهتها
على لحيتي وردائي سجوما

كما أنه يذكر عنه الجودة في الوصف، ولقد كان من الذين وقفوا عند هذه الظاهرة «الوليد بن يزيد» فقد قيل إنه جلس وهو مُصْطَجٌ، وبين يديه معبد، ومالك، وابن عائشة، وأبو كامل، وحكم الوادى وعمر الوادى يغنون له، وعلي رأسه وصيفة تسقيه، ولقد كانت على حد تعبير حماد الراوية. لم

أر مثلها تماماً وكمالا وجمالا، فقال الوليد يا حماد، أمرتُ هؤلاء أن يغنّوا أصوتا توافق صفة هذه الوصيفة، وجعلتها لمن وافق صفتها عطية، فما أتى أحد بشيء، فأنشدنى أنت ما يوافق صفتها وهى لك، فأنشدته قول «ربيعة بن مقروم الضبي:

دار لسعدى.. إذ سعاد كأنها
رشأ غرير الطرف رخص المفصل
شماء واضحة العوارض طفلة
كالبدر من خلل السحاب المنجلى
وكأنما ريح القرنفل نشرها
أو حنوة خُلطتْ خزامى حومل
وكأن فاها بعدما طرق الكرى
كأس تصفق بالرحيق السلسل
لو أنها عرضت لأشمط راهب
في رأس مشرفة الذرى متبتل
جأر ساعات النيام لربه
حتى تخدَّد لحمه مستعمل
لصبا لبهجتها، وحسن حديثها
ولهمَّ من ناموسه بتنزل!

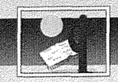
فقال الوليد: أصبت وصفها، فاخترها أو ألف دينار، فاخترت الألف دينار، فأمرها فدخلت إلى حرمه، وأخذتُ المال.

وقد علق أبو الفرج الأصفهانى على هذا الموقف فقال: وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده وحسنه، فمن مختارها ونادرها قوله:

بل إن ترى شمطا تفرع لمتى
وحنا قناتى وارتقى في مسحلى
ودلفتُ من كبر كأنى خاتل
قنصا، ومن يدبب لصيد يختل
فلقد أرى حسن القناة قويمها
كالنصل أخلصه جلاء الصيقل
أزمان إذ أنا - والجديد إلى بلى -
تُصبى الغوانى ميعتى وتنقلى

كما أنه كان بارعاً في وصف الصحراء والناقة، فهو يلتقط الصورة ويضعها في الألفاظ المتوافقة معها، وفي الوقت نفسه يملؤها بالحركة واللون، ويصل في التوفيق إلى الغاية حين يتحدث عن الكتيبة والإنسان.

وملموم جوانبها رداح
تُزجَّى بالرماح، لها شعاعُ
شهدتُ طرادها، فصبرتُ فيها
إذا ما هلل النكس اليراعُ
وأشعث قد جفا عنه الموالى
لقى كالحلس ليس به زماع



ضـــرير قـــد هنأناه فـــأمـــسى

عليــه في مــعــيــشــتــه اتســاعُ

كما استشهد له في باب المطابقة لقوله:

فـــــدعـــــوا نزال فكنت أول نازل

وعـــلام أركـــبـــه إذا لمْ أنزلِ[٣]

وهكذا عاش هذا الشاعر حياة طويلة مليئة بالأحداث، ولعله شغل بتجويد شعره، عن الظهور، وعن الحديث عنه، فهو لم يرد أن يشغل الناس به، ذلك لأنه كان مشغولا بشيء واحد هو الإجادة في الشعر، ثم إن الحياة كانت قاسية عليه، فلم تساعده على البريق، ويبدو أنه كان في ضيق من عيشه على حدّ ما نعرف من رواية تدور حول بيعه ناقة لعجرد بن عبد عمرو، ولكنه على الرغم من الظروف القاسية التي لاحقته استطاع أن يتألق كشاعر مخضرم، وأن يقول ما يُبْقي تجاربه في النفس، وما يُضيء في سماء الشعر على توالى العصور، والكل يذكر بيته الذى يقول:

نصل السيوف إذا قَصُرْن بخطونا

قـــدمـــا، ونلحـــقـــهـــا إذا لم تلحق

ولعله أخذه من قيس بن الخطيم، أو أخذه قيس منه، وبيت قيس هو:

إذا قـصُرَتْ أسيـافنا كـان وصلها

خطانا إلى أعـدائنا فنُضَـارب[٤]

ولا ننسى ايمانه بالله، واعـتـقـاده بالقـدر؛ وسخريته من سوانح الطير[٥]

أصـبـح ربي في الأمـر يرشـدنى

إذا نويتُ المســيــر والطلبــا

لا ســانحٌ من ســوانح الطيـر يثني

ولا نــاعب نــعـــــبــــا.!

الهوامش:

(١) المفضلية ٣٧ من شرح التبريزى. تحقيق. د. فـخـر الدين قـبـاوة، المؤتلف والمخـتلف للآمـدى، تأليف: د. كونكو ص ١٥٩، ط دار الجيل.

(٢) كتاب الاختيارين للأخفش الصغير، تحقيق د. فخر الدين قباوة ٥٧١ مؤسسة الرسالة ط٢.

(٣) العمدة ٢/ ٩ والمطابقة جمعك بين الضدين.

(٤) الشعر والشعراء ص ٣٢٠.

(٥) شعراء إسلاميون. د. نورى حمودى القيسى ٢٤١ ط٢ مكتبة النهضة العربية.

تحقيقات عرضية

فليكس فارس ـ رسالة المنبر الى الشرق العربي. الاسكندرية ، مطبعة المستقبل، د.ت (تاريخ المقدمة أول سبتمبر سنة ١٩٣٦ ـ ٣٤٥ ص + ٢:

١ ـ من موضوعاته: جبران خليل جبران (فلسفته وحياته) (ص ص ٨٩ ـ ١٣٢). رد على كتاب الاستاذ نعيمة عن جبران (ص ص ١٥٣ ـ ٢٢٥) فوزي المعلوف، رؤيا في السماء للاستاذ مصطفى صادق الرافعي. وللمؤلف قصيدة «إلهام شوقي»، وقصيدة «الكاظمي شاعر العرب».

٢ ـ عرف الثقافة (ص ٣٨): «الثقافة لغة يشمل معناها التعليم والتهذيب، والذي أراه أنها من حيث الوضع، وهي تعني التقويم مادة والتطبيع معنى، لا ترمي إلا الى تسديد العواطف والأميال دون أن تتناول التعليم، ما لم يقصد من التعليم التدريب للشعور خاصة فإن العلم بنفسه إنما هو نتاج الاستقراء المجرد ومركزه الفكر فالحساب والكيمياء وعلم الهيئة وعلم طبقات الأرض.. الخ إنما هى علوم وضعية لا علاقة للتهذيب بها فهي فوق الثقافة ودونها ولكنها على كل حال بمعزل عنها لأن العلم مشاع لكل الأمم ولكل الأفراد يتفقون على أولياته على ما بينهم من اختلاف بعيد في نظريات الحياة في حين أن الثقافة مستقرة في الشعور فهي «دماغ في قلب» لا قانون ولا قاعدة لها لأنها راسخة في الفطرة، والفطرة في الفرد كما هي في الأمم ميزة خاصة في الذوق واختصاص في فهم الحياة والتمتع بها.

*** القصة التونسية القصيرة (من خلال مجلة الفكر) ـ تأليف محمد الهادي العامري. تونس، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠ ـ ٢١٠ + ٢ ص:**

١ ـ الدراسة تقوم ـ إذاً ـ على ما ورد في مجلة «الفكر» التونسية من قصص قصيرة (١٩٦٤ ـ ١٩٧٠).

٢ ـ ص ١٨١ «وقد نجد للأفكار الوجودية صدى في نفوس بعض القصاصين عبّروا عنها بوسائل مختلفة كمشكلة القلق والملل وعدم الاتيان بالجديد والشعور بالاشمئزاز والتفاهة وحيرة الإنسان في هذا الكون والبحث عن تلائم الإنسان مع المحيط وازدواج الشخصية ومشكلة الزمن والشعور بوطأة الحياة وهل الحياة تسير وفق لمنطق أم هل على الإنسان أن يعمل بقطع النظر عن النتائج».

أ ـ عن تلائم: عن تلاؤم.

ب ـ وفق لمنطق: وفق المنطق، أو وفقا لمنطق.

هـ ـ أم هل؟ أو هل.

٣ ـ ص ١٤٣ «تظافر الجهود»: تضافر (وقد رأيت التونسيين يفضلون الظاء ـ هنا).

*** ادوارد كبيرا (إشراف جورج. ج. كاميرون) ـ كتبوا على الطين، رقم الطين البابلية تتحدث اليوم ترجمة وتعليق الدكتور محمود حسين الأمين، مراجعة على خليل، بغداد، مكتبة الجوادي بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ١٩٦٢ ـ ٢٦٥، ص مصورة ـ كتب المؤلف كتابه قبيل وفاته سنة ١٩٣٣.**

ص ٥٩ «إن العلماء الأوربيين بقوا خلال هذه الأعوام يجهلون هذه الكتابة» التى عرفت فيما بعد بالمسمارية «القرآن الكريم يتحدث عن وجود (آجر مشوي بنار جهنم يحمل كتابة خطّها الجان) وليس من شك، في ما أعتقد ، في أن هذا المرجع يشير الى الآجر الكثير المكتوب الذي وجد في ما بين النهرين. ان التفسير الوارد في القرآن كان إشارة الى أنها كتابة».

يعلق المترجم في الحاشية: «ليس في القرآن الكريم آية بهذا المعنى الذي أشار اليه المؤلف وهناك آية تشير الى الكتابة المسمارية وهي: «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا» سورة الكهف/٨».

أ ـ الإشارة الى الكتابة حاصلة، ولكن الإشارة الى أنها مسمارية غير حاصلة.

ب ـ أخشى ألا يفهم من «الرقيم» ما اصطلح عليه

بقلم : د. علي جواد الطاهر
ـ عليه رحمة الله ـ

أخيراً بالرقيم، والرقم الطينية مما وجد من أختام الكتابة المسمارية أو غيرها.

جـ - للرقيم تفسيرات متعددة لا يخلو بعضها من الدلالة على الكتابة. جاء في «كشاف» الزمخشري: «الرقيم: اسم كلبهم.. وقيل: هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف. وقيل: إن الناس رقموا حديثهم نقراً في الجبل. وقيل: هو الوادي الذي فيه الكهف. وقيل: الجبل، وقيل قريتهم، وقيل: مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين».

ولا يشير ما في التفسير من شأن الكتابة الى الكتابة المسمارية، لأن الكتابة المسمارية تقع على الطين لا الرصاص، وتقع ختماً لا نقراً في الجبل.

د - وعندى أن الآية الأقرب الى مراد مؤلف «كتبوا على الطين» هى الآية الكريمة(٣٣) الواردة في «سورة الذاريات» في خطاب «إبراهيم» للملائكة الذين دخلوا ضيفا عليه: «قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين. لنرسل عليهم حجارة من طين. مسوَّمة عند ربك للمسرفين».

وجاء في «الكشاف»: المرسلون: الملائكة. حجارة من طين: يريد السجيل، وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر، حتى صار في صلابة الحجارة. مسوَّمة: معلمة، من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به. وقيل: أعلمت بأنها من حجارة العذاب. وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا.

*** ديوان رفاعة الطهطاوي - جمع ودراسة د. طه وادي. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ - ٢٢٧ ص + ٥:**

١ - قد يسأل سائل: هل من ضرورة الى جمع هذا الشعر وهو كائن في مؤلفات الطهطاوى؛ وتكثر في الجمع الإحالة على تلك المؤلفات؟ وليس للشعر قيمة فنية أو أدبية؟ - لقد بذل الدكتور وادي جهداً أرجو ألا يكون ضائعا.

٢ - ص ٣٩ - ٤٠ «.. العصر الاسلامي والأموي وجدناه يستشهد بأشعار (...) السيد الحميري .

ومن شعراء العصر العباسي يستشهد الطهطاوي بشعر... الحريري .. الغزالي.

ومن فترة العصور الوسطى نجده يستشهد بشعر الإمام الشافعي (...) والشاعر الصوفي عمر بن الفارض - الإمام البوصيري - الإمام السيوطي - الزمخشري الذي «خمس» «الطهطاوي بعض أبيات له في الحكمة (تخليص الإبريز ص ٤٠٣) (...) ابن زريق البغدادي - الصلاح الصفدي - الصفي الحلي - الوأواء - القاضي عبد الوهاب البغدادي (...) الشيخ حسن العطار.

ومن شخصيات الأدب والفكر الأندلسي (...) الصاحب بن عباد (تخليص الإبريز ص ٢١١) ابن دريد - ابو نصر الفارابى - الرئيس أبو على بن سينا - محيى الدين بن عربي .. - ابو حفص الوردي - الحافظ كمال الدين الإدفوي..

أ - السيد الحميري من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٧٣ (٦٥٦هـ).

ب - ما المقصود بالعصور الوسطى، أقل ما يفهم منها هنا، أنها ما جاء بعد العصر العباسى (٦٥٦هـ) بدليل أنه أتى بها بعد استعراض شعراء العصر العباسي، فإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فلا معنى لمجيء شعراء من العصر العباسي فيها، كان اللازم أن يردوا قبلها، ومن هؤلاء: الزمخشري (المتوفي ٥٤٨)، الامام الشافعي (٢٠٤)، ويذكر في وفاة ابن زريق عام ٤٢٠، والوأواء (٥٥١) والقاضي عبد الوهاب (٤٢٢).

جـ - ليس الصاحب بن عباد من شخصيات الأدب والفكر الأندلسي، وكذلك ابن دريد... الخ.

٣ - ص ٦٥ ترجم الطهطاوى «نشيد الثورة الفرنسية (المارسلييز) للشاعر «روجيه دى لوازال»... وتنظر ص ١٩٩، ص ٢٠٣.

هكذا اورده المؤلف لما رسمه الشيخ الطهطاوى، ورأيت الطهطاوي يخطيء في اللفظ، ويرسم على المرسوم لأعلى الملفوظ وإلا فهو المارسييز ، وناظمه روجه دليل.

٤ - ص ٥٧ «ان الشعر إحدى الميزات التي ... . أحد..

٥ - صاه «.. البعثة الى فرنسا (١٨٢٧ - ١٨٣١)..» ص ٢٧ «.... البعثة في باريس (١٩٢٦ - ١٨٣١)..» الثانية هي الصحيحة.

٦ - ص ٢٦ «الشعر .. مجال تعليمي.. هو «نظم المتون».. شاع في العصر العباسي الأول على يد رؤبة بن العجاج وأبان بن عبد الحميد اللاحقي..»

رؤبة من مخضرمي الدولتين (الأموية والعباسية) (٦٥ - ١٤٥ (١٤٧) لم يقل أحد أن رؤبة قد نظم المتون: وان كان شعره كله رجزاً.

لغتنا.. إلى أين؟!

اللغة العربية فريدة في قمتها، وحلوة عباراتها، وكمال ازدهارها، وهي لغة ممتدة التاريخ، عميقة الجذور، بلغت سموها، وعصر ازدهارها في العصر الجاهلي، فقد كان العرب أهل فصاحة، وخطابة، وبلغوا من التفنن اللغوي، وفصاحة البيان ما لم يبلغه غيرهم، تسعفهم في ذلك لغتهم في اشعارهم، وخطاباتهم، وفي كافة اقوالهم، ينهلون من معين لغتهم صاحبة الاصالة والامتياز.

ومما زاد لغتنا عزا، وشرفاً، وتكريماً نزول القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية على سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} بهذه اللغة، فازدادت رفعة وسموا عاليا حلّق بها في الآفاق، قال تعالى مخبراً عن اللغة التي نزل بها القرآن (بلسان عربيّ مبين).

فأي تكريم حظي به العرب عندما نزل القرآن بلغتهم، وأي تكريم للغة نزل القرآن بها!.. انه تكريم إلهي، وسماوي لهذه الأمة، ولهذه اللغة.

ولقد بقيت اللغة العربية محافظة على اصالتها، ورونقها، متباهية امام لغات العالم بما حبيت به من تكريم، وشرف، حتى امتدت الحضارة الاسلامية والعربية الى اصقاع العالم، تعلمها الكثير من الناس ممن يعتنقون الاسلام، فالدافع الديني، وحب التدين، واختيار الاسلام ديناً يدفعهم الى تعلم هذه اللغة، حتى يتسنى لهم قراءة القرآن، ومعرفة الحديث الشريف.

وظلت لغتنا هكذا حتى أتى العصر الحديث عصر الطغيان، والفوضى، وعصر القوى النووية، وعصر استعمار العقول والافكار ففطن فيه اعداء المسلمين الى قوة المسلمين، ولما رأوا اقبال العالم على الاسلام، والاقبال على اعتناقه، ونظروا الى مصدر قوتهم فوجدوه القرآن الكريم، دستورهم الابدى.. ونظروا الى لغته وحتى يصرفوا الاسلاميين (والعرب خاصة) عن هذا القرآن الكريم قاموا وعملوا على تشويه لغتنا وإدخال التشكيك فيها وهذا العمل انتهجه الغرب لابعادنا عن تراثنا الاسلامي، كيف لا وقد قال احدهم (ما معناه): لن تقوم للغرب قائمة ما ظل هذا الكتاب قائما «ويقصدون بالكتاب (القرآن الكريم).. ويقول آخر: سنظل نعمل، ونعمل حتى نجعل المسلمين لا يفقهون هذا الكتاب».. ولا يكون عدم فهمنا (أو فقهنا) للقرآن إلا إذا (ابعدنا) عن لغتنا.. وبعبارة مختصرة يريدون (طمس) الكلمات العربية، واجراء العامية حتى تصبح (العربية) في نظر الاجيال القادمة شيئا صعبا، أو جديداً، وبالتالي لا يفهمون لغتهم فيتحقق أملهم في اقصاء كتابنا.

دور المستشرقين:

من أكبر الادوار التي قام بها المستشرقون، واتخذوها نهجاً اساسياً وهدفاً من اهدافهم، التشكيك في اللغة العربية، بأنها لغة تخلف و(تكلف).. وانها لا تساير العصر الحاضر، وانها قديمة، العالم يتجه للتجديد، (والحداثة)، لذلك فمن يلتزم بهذه اللغة يعد (متزمتاً) (ورجعيا)، ومتخلفاً.... الخ من تلك

التشكيكات التى (تطعن) في صميم لغتنا، وفي ديننا أولا وأخيراً.

وسائل إعلامنا:

الإعلام له أثره الملموس في الحياة (سلباً أو ايجاباً)، والاعلام بوسائله المرئية، والمقروءة، والمسموعة، له دور اساسي في توجيه المجتمع (نحو اتجاه معين)، وله أثر، وبصمة على قضية معينة.

ونحن لو تمعنا (ولو بشكل مختصر) وسائل اعلامنا العربية لوجدنا انها ساعدت على انتشار (العامية) ونبذ (ولو عن غير قصد) اللغة العربية.

هل نعمل مثلهم؟!

في مقابل عدم التزامنا بلغتنا، وعدم الحفاظ عليها، وفي مقابل الاهمال من جانبنا، وعدم (التزود) من معين لغتنا، وفي مقابل (طعن) الاعداء، وتشويهاتهم (لخدش) لغتنا، واقصائنا عنها، مقابل هذا وذاك نجد ان اعداءنا يهتمون بلغاتهم، ويحافظون على تراثهم.

فاليهود عملوا على احياء لغتهم العبرية المندثرة منذ مئات السنين، فهم يتكلمون بها فيما بينهم، ويعلمونها لابنائهم حتى يحفظوا لغتهم، وبينما هم كذلك نجدهم يتكلمون بلغة الآخرين مع الآخرين.

ومثال آخر في فرنسا:

١ ـ اصدرت فرنسا قانوناً يفرض غرامة تعادل (٣٥٠٠) دولاراً امريكا على أي مواطن فرنسي يستعمل كلمات اجنبية (غير فرنسية) ولها مقابل في اللغة الفرنسية في محاضراته، وندواته، وكتاباته[*].

٢ ـ أربعة اشخاص قابلوا وزير الثقافة الفرنسي، وطلبوا منه اجراء الترتيبات اللازمة بخصوص اربع كلمات اجنبية تسللت الى اللغة الفرنسية في المجال الرياضي[*].

دعوة للفهم والتدبر!

فهل نعي هذه الامثلة، ونعمل نحن على الاحتفاظ بلغتنا، ونعلمها لابنائنا وبناتنا حتى نحفظها من خطر الاعداء، وتقاوم الصراع الحضاري والثقافي الذي اصبحنا نعايشه، ونأخذ سلبياته؟!.. وايضا هل (نعي) جيداً ما هدف هؤلاء الذين يسعون الى اقصاء لغتنا، بينما هم يحفظون لغاتهم من الاندثار، ويحيون اشياء قد اكل الدهر عليها وشرب (كما يقال) بل إن هدفهم هو ابعاد ديننا عن الحياه، لانهم يخشون المسلمين، ويحسبون لهم الف حساب، ويخافون من سواد المسلمين لذلك فهم يعدون العدّة لتفريق شملنا، وتشتيت جمعنا، وابعادنا عن حياتنا الاسلامية، فهل نعرف هذه الاهداف، وهذه الغايات حتى نكون خير دعاة الى التمسك، والوحدة، والحفاظ على حضارتنا وتاريخنا كما ورثناه، ونبلغه كما اخذناه الى احفادنا؟!، إنها أمانة (أبت) الجبال من حملها فتحملها الإنسان.. فهل نعرف قيمة هذه الامانة التراثية والحضارية؟!

فاذا عرفنا كل ذلك وعملنا، فقد حددنا اتجاهاتنا وواقعنا، وبالتالي نعرف الى اين تمضي، وتتجه لغتنا؟! فنعمل جميعاً (فرادى وجماعات) ومؤسسات، ودول على حفظ لغتنا، لأن حفظها حفظ لهويتنا الاسلامية.

(*) على العمير، المجلة العربية عدد (٢٢١) بتصرف.

على العمري ـ السعودية

جراح الذلّ

جرى في خافقي لهبٌ ووجدُ
وفجّر أدمعي نأيٌ وبُعدُ
وخيّم في الفؤاد أسى مريرٌ
إذا أنسيته زمنا يُردُّ
فأنت ملاذُ دمعي حين تقسو
جراحٌ زادها هجرٌ وصدُّ
وإن جافيتُ ذكرك في زمان
سرى بالهم نحوي من يعيدُ
جراح الذُّل تعصفُ بي ويُدمي
فؤادي ناعقٌ للغرب يشدو
رماك بنوك في البلوى عقوقاً
وأغراهم بحلم الزيف وغدُ

* * *

أصارع فيك إخلادي وسهدي
فما يرضيك إخلادٌ وسهدُ
أنادي فيك أسيافاً وجندا
وأبحث فيك هل صيد وأسْدُ
ولكن الصدى يرنو كسولا
يحدثني بأن القوم سودوا
فإن تشكين لا راع فيأسو
وإن تبكين فالأسياف مُرْدُ
لقد ولّى زمان كان فيه
نداء الحق زلزالٌ ورعدُ
أنوفُ للعُلا رفعت وتاهت
وخيلٌ للوغى الحمراء تغدو
وأسدٌ للحمى أمنٌ وظلٌّ
وإن نادتهم الأسياف جندُ
سلوا عنهم روابي الشام خضراً
فبغداد الهوى تحكي ونجدُ
وصوت أطلق الأقصى حُداه
فردّد في يمان السّعد رفْدُ
سطورٌ صاغها التاريخُ نوراً
فنحنُ بها مدى الأزمان نشدوا
مضى فيهم إباء كان رمزاً
لجند الله إن ساروا وشدُّوا
وكانوا أنجما في الليل تؤوي
ضعيفاً هدّه جوع وبيدُ
كذاك جرى حديث المجد عذبا
وفاح المسك فالأيام سعدُ
وجئنا نوّماً والذئب سار
يطاردُ حلمنا أيّان يبدو
معاذ الله أن تسمو خطانا
بغير الجد مهما قيل وعدُ
فوعد الله إن نرجوه آت
لمن أصغى بقرآن (أعدُّوا)

عبده على حسن الفيفى ـ فيفا ـ السعودية

وطني الحبيب

سلمت يدا
وطني الحبيبُ
له بقلبي
ألفُ بستانٍ رحيب!
شرعتْ بلابلُهُ
تغردُ باسمه
فتمايل الغُصْنُ
الرّطيب!!
وطني ملاذٌ
للبعيد وللقريب
يُهدي نسيماً
عطرتهُ
مآذنُ الحرمين
فاحت بالشّذا
من كل طيب!
وطني الحبيبُ
تفتحتْ
له كلُّ أزهار الشُّموخ
تراقصتْ
بين الخمائل في ذهول !!
تهدي ابتسامات الولاء
لقبلة
أمست منار المسلمين
أضحت رياض الآمنين!
وعلى الثُّريّا موطني
أعلامُهُ
طفقت بألسنة تُرددُ
لفظة التوحيد
تشهدُ للإله.. وللرّسول!
من حولها
طيرُ السماء
غدتْ تحلّق
حولها .. وتُسبّحُ!!
وطني ارتدى
حلل الجمال
كما ذُكاء يزفها
أفقُ الأصيل
فتبهرُ الرائين
أثناء الغروب!
شمسُ النهار
لها غروبٌ
بيد أنَّ الشمس في
بلدي الحبيبة
لا تغيب!!
سيفٌ يُعانقُ نخلة
معطاءة
يوحي بتطبيق الشريعة
رغم كيل الحاقدين
مازلت يا (عبد العزيز)
تضيفُ للأيّام
تاريخاً مجيدْ
مازلت يا «عبد العزيز»
تضيف للتاريخ
للأجيال تاريخاً جديد!!
الله أكبر يا بلادي
صرت عاصمة الأمان!
وغدوت عطراً
فاح في ثغر الزمان!!
زرع السلامُ فخيمت
أفنانه سدراً له
ظلٌ ظليل!
نجني ثماره كل حين
في ظل أبناء لهم
نهج سليم
حملوا لواء المجد
فاهتزّت لهُ
غابات نخل
في الحساء
وفي الرياض.. وفي القصيم!!
وتهيّأت
أبها وحائلُ
حيث أهدت
موطن العز ابتسامات
تلوحُ من الزهور
تزفُّها
بُسطُ المروج!!
فاهنأ دواماً
موطني
في كل ثانية
تمرُّ من السنين
فلك المحبّة والولاء
ولك التحيّة من فؤاد
قد نُقشت
على جداره
مذ وُلدتُ
بحضن أمّي
ذاك الحضنُ الدّفيء
وإلى اللقاء
أحبتي
في رائعات
من روائع
موطني
طبُّ العليل

عبدالله بن ناصر العويد ـ السعودية

ومضات

على وقتنا المنزوع رونقه سأفترش الضياع

وجهك المخبوء نصرٌ والصمت عار في المدينة
يا غياب الدار، أين أقنعتى الحزينة؟..
تلتف حول حضورنا آمال جيل لم نجد حداً لها
لا نصر إلا الهروب إلى فضاءات أمينة
لم يتركوا ثوباً ليستر عزة الآتين للأحلام، يا .. يا للبكاء
استفق يا آخر الأجراء من جهد العناء
قد نسترد حقيقتين وأن نجود لغيرنا
ومضة للحق نتبعها، وذاكرة تحارب للبقاء

لا تستعن بالنار خوفاً من حميم الدار، إنّا
إنّا نحن آنسنا الفجائع والدمار
وجهك الآخر حلم، سوف أترك حنطة الدار لأطفال جياع
على وقتنا المنزوع رونقه سأفترش الضياع
وأنتظر المدينة كي تهون أمامها آثار موت الانتصار
وجهك المخبوء كنز لينهزم انهيارى والحصار.

بدر الدين محمد نعمان محمد ـ السودان

جحــــــود

جـحـود جـحـود وأي جـحـود
يحل العرى يسـتـذل العهـود
يـعـثـر في خـافـقي ضـوءه
وينحـر في مـقلتيّ الوجـود
ويشـعل كـرهاً بعشب القلوب
ويثلج بالنار صـدر الحـقـود
يحطم فـينا سـمـو المسـاعي
يُفـتـت عـزم المنى في الزنود
ويغـتـال روح الإخـاء بليل
فلم يصح فـجـرٌ وطال الرقـود
فـفيم الجـحـود وأنهـار قلبي
تفـيـض عطاء بعطر الورود
وفيم الجحود وقد عشت قبلا
أسطر للحب لحن الخلود

تغـرد فـوق الثـرى خطوتي
وتسمق فـوق الثـريا الجـهـود
وآن القطـاف للثم الوفــاء
فمن كف واف ستدوي الرعود
ولكن كف الجـحـود طغت
بنبض الخـيـانة راحت تكيـد
لتصلي الوفـاء، جحيم العداء
وتبكي الغناء بمر النشـيـد
ألا أيهـا الغـدر مـا خنت قلبي
ولكن لقلبك جـهـلا تبـيـد
سـينمـو فـؤادي بزهر الأمـاني
وقلبك يفنى بنار الجـحـود

سعد سعيد الرفاعى ـ السعودية

الأسباب

قبضوا على المسكين عند الباب
ساقوه في حرس إلى استجواب
وتقعروا وتعنتوا في جهلهم
وبقيد سجّان لشر عذاب
وتشتت من بعد ذلك أسرة
وتحولت دار الهنا لخراب
وإذا سألت عن الجريمة ما جرى؟!
وبحثت في التسآل عن أسباب
لوجدت لحيته - اربه - علة
وجريرة المسكين في الجلباب!
والله ناصرُ جنده، فلتصبروا
وتمسّكوا بمحجة، وكتاب

ما انفك ركب الجهل يمضي جائرا
يجتاح صفوتنا من الأحباب
والعين ترنو المجد يأتي طيعا
من قوة الإيمان في الأصحاب
خلف تسمّى باسمنا، وطريقة
ضد الشريعة، في نظام الغاب
وغدا المتابعُ شرعنا في دارنا
يمشي على حذر كما الأغراب!

مصطفى هاشم الشوربجي - موريتانيا

ملحمة لقاء

أمس التقينا، فأي ملحمة
تسبقُ ألفاظها معانيها
يضجُ بالمطربات أولها
ويستفزّ الغرام تاليها
تروقُ ربَّ المجون نغمتها
ويعجبُ الأتقياء صافيها
أرخى علينا الستور مطلعها
وناصفتنا الهوى قوافيها
أيُّ لقاء؟! هو اختصار رؤى
دبّ بصدر الشجيّ باليها
هو انطلاق ورعشة وهوى
سكبُ غمام، منى أغنّيها

ليت الزمان القديم يرجعُ لي
فينطوي العتبُ في زواهيها
مُرّوا طيور الجمال، تنشدني
ففي ضلوع العميد ما فيها
أيُّ لقاء؟! ألمّ محتشماً
ومرّ بي غيمة أناجيها
إن كان مرآه ساعة عبرت
فاليوم ذكرى اللقاء تحييها

عبدالله بن سليم الرشيد - الرياض

وانفرطت عناقيد الربابة

ظلّلتني واحة النخيل..
مرتع الجداول والعبير..
منبع الماء السلسبيل..
ترتاده الأطيار أو يرتادها..
ظللتني خضرة النخيل..
وهي هنا تعانق الرمال..
مليئة براحة الريحان..
فترتعش الخضرة فوق التلال..
ويستفيق الجمال يشع في الأفق
الخفي..
يوميء في صمت الى عالم تحلو المنى
فيه..
ويزهر الحلم .. تختفي الآهات..
أيتها الواحة .. لهواك آفاقي
مرصعة..
يزهو السنا في رباها..
وينبت الشوق في صدرها..
نخيلك في ضباب الفجر أيقظني..
في شموخ .. يلامس حبيبات
الندى..
فجاءت نسمات باردة تتناسب
طرديا..
مع الاقتراب من مرتع الغزال..
فانفرطت عناقيد الربابة..
تفجر نبع الحياة بأرضي..
وتلمس عمق سمائي..
حبيبات الامتصاص..
في فضاءات الصفحات المرصعة
بالكلمات الشاردة

مصطفى بلمشرى - الجزائر

يوميّة فارس

شعر: د. عبدالله الفيفي

جامعة الملك سعود ـ كلية الآداب ـ الرياض

أغمد السيف مرهق الإنسلال

وثنى شهوة الحصان الخيالي

وتمشّى في شكه الوقتُ رهواً

يستعيدُ احتماله باحتمال

حمحم المهرُ شاعراً لوذعيا

أفلتت منه لفتة للشّمال

واستدار المدى على اخدعيه

دورة الساعة.. انخزال الهلال

يلجم المهر كفُّه ويكف

يلجم الآه مدلهم السؤال

فتش الليل وجهُهُ في يديه

لم يجد ما يكونُه في الليالي

في ذئاب من التوى ضاريات

ودياج من الطّوى كالسّعالي

يبدىء الهمَّ يلتوي ويُبادي

مُقدم محجمُ الظُّنون انتقالي

شام في ردهة الوهاد بصيصا

ظن نجماً من السماء لؤالي

أطلق الروح في رُخاء المرايا

وسرى الطّرْفُ يستشفُ المجالي

طارقٌ هذا أمْ طريفٌ ومن ذا

صقرُ ما كان في السنين الخوالي

ما الذي يجري هل ترانا حلمنا

فصحونا بلا هوى أو وصال

تلك غرناطة التي ضمّختني

بسجال من الوجى والمعالي

لم يزل بابُها يصرُّ بأذني

وبقلبي يديرُ ألفي نصال

وفتاة من مهجتي ناهداها

ودمائي في وردة الخد والي

قُرطُبيّاتُ أنسها لعبتْ بي

وشمُولُ انتشائها في سبالي

أتراها لوهفة العشق تنسى

أم تراها غريرة لا تُبالي

أم تُراني رغبتُ عنها وعنّي

فاستحالتْ قصيدة من رمال

كان يلهو به السؤالُ ويلغو

جدَّد اللّهْوُ جدَّه وهو بال

لم يعد يدري ما الذي ينتويه

أيّ وجه لوجهه من كلال

يتروّى ماء الملالات صرفاً

في كؤوس من الغليل الزُّلال

قال لمّا ارتأى له الغربُ شرقا

وإذا الفجرُ نشوة من محال

يا غزالي من فكرة الحُب أشهى

قلْ متى فيَّ ترعوي يا غزالي

كان يهذي وكان ينوي عضوضا

في ثياب ضوئية من نبال

فإذا شخصٌ نابتٌ في البراري

أسود الصوت أبيض الإنهمال

يقضم العمر وحدة ورؤاه

تزجُرُ الطير سُنَّحا للشّمال

وإذا أمُّه التي لم تلدْه

تبصق اللفظ في انحناء الجبال

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً

لم تحافظ عليه مثل الرجال

....

نمدم الصمتُ والغرابُ تغنّى

وعوى الذئب من شفاه الدلال

اصح من أمسك استفق يا حبيبي

ربَّ غرناطة رنَتْ في احْولال

ربما صارت البلاد كتاباً

أنت فيها بقيّة من مثال

ربَّما ربَّما وربَّت باتتْ

لقتيل في أرضها واحتلال

فدع الشعر ها هنا وتهيَّا

تنظمُ الفجر غُرَّة من نضال

إنَّما هذه الحياة قصيدُ

خيْرُ أبياتها الحديثُ الأصالي



البرق الخاطف في صـ

الأحماض من الجذر الثلاثي (حمض) يقال:
أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام، فهي مفاكهة ومؤانسة!
وهي لون فكاهيّ فنيّ ساخر، يتناول مظاهر الحياة العاصرة كالمخترعات والمعاني الحديثة، ويصوغها على ألسنة أدباء العربية القدامى في عصورها الأولى الزاهرة بأسلوب حواري قصصي.

* موضوع الأحماض:
تتناول عدداً من مظاهر الثورة المعرفية والتقنية في العصر الحديث كالمخترعات والمعاني العصرية مثل: الكهرباء، والثلاجة، والتلفاز، والهاتف، والسيارة، والطائرة، والحاسوب، والمشروبات الغازية، والعولمة، والدكتوراة، والانترنت!

* أسلوب الأحماض:
يقوم على الحوار، ويفيد من أسلوب المقامات والقصة المعاصرة، ويتسم بالإيجاز والوضوح والرصانة، ويتجاوز حدود الزمان والمكان.

* أهداف الأحماض:
تهدف إلى إمتاع فؤاد المتلقي، وإدخال السرور على نفسه، وإمداد عقله بشحنات من المعرفة الأدبية من خلال الخطوط التالية:

١ ـ تخيّل مواقف الأدباء القدامى من المخترعات الحديثة وردود أفعالهم لو كانت في زمانهم والتعريض بأدباء هذا العصر الذين لم يحتفوا كثيرا بهذه المخترعات المثيرة في أعمالهم الأدبية.
٢ ـ توجيه النقد السّاخر للمظاهر الزائفة في الحياة المعاصرة.
٣ ـ مناقشة بعض القضايا اللغوية المتعلقة بتعريب هذه المخترعات وأوزانها الصرفية، ومثناها وجموعها.
٤ ـ إثراء لغة الناشئين من المتلقين بالمفردات والتراكيب وأساليب البيان العالية.
٥ ـ تقدير الأدباء الأوائل، واستذكار أعمالهم وجهودهم في نهضة العربية والحفاظ عليها.
٦ ـ ربط الواقع المعاصر بالماضي الأصيل الزاهر للإسهام في البناء الحضاري الشامخ للأمة.

حدّث ابن زهر الإشبيلي «١» قال :

تناهت إلي سمعي بدعة ابن شهيد الأندلسي «٢» فنازعتني إليها نفسي ، وغلبت علي شعوري وحسي ، ولم يعد في قوس صبري منزع ، وما التذ جنبي بطيب مضجع ، فأزمعت أن ألقاه فأستكنه منه وأسمع ، فيممت شطر دار وزارته بقرطبة فلما رآني تلقاني بالحبور وحياني وبياني ، ووجهه يطفح بالبشر والسرور ، وبين يديه آلة غريبة ظننتها الأسطرلاب «٣» فلمح ابن شهيد دهشتي علي قسمات وجهي فابتدرني قائلا :

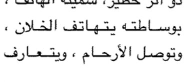
ـ لا غرو أنك ياأبا مروان ، قد تجشمت عناء السفر مستطلعا مستقصيا ، ولو تريثت لأخبرتك عن البدعة الجديدة ، وأنت جالس في بيتك علي الأريكة!

قلت : أني يتسني ذلك ، ومدى صوتك لا يجاوز الميل ، وبين قرطبة واشبيلية عشرات الأميال ، إن هذا لضرب من الخيال ؟ !

قال : بهذه الصغيرة العجيبة ! وأشار إلي آلة كالسلحفاة متصلة الأعضاء بأسلاك وأرقام ، وجودة وإحكام ، لها جرم ظريف وملمس لطيف .

قلت : أو كائن ذلك ؟ إنه إذن لمن خوارق العادات وخوالف المعهودات !

قال : أجل ، هو ذا ماتري وتسمع ، جهاز صغير ذو أثر خطير، سميته الهاتف ، بوساطته يتهاتف الخلان ، وتوصل الأرحام ، ويتعارف



بقلم : د. احمد عطية السعودي
ـ الاردن ـ

عق الهاتف

الأقوام ، وتقضي الحاجات في أحرج الساعات !

قلت : عجبا عجبا ، وكيف يعمل ياأبا عامر ؟

قال : لا ينبغي لطبيب نطاسي «٤» مثلك أن يعجب ، وأنت واصف علة الجرب ، ومعالج الالتهاب الأصعب ، ومستخرج الحصي ومذهب التعب.

فقلت : عذرا أيها الحكيم ففوق كل ذي علم عليم.

قال: هذا جهاز يرسل ويستقبل، فينقل موجات الصوت إن شئت من قرطبة إلى حضرموت، عبر منظومة من دقائق الأسلاك، ولطائف أثير الأفلاك، فيبلغ في الدقيقة ما لا تبلغه الجياد الصواهل في سنين عديدة.

قلت: ومن اخترع الهاتف يا أبا عامر، أأندلسي أم مشرقي؟.

قال : بل صديقي الوفي زهير بن نمير ، فقد تذاكرت معه أخبار الخطباء والشعراء وماكان يألفهم من التوابع «٥» والزوابع «٦».

فقلتُ : هل حيلة في لقاء من اتفق منهم ؟ قال : بلي . فانطلقنا حتي التحمتُ أرضا لا كأرضنا علي متن جواد يجتاب الجو فالجو ، ويقطع الدو فالدو حتي حللت أرض الجن ، فنزلت ضيفا علي أميرهم (جراهام بل) «٧» فأهداني هذا الهاتف الأجل ، وهو يسميه (التلفون) من الرباعي تلفن ، ويزعم أنه عربي الأرومة والمحتد ، كابرا عن كابر ، وأبا عن جد . ثم انطلقت فلقيت امرأ القيس ، وطرفة والنابغة، والنميري، وأبا تمام ، وأبا نواس ، والمتنبي ، وعبدالحميد الكاتب ، والجاحظ فأقروا بتفوقي ، واعترفوا بفضلي ، وعلوّ كعبي ونبوغ أدبي !

قلت : حقا . أخذ القوس باريها ، فما مبلغ ما نال « ابن بل » من المجد المؤثل ؟

قال : طار ذكره في الآفاق ، وأسكن في الأحداق ومدحه الرُّجاز علي اختراع هذا الجهاز فرددوا مع الحادي:

تيها وفخرا أجرهام بن البلْ
فإن شيطاني أمير الجن !

قلت : قد شوقتني أبا عامر فاسمعني ليطمئن قلبي.

قال : سمعا وطاعة . إن لم أسمع طبيبنا وحبيبنا فمن أسمع إذن!

ثم رفع ذراع الهاتف ، ونقر علي أرقامه بإصبعه وقال : تكلم . قلت : مع مَنْ ؟

قال : مع صديقك الحميم ابن رشد «٨» في دار القضاء بأطراف قرطبة . فهاتفته وقد غشيني الذهول ، وغطاني العرق . وقلت له : ياأبا الوليد ، إني لا آمن أن تكون جنيا لعينا أو شيطانا مريدا ، فقاسمني بالله إنه لابن رشد ، وتلا عليّ القرآن ، فبهتّ وصدقت ، ولما فرغت من مكالمة ابن رشد قلت لأبي عامر :

فهمت كلامك ياسيدي فهمت ولا عجب أن أهيما «٩»

الآن عرفت سر استعاذة العرب إذا غشوا الأودية ، وعثرت علي بواعث قلقهم وخوفهم من الهواتف ، لأنك وصاحبك زهير بن نمير تكمنان في قواتم أعماقها وخوالي مخترقاتها ، فتحدثان أصواتا مريبة ، وحركات غريبة بهذه الآلة العجيبة حتي يعوذ شاعرهم:

قد استعذنا بعظيم الوادي
من شر مافيه من الأعادي !

فضحك ابن شُهيد وقال : حقا ماتقول ، ولكن ليس بهذا الجهاز الذي تراه .

قلت : فبأي شيء إذن ؟ قال : بالهاتف الخلوي !

قلت : ويح نفسي ماتقول يا «معالي» الوزير ؟! أحق هو أم بهتان وزور ؟!

قال : إنه لحق ، وفي التقنية أدق ، متعدد الأسماء شديد الألق ، يسمي في بعض الأصقاع « الجوال » وفي أخرى « النقال » وبأرض الأندلس والشام « الخلوي » الهمام ! وعلي أي حال كثير الأضرار والأخطار !

قلت : هل لك أبا عامر أن تريني الجهاز ، وأنا زعيم بكشف أخطاره، ومعالجة أضراره ؟

قال : حبا وكرامة . فاتصل بصاحبه زهير فجاء به ، فإذا هو بحجم الكف ، متين لا يلتف ، عليه أرقام رُتّبت بنظام ، وفي أعلاه أنبوبة كالسّنام ، فلما فحصته في مختبر قرطبة ، ظهرت أخطاره المرعبة ، فقلت لابن شهيد : إنه مشحون بسم زُعاف ، يضر بالنسل ، ويبعث الكسل . ويبطيء نبض القلب ، ويشوه العين ، ويشوش الأذن، ويحدث الأورام الخبيثة بفعل الاشعاع الكهرومغناطيسي !

قال : لست أفقه لغة طبكم ، ولا اصطلاح علمكم فاجتهد رأيك في إصلاح أعطابه، والتوقي من مصابه فهو كما تقول حارق صاعق ، وخارق ناعق، وإني لأعترف بذنبي إذ أمرت زهيرا أن يزوّد كل صعلوك جريء بجهاز خلوي ، فصاروا يعرفون عن كثب تحركات القوافل ومضارب القبائل ، فسلبوا وقتلوا ونهبوا وخربوا ، وكان أفتكهم « تأبط شرا » الذي لقب بذلك ، لأنه كان يتأبط « الخلوي » وأما عروة بن الورد فكان أحرصهم علي جهازه حتي آثره علي طعامه وشرابه ، وأنشأ فيه قائلا :

ولله جوال صحيفة وجهه
كضوء شهاب القابس المتنور «١٠»

قلت : علي هذا يجدر بالنقاد أن يعيدوا النظر فيما روي عن أهل المدر والحضر من رائق الشعر والنثر ، وأن يغيروا موازين التحليل الأدبي والتعليل النقدي . أليس كذلك ياأباعامر ، وأنت أعلم أهل زماننا بالصناعتين ؟

قال : بلي . والشواهد كثيرة والأمثلة غزيرة ، خذ بيت « النابغة » الذي نعت بأنه أكذب بيت قالته العرب وهو قوله :

ولولا الريح أسْمع مَنْ بحُجْر
صليل البيض تقرع بالذكور «١١»

فقد عجبوا كيف يسمع من بحجر صوت السيوف وبينها وبين مكان الواقعة مسيرة عشرة أيام ! فكذبوه ، ولم يعلموا أن النابغة إنما يشير الي « البيجر » و« الجوال »

وعبد يغوث ، أتدري لم كان يلح علي آسريه ليطلقوا عن لسانه المشدود بقطعة من جلد؟

قلت : الذي أعرفه أنه يريد هجوهم ، والنيل من ذمارهم ، ثم رثاء نفسه وتخليصها من الألم .

قال : لا ياأبا مروان بل كان يبغي أن يهاتف قومه بجهازه الذي سلبته منه الشيخة العبشمية ، ولكنه لم يمكن ، بل ظل يصيح :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة
أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا

أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا
فإن أخاكم لم يكن من بوائيا «١٢»

وأود أن أكشف سرا حار فيه النقاد عن « ديك الجن » «١٣» الحمصي وصاحبته «ورد» التي شغفها حبا ، ثم لمّا تزوجها قتلها بالسيف ، ولما تبين براءتها ندبها بفؤاد مزقه الألم ، وظلله الندم:

روّيتُ من دمـهـا الثـرى ولطالما
روّى الهـوى شفـتيَّ من شفـتيـهـا

إن الذي وشي « بورد » ورماها بالسوء وسوّل لديك الجن أن يقتلها هو صاحبي « زهير » فقد كان يحادثها بالهاتف فيلتفت زوجها فلا يري أحدا، حتي ظن بها السوء والجنون ، فلما أراق دمها حظي بالمكان الأسمي لدي المردة ، ونال أعلي لقب عندهم يناله كبير السن هو « ديك الجن »

قلت : ماأكثر الديوك ، وماأحط السلوك في هذا الزمان حين انتشرت « الهواتف » وتبلدت المشاعر والعواطف وتغيرت المبادىء والمواقف !

وإني أستمحيك عذرا أبا عامر فالحديث ذو شجون ، وراغب إليك أن تصنف سفرا ببدائع المضمون فيما عرضنا من الفنون ، فأنت أبصر بمحاسن الخلال والفتون ومافي الهاتف من فضائل ومجون !

قال : عجبا لك أبا مروان ، أو تظن أنني لم أفعل ، لقد شغلت بالعمليات الجراحية والأدوية الطبية عن مدارسة كتابي « التوابع والزوابع » ولو تدبرته لوجدت في آخره فصلا رائعا ، وشهابا ساطعا ، جعلت عنوانه :

«البرق الخاطف في صعق الهاتف» !!

هوامش:

(١) ابن زهر الاشبيلي : هو أبو مروان عبد الملك بن زهر ، ولد باشبيلية ودرس الطب علي أبيه حتي صار أشهر أطباء الأندلس اشتهر بكتابه : التيسير في المداواة والتدبير ، وأثر في الطب الأوروبي أثرا بليغا . كان صديقا للفيلسوف ابن رشد توفي ـ ١١٦١ ـ م.

(٢) ابن شهيد الأندلسي : هو أبو عامر أحمد بن شهيد من شعراء الدولة العامرية ، كان وزير الناصر بقرطبة ، له رسالة مشهورة سماها «التوابع والزوابع» أو شجرة الفكاهة ، توفي ـ ٤٢٦ هـ .

(٣) الأسطرلاب : آلة حسابية يُعرف بها الوقت ، وتستعمل لمعرفة الأجرام السماوية .

(٤) النطاسي : العالم الماهر ، والطبيب الحاذق .

(٥) التوابع : جمع تابع وتابعة : الجني .

(٦) الزوابع : جمع زويعة وهي الشيطان أو رئيس الجن ، كانوا يزعمون أنه يلهم الشاعر ، قال الراجز : فإن شيطاني أمير الجن! .

(٧) جراهام بل : مخترع التليفون في سنة ١٨٧٦ ـ ١٨٧٧ م .

(٨) ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد ، فيلسوف وطبيب وفقيه أندلسي ، ولي القضاء في إشبيلية ثم في قرطبة حتى لقب بقاضي قرطبة ، أهم كتبه : «تهافت التهافت» توفي ـ ١١٩٨ م .

(٩) البيت للبستي ، وفيه جناس تام بين فهمت «من الفهم» وبين فهمت الثانية «من الهيام» وأصله :

فهمت كتابك يا سيدي
فهمت ولا عجب أن أهيما

(١٠) أصل البيت : ولله صعلوك صحيفة وجهه ....

(١١) كلمات البيت : البيض : جمع بيضة وهي الخوذة . الذكور : أصلب السيوف وأشدها يبسا . وحجر : قصبة اليمامة .

(١٢) يقول لأسريه معشر تيم : أن يصفحوا عنه كرما منهم ، لأنه بريء من دم صاحبهم ، فلم يكن من جرائره أو ضحية من جرائمه ، ولم يكن نظيرا له أو مكافئا .

(١٣) ديك الجن الحمصي : هو عبد السلام بن رغبان . من سلالة أهل مؤتة في جنوب الأردن . شاعر عباسي ولد بحمص سنة ١٦١ هـ . كان كثير اللهو والعكوف على الخمر ، نظم أروع أشعاره في بكاء صاحبته «ورد» التي قتلها ، توفي سنة ـ ٢٣٥ هـ .

الهيدروجين

احد مصادر الطاقة الهامة فى القرن المقبل

منذ وُجد الإنسان على هذا الكوكب، بدأ بالبحث عن مصادر الطاقة، لما لها من تأثير على الحياة الاجتماعية والاقتصادية العلمية والتقنية، وقد تنوعت هذه المصادر من فترة لأخرى بحسب الاكتشافات والإمكانات والظروف وآراء الباحثين ومسؤولي الطاقة في الحكومات، ومع احتمال حدوث أزمة كبيرة في الطاقة خلال الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، يسعى الخبراء المعنيون لتجنبها بتجريب مصادر الطاقة المتنوعة، ويقترح بعضهم أن يكون الهيدروجين المستخرج من المياه بواسطة الطاقة الشمسية هو الوقود الأساسي الذي سيحتاجه التقدم العلمي والتقني في القرن المقبل.

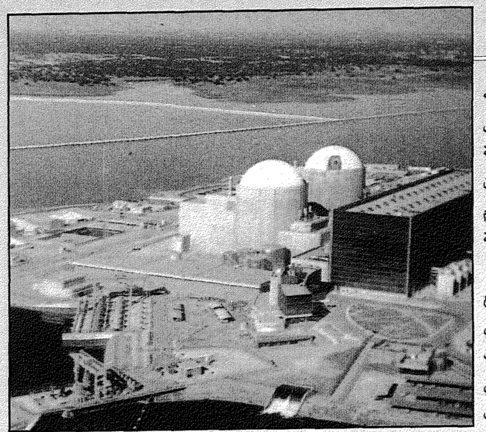
في إطار بحث الإنسان عن مصدر للطاقة والدفء والاستنارة، اكتشف النار التي كانت اكتشافاً هاماً في تاريخ البشرية، ومنذ أكثر من قرنين، استعمل الإنسان الفحم (الكربون) كمصدر للطاقة ولكن دوره لم يكن مقبولا بشكل كاف، ثم اكتشف البترول في منتصف هذا القرن ولعب دوراً طاقياً هاماً، لكنه حسب ما هو متوقع سينتهي خلال خمسة وثلاثين عاماً، وسيحدث للغاز الطبيعي نفس الشيء ولكن بعد حوالي نصف قرن، ومازالت مشاكل المراكز النووية الانشطارية متكررة، أما المراكز النووية الاندماجية فهي في طريقها الطويل نحو الظهور الحقيقي بالرغم من العمل الدؤوب من قبل العاملين عليها لتحقيق الهدف. وفيما يتعلق بمصادر الطاقة الأخرى كالطاقة الناتجة عن الرياح والطاقة الحرارية الجوفية، فهي مصادر جيدة ولكنها غير كافية ولا يمكن أن تلغي بقية مصادر الطاقة الأخرى. وهنا يبرز السؤال التالي: ما هي المصادر التي يمكن أن تحل محل البترول والغاز الطبيعي اللذين كانا يغطيان الـ ٦١٪ من المصروف العالمي للطاقة؟ أو بالأحرى، ما هي الطاقة الأساسية للقرن القادم الذي يلوح بقدومه مستعجلا وحاملا كثيراً من مشاكل الطاقة، علاوة عن مشاكل الحياة الأخرى؟.

الهيدروجين أبسط ذرات الكون:

لا شك أن الهيدروجين هو أحد مصادر الطاقة للقرن المقبل، بالرغم من كونه أبسط ذرات العناصر الكيميائية، حيث يتكون من بروتون وإلكترون ويتواجد حراً في الطبيعة بكميات قليلة، لا تتعدى نسبة تواجده في الهواء ٠٫٠١٪ بينما يعتبر غاز الهيدروجين من أكثر العناصر توافراً في الطبيعة ويلعب دوراً أساسيا كحامل للطاقة. وفي النجوم

بقلم : د. غازي حاتم
- سوريا -

التي تتكوّن منه، تتحد ذراته لتشكل الهليوم وتتحرر عن هذه العملية كمية من الطاقة تجعل النجوم تلمع لملايين السنين. كما يحوي القسم الأعظم من الكتلة الغازية للشمس على الهيدروجين. أما على الأرض فمنابع الهيدروجين كثيرة ويأتي في مقدمتها مياه المحيطات والبحار والأنهار وهي التي سنركز عليها في هذا المقال وذلك لأن الهيدروجين قابل للتخزين ويمكن استعماله بعدة طرق ولا يؤثر على البيئة (الجو) إذ يتحول من جديد إلي ماء عندما يدخل بالاحتراق، كما برزت أهميته بعد محاولة استخدامه كحامل للطاقة وخاصة بعد تفجير القنبلة الهيدروجينية المبنية على اندماج ذرات الهيدروجين، حيث يرافق ذلك انبعاث طاقة هائلة.

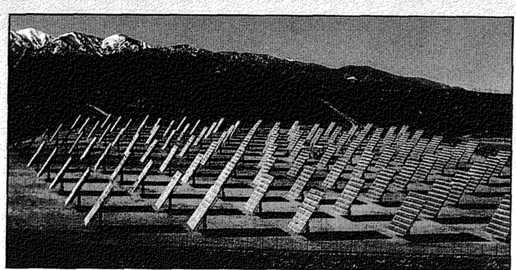


المراكز النووية الإنشطارية .. وأخطارها المستمرة .

طرق الحصول على الهيدروجين:

وأهم الطرق للحصول على الهيدروجين هي طريقة التحليل الكهربائي للماء التي تجرى في جهاز مخصص لذلك، يتكون من إناء يحوي ماء، ويغمس بالماء سلكين معدنيين (الكترودات)، المهبط والمصعد، ويتم وصلهما بمصدر للتيار الكهربائي. وقبل تمرير التيار يُضاف الى الماء النقي مادة مساعدة حمض أو قلوي أو ملح لتحويله الى محلول ناقل للكهرباء (الماء النقي لا ينقل التيار). وبعد تمرير التيار الكهربائي تتجه الشوارد الموجبة (H) التي تتشكل في المحلول نحو المهبط (الكاثود أو القطب السالب) وتتجه الشوارد السالبة (Ho) نحو المصعد (الأنود أو القطب الموجب) وبهذه الطريقة نحصل على الوسيط الطاقي الذي هو الهيدروجين بصرف كهرباء، ويكون الغاز المحضر بهذه الطريقة أكثر نقاوة، وإذا وجد مصدر رخيص لتوليد الكهرباء مثل الطاقة الشمسية فإن طريقة التحليل الكهربائي لإنتاج الهيدروجين تكون أفضل.

ولتجنب أن تكون تكلفة الهيدروجين الذي يُحصل عليه قليلة، دُرست إمكانية الاستفادة من الشمس التي تشع بنورها على الأرض كونها مجانية وتشع خلال فترات النهار ورأوا أن تقام الخلايا الشمسية في المناطق الصحراوية (الحارة) بالرغم من كونها بعيدة عن مراكز الاستهلاك وبعد أن تحول هذه الخلايا الضوء إلى كهرباء، يُنقل بواسطة الخطوط الكهربائية (الكوابل) إلى الشواطىء حيث تُشاد هناك مصانع الهيدروجين، وبعد الحصول عليه يُخزن



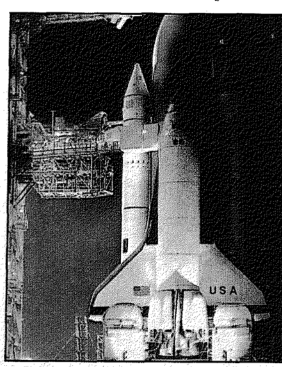
حقل من الخلايا الشمسية

إضافة الى استخداماتها في المحطات الفضائية. ويرى الباحثون في هذا المجال، أنه لكي تغطي الطاقة الشمسية الهيدروجينية المائة بالمائة من الطاقة العالمية يتطلب مساحات كبيرة لإنشاء التجهيزات قد تصل إلى ٥ر٠٪ من مساحة الأرض، ويعوّلون على هذا المصدر من الطاقة دوراً هاماً في المستقبل كونه لا يسبب ضرراً في البيئة ورخيص ولأنه سيكون أحد البدائل الرئيسية عن مستهلكات البترول الكثيرة وخاصة في مجال المواصلات البرية والبحرية والجوية والتي تصل إلى ٩٠٪ من الطاقة المواصلاتية المستخدمة.

ثم ينقل لأماكن التصريف. هذا وقد وضعت بالعمل في عام ١٩٨٧م مصانع بيلوتر لاستخراج الهيدروجين بمساعدة الطاقة الشمسية وجُهزت بعد ذلك في ألمانيا خلايا شمسية لتحويل الضوء الشمسي الى تيار كهربائي حتى مئات الكيلوواطات، كما وصلت إحدى الدراسات اليابانية إلى نتيجة أن التيار الكهربائي الذي يحصل عليه اعتماداً على الأشعة الشمسية يمكن أن ينافس في المستقبل المراكز الكهربائية ذات الاستطاعة العالية بشرط أن تنتج التكنولوجيا الحديثة خلايا ضوئية رقيقة جداً وأن تحقق ربحاً يقارب العشرين بالمائة (بدلا من ١٠٪) وأن ينقص سعر الخلايا الشمسية بعد أن يتم إنتاجها بكثرة. وقد تطورت صناعة الخلايا الفولتاضوئية وحققت ربحاً مقبولا لتجارها، وخاصة بعد أن انتشر استعمالها وأصبح كثير من شوارع المدن في البلاد الأوروبية وبعض الدول العربية مضاءة بقناديل ضوئية مغذاة بطاقة شمسية،

استعمالات الهيدروجين:

ليست طريقة الحصول على الهيدروجين بواسطة الأشعة الشمسية، هي الطريقة الوحيدة لاستخلاص الهيدروجين، بل هناك كثير من الطرق وكثير من المصانع المختصة بذلك والتي تنتج ملايين الأمتار المكعبة من هذا الغاز وهذا سيفسح المجال لاستعمال الهيدروجين بشكل أوسع في المستقبل، وبالتالي سيؤدي هذا الى المساهمة بحماية البيئة من التلوث



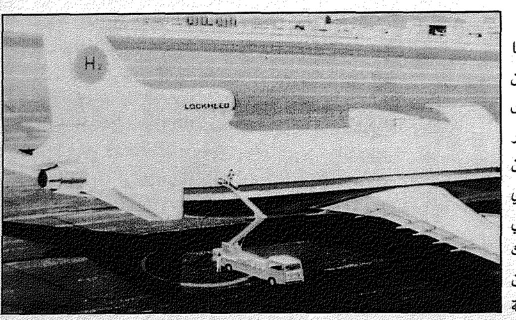
استعمال الهيدروجين فى المركبات الفضائية الامريكية

الناتج عن عوادم وسائط النقل بسبب استخدام المشتقات البترولية التي تؤدي بالنهاية بعد عدة تفاعلات إلى تكوّن الأوزون الضار بالكائنات الحية وغازي أول وثاني أكسيد الكربون وملوثات غازية أخرى وهذا كله يشجع الجهود المبذولة في مجال استعمال الهيدروجين كمصدر حامل للطاقة النظيفة، والمدعومة من قبل المهتمين بالمحافظة على البيئة وأهم استخدامات الهيدروجين الحالية هي استعماله كوقود في المركبات الفضائية (وكالة الفضاء الامريكية) وفي الطائرات (شركة بوينج الامريكية) وتجرى حالياً كثير من التجارب والتجهيزات من قبل الباحثين لتوسيع نطاق استخدامات الهيدروجين بعد أن يصبح متوفراً بشكل كاف، وما يجب التذكير به هو ضرورة اهتمام العرب بهذا المصدر الطاقوي وما يماثله من طاقات متجددة لتوفير قسم كبير من مستهلكات البترول وإطالة عمره لأطول فترة ممكنة.

خزّان هيدروجيني

خاتمة:

هذا بعض ممَّا يمكن قوله عن الهيدروجين كحامل للطاقة الذي سيوفر إنتاجه الواسع مخزون طاقي هام وسيؤدي استخدامه إلي تخفيض مشكلة التلوث البيئى الناتج عن بعض مصادر الطاقة الأخرى. وقد شجع ذلك كثير من الباحثين لعقد مؤتمرات داعمة لهذا المصدر الطاقي المستقبلي، بالرغم من تشاؤم البعض من إمكانية استغلال هذه الطاقة بشكل جيد. وما نأملة كعرب أن تتعاون الدول العربية بشكل جدي لتصنيع الأجهزة اللازمة لإنتاج هذا المصدر تعاوناً علمياً وتقنياً وتسويقياً لكي يوفروا المال والجهد والسرعة، وبالتالي سينعكس ذلك إيجابياً على أبناء العروبة قاطبة.



رسم لطائرة تنود بالهيدروجين

أغنية في الرّماد

ما بين صمتك واحتراقي
غيمة تمشي على نهر السُّهادْ
في قلبها لغةُ الندى..
ودموعُها غيثُ التجلي..
تزرع الأغوار..
من وادٍ لواد.
وأمدُّ أجنحة الحنين
إلى حقول أشتهيها
فأراك ظبيتها..
ونجمتها على صدر البلادْ
وأراك في «شجر الجميل»
ولادة الألوان،
والذكرى تحاصرني
على طول القُرى،
فيفرُّ من صدري الفؤادْ

* * *

يا نبعة الأشواق،
في عينيك أعراسُ الفصول،
ودمعة الأمواج تحبسها الشواطيء
كلما خفقت بمرفئها تعادْ
ولصوتك الساري إلى قلبي.
رفيفُ النور،
يكتبني..
ويكتبُ أغنياتي..
في تضاريس الرّمادْ
ما بين صوتك والمدى..
قلبٌ على وتر الرياح،
وطيفُ أغنية..
تفتشُ عن جناحْ
ستطيرُ نحوك..
غير أنَّ الليل أخّرها
لبعض الوقت..
فالتفت الصَّباحُ إلى الصباحْ
وتشاغلا في أبسط الكلمات
ـ أين تغيبُ؟!
ـ أين يحطُّ طائرها؟!
ـ من المسؤولُ عن أسرارها؟!
الشاعرُ المبتلُّ في هذا الندى؟!
أم لعنة الذكرى
كما قالت له يوماً
فصدّق .. واستراحْ؟!

* * *

ياليته قدري المتاح
يأتي فيشهدُ..
كيف تأتي النارُ لاهبة
على دمي المباح
فتراه يصعدُ مثل موج
صاخب الأنفاس..
في بحر الجراح
وتراه يخفقُ في الصدى
تحت النوافذ،
يعبرُ الوقت المحدّد
يستجيرُ بنار وحشته،
أمام الدار،
ينزفُ .. ثم ينزفُ..
ثم يخنقهُ الصّداحْ!!

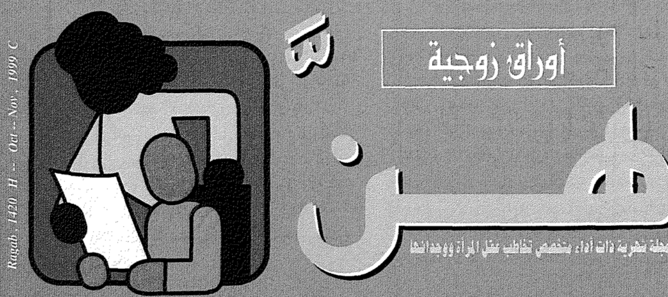
د. محمود الشلبي
كلية مجتمع اربد ـ الاردن

رسالة
من الذيلمي
.. الى السيدة الجميلة

حوار مع الأديبة سكينة فؤاد

أولو العزم من الرسل

١١٩



أولو العزم من الرسل

لقد اختص الله الأنبياء بالمعجزات والآيات الباهرات ، وأقام بهم الدين الذي اصطفاه لهم ، فهدي بهم من الضلالة ، وأنقذ بهم من الجهالة . وجعلهم أدلاء علي الهدى لمن استهداهم .

قال تعالي : **« فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل »** الآية ٣٥ من سورة الأحقاف

قيل إن هذه الآية نزلت علي رسول الله {صلي الله عليه وسلم} يوم أحُد فأمره الله عز وجل أن يصبر علي ماأصابه كما صبر أولوا العزم من الرسل تسهيلا عليه وتثبيتا له ، وقال الحسين : أولوا العزم أربعة ابراهيم وموسي وداوود وعيسي[١] .

أولا : سيدنا ابراهيم (خليل الله) عليه الصلاة والسلام :

فأما ابراهيم فقيل له « أسْلم قال أسلمت لرب العالمين » البقرة ١٣١ ثم ابْتُلي في ماله وولده ووطنه ونفسه ، فوجد صادقا وافيا في جميع مابتلي به . وقد ورد اسم « ابراهيم » في ٢٥ سورة من سور القرآن الكريم[٢] ، قال تعالي : « إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » النحل ١٢٠.

ولقد كانت مواقف ابراهيم مع قومه متعددة ، .فتارة يحاج والده ، وتارة يحاج الجمهور ، وتارة يحاج الملك ، وتارة يفعل مايستفزهم به إلي مهاجمته كتكسير الأصنام ليكلموه في شأنها إلي أن أوقدوا النار لحرقه فنجاه الله منها بعد أن ألقي فيها .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلي رسول الله {صلي الله عليه وسلم} فقال له : ياخير البرية ، فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم : ذاك ابراهيم خليل الله [٣] .

ثانيا : سيدنا موسي عليه الصلاة والسلام « كليم الله » :

وأما موسي فعزمه حين قال له قومه : « إنَّا لمدركُون ، قال كلا إنَّ معي ربي سيهدين » الشعراء ٦١

وكان موسي لا يترك فرصة للدعوة إلي الله سواء أمام فرعون أو غيره .

وقال تعالي : « قال موسي لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا » الأعراف ١٢٨.

إن الابتلاء الذي يصاب به الانسان في الدنيا ينبغي أن يقابل بالرضا فقد يكون الخير العظيم في هذا الابتلاء ، فهذا موسي قد خرج خائفا من آل فرعون تاركا مصر ، فكان الخير كله في هجرته ، واصطفاه ربه برسالاته وبكلامه ، ولقد كان موسي حليما علي بني اسرائيل رؤوفا بهم فإن الله قد غضب عليهم بسبب عبادة العجل وهددهم بالإبادة .

ولقد ذكر الإمام البخاري أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : « إني لأول من يرفع رأسه بعد النفخة فإذا موسي متعلق بالعرش (٤) »

ثالثا : سيدنا داوود عليه السلام :

وأما داوود فأخطأ خطيئته ، فنبه عليها ، فأقام يبكي أربعين سنة حتي نبتت من دموعه شجرة فقعد تحت ظلها (٥) .

ولقد ورد اسم داوود في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا . ولقد جاء في الكتاب الكريم أن الله سخر الجبال مع داوود يسبحن بكرة وعشيا . ولقد اختاره الله تعالي ليفعل العجائب بيده ، فقتل الله

رقيه صالح طه
- سوريا -



بيده جالوت الجبار بحجر أرسله من المقلاع ، وكان معتصما بأسباب التقوى والشكر لنعم الله تعالي . وإن الله تعالي لما رأي طاعة داوود وشكره زاده من نعمه وألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع ، قال تعالي « ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » . (ص ٢٦)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله {صلي الله عليه وسلم} قال : خفف علي داوود القرآن فكان يأمر بدوابه أن تسرج ، فيقرؤه قبل أن تسرج دوابه ، ولا يأكل إلا من عمل يديه .

رابعا : عيسي عليه الصلاة والسلام :

وأما عيسي فعزمه أنه لم يضع لبنة علي لبنة وقال : إنها معبر فاعبروها ولا تعمروها فكان الله تعالي يقول لرسوله {صلي الله عليه وسلم} (اصبر ، كن صادقا فيما ابتليت به مثل صدق ابراهيم واثقا بنصرة مولاك مثل ثقة موسي ، مهتما بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داوود زاهدا في الدنيا مثل زهد عيسي (٦) ، ولقد ذكر سيدنا عيسي في ثلاث عشرة سورة من القرآن الكريم في ثلاث وثلاثين آية (٧) قال تعالي : [إن مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون] آل عمران ٥٩ .

وعن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله {صلي الله عليه وسلم}: «ما من بني آدم من مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخا من نخسه إياه ، إلا مريم وابنها » .

روايات أخري عن أولي العزم من الرسل :

قال ابن عباس إن أولي العزم من الرسل هم ذووا الحزم والصبر ، قال مجاهد : هم خمسة : نوح ، وإبراهيم وموسي وعيسي ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وهم أصحاب الشرائع . وقال أبو العالية : إن أولي العزم : نوح ، وهود ، وإبراهيم ، فأمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام أن يكون رابعهم . وقال السدي هم ستة : إبراهيم وموسي وداوود وسليمان وعيسي ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين . وقيل : نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسي ، وهم المذكورون علي النسق في سورة الأعراف والشعراء . وقال مقاتل : هم ستة : نوح صبر علي أذي قومه مدة ، وإبراهيم صبر علي النار ، وإسحاق صبر علي الذبح ، ويعقوب صبر علي فقد الولد وذهاب البصر ، ويوسف صبر علي البئر والسجن ، وأيوب صبر علي الضر

وقال ابن جريج : إن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب ، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم . وقال الشعبي والكلبي ومجاهد أيضا : هم الذين أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة . وقيل : هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة «الأنعام» وهم ثمانية عشر : إبراهيم ، وإسحاق ويعقوب ونوح وداوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسي وهارون وزكريا ويحيي وعيسي وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط . واختاره الحسن بن الفضل لقوله في عقبه : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » . وقال ابن عباس أيضا : كل الرسل كانوا أولي عزم . واختاره علي بن مهدي الطبري ، قال : وإنما دخلت «من » للتجنيس لا للتبعيض ، كما تقول : اشتريت أردية من البزّ وأكسية من الخز . أي اصبر كما صبر الرسل .

المصادر :

١ ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، المجلد ١٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨٥ صفحة ٢٢١

٢ ـ قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، منشورات دار النصر ، دمشق ، ص ٧٧

٣ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ابن الأثير الجزري ، المجلد الثامن ص ٥١٢

٤ ـ جامع الأصول ، ص ٥١٤

٥ ـ الجامع لأحكام القرآن ص ٢٢١

٦ ـ الجامع لأحكام القرآن ص ٢٢١

٧ ـ قصص الأنبياء ص ٣٧١

٨ ـ الجامع لأحكام القرآن ص ٢٢٠ ـ ٢٢١

حوار مع الأديبة
سكينة فؤاد

من المدينة الباسلة « بورسعيد » جاءت أديبة مسكونة بعشق النضال والبطولة ضد الاحتلال والمحتلين ، فأبدعت مجموعتها القصصية « ليلة القبض علي فاطمة » التي نفذت إلي قلوب المصريين بصدقها وشفافيتها ..
... من بيئة البحر ، أتت امرأة عشقت البحر .. جاءت أديبة تحمل كلمة حق .. امرأة تحمل راية للحرية، وقلم جريء نابض يعشق القيم الانسانية، جاءت الأديبة لتحكي الحكاية من بدايتها في : «محاكمة السيدة س»، «ملف قضية حب»، «ترويض الرجل»، «امرأة يونيو» ..
كان مع سكينة فؤاد حوار من جنس خاص .. لمجلة خاصة..

حاورها : وفيق صفوت مختار
ـ مصــر ـ

إحساس الابداع القصصي

● في البداية نود أن نعرف كيف تولد لدي الأديبة سكينة فؤاد الإحساس بكتابة القصة ؟

ـ أنا من جيل ينتمي إلي المكتبة والكتب ، ولم تكن قد أصبحت المكتبة مجرد « ديكور » في البيوت ، أنا من جيل كان الكتاب عنده صديق ورفيق للكبار ، وكان البيت كَبُر أو صَغُر يحرص علي ركن فيه للمكتبة .. وكان أقصي أحلام الصبية الصغيرة أن تفك طلاسم مشهد أحد الكبار في الأسرة .. وهو يمسك بكتاب يقرأه .. وعلي عينيه نظارة طبية .. كان أقصي حلم لي أن أفتح كتابا وأنا أقرأه ... أحسست أن القراءة تعطي هيبة .. تعطي احتراما .. كل من يقرأ له سمت مختلف .. كان لمن يقرأ مكانه فتمنيت المكانة .. ربما فتحت عيني علي حواديت الجدة .. فتمنيت أن أحكي .. فتحت عيني علي بيئة البحر .. حيث الخيال يوقظ مبكرا .. فأحسست أن الكتاب عالم مسحور أتمني أن أدخله .. لم أكن أعرف ماذا أريد بالضبط .. إنما حكي الحكاية .. حكايات الناس كانت تشغلني .. أنا أذكر أنه كانت أذناي الصغيرتان لا تكفان في أن تذهبا وراء كل من يحكي ـ ليس تلصصا ـ وإنما فهما للوجود ، كان ومازال يعنيني في البشر حكاياتهم .

● ان لم تكوني كاتبة وأديبة .. ماذا كنت تتمنين ؟

ـ لو لم أكتب .. لكنت أتمني أن أكون فنانة تشكيلية، للوجوه الانسانية ... إبداع الخلق في



الوجه .. بالقيمة الجمالية القادمة من الداخل .. لأن أجمل وجه عندي .. وجهٌ كتب الزمن فوقه خطوط معاناة ..

البدايات :

● البيئة التي تولدت فيها بدايات سكينة فؤاد الإبداعية ، ما طبيعتها ؟

ـ هي بيئة البحر .. بيئة المقاومة ضد المحتل .. بيئة التحدي في التغيير والتحدي للمستعمر .. بيئة تربية النشء وسط قيم البطولة والوطنية .. بيئة البحر المفتوح .. والسفن التي لا تكف عن العبور .. لم أكف عن الحلم بشاطيء آخر .. كان العالم بالنسبة لي دائما متسعا .. فأنا أعتقد أن هذه البيئة أدين لها برحابة الفكر .. بالاتساع .. بالبحث لما وراء الطبيعة . ووراء البحر .. ووراء ... ووراء ..

● هل تذكرين الأدباء الذين وضعوا بصماتهم الحقيقية علي حياتك الابداعية ؟

ـ نعم .. مازلت أذكر الكتب الكلاسيكية للكبار أمثال « إميل زولا » و « تولستوي » و « تشيكوف » شكل وجداني أيضا ماقرأته من قصص « ألف ليلة وليلة » وكتاب تفسير الأحلام « لابن سيرين » . كل القراءات الكلاسيكية الأولي لعبت دورا كبيرا .

فاطمة .. وبور سعيد .. والمقاومة

● «ليلة القبض على فاطمة» .. قصة تخاطفها القُرَّاء .. كما تخاطفتها الإذاعة والسينما والتلفزيون .. أحداث القصة تمتزج بأحداث المقاومة قبل الثورة وبعدها .. كما أن القصة عبارة عن نسيج شفّاف امتزجت فيه السياسة بالواقع الاجتماعي والإنساني .. أعتقد أن لهذه القصة خيوطاً عديدةً من الواقع الحقيقي المُعاش ... ما تعليق الأدبية سكينة فؤاد ؟

ـ المبدع يستخدم البصيرة فى عمقها



● لو لم أكن كاتبة .. لتمنيت ان أكون فنانة تشكيلية

وتكثيفها، يستبصر ويحس وجدان أهله يرى ويسمع مالم يقع أمامك .. هناك نوعٌ من استبصار وجدان الناس والأهل .. لا أبالغ وأصْدُقُكَ القول .. أنني كتبت «فاطمة» قبل أن أعرف تفاصيل المقاومة .. كتبتها من مُجْمَل الإحساس بالمرأة المصرية .. من مُجْمَل الإحساس بالمرأة التى أنتمي إلى جذورها .. إنهَّا متوجِّسةٌ فى زمن تغيب فيه قيمة الحق .. ويصبح من يقوله عليه أن يوضع وراء مستشفيات فاقدى العقل .. وأنا أرى الحق يزوى .. والحقيقة تضمحل .. والكذب يعلو .. والانسان يأكل بعضه .. من حصيلة الطفولة صعدت ذكريات المقاومة .. شاهدت «فاطمة» فى نساء بور سعيديات .. ولاتنسَ أنَّ المرأة فى مدن البحر مثلما فى مدن الصعيد لها مكانة عالية جداً .. والمرأة فى السن المتقدم تكون عمدة البيت .. شاهدت المرأةُ رجالاً كباراً ـ ولأنهم رجالُ كبارٌ ـ كانوا يمتثلون لحكمها .. ورأيت الرعبَ فى رجالٍ كذبوا أو غشوا، .. وهى تقول لهم : قولوا الحقيقة .. سأعرفها .. كان قلب الطفلة يرقص وهى تراقب كل هذا .. لاتتصور، أنى بعد أنْ كبرت ونضجت .. بدأت أجمع أوراق المقاومة .. موسوعة نضال بور سعيد للأستاذ «ضياء القاضي» كانت

كتبتُ (فاطمة) قبل أن أعرف تفاصيل المقاومة

خيالي لم يرتفع إلى قامة قدرة الواقع والإنسان والمقاومة

دخلت مجلس الشورى على أجنحة الكلمة

تمثل ملامح ومعالم في الطريق وأنا أحييه .. وأتمني من كل ابن مدينة من مدننا أنْ يكتب تاريخ مدينته .. لأنه .. أية مدينة بلا نضالٍ ؟! .. إن لم يكن مع أجنبي فمع حاكم غريب .. تاريخنا تاريخ نضال .. تاريخ محاولة استيلاء واختراق - وأنا أقرأ تاريخ المقاومة .. فإذا بمجموعةٍ من النساء تقودها «زينب الكفراوي» .. وإذا بي أصيح بصوت عال وحدى .. لأن «زينب» حملت طفلاً ولكنه من دمٍ ولحم .. وليس كخيالي القاصر من قشٍ وقماش .. حملته وعبرت به جميع نقاط التفتيش .. ووُقع على جسدها بأختام الحراسة الإنجليزية .. وكانت تحمل في قلب عربة الطفل متفجرات ومعها كلمة سر .. وعبرت الى الفدائيين .. وكتبتُ في الأهرام مقالة أعتذر فيها عن خيالي الذى لم يرتفع إلى قامة قدرة الواقع والإنسان والمقاومة.

مجلس الشورى

● **إختيار سكينة فؤاد لعضوية مجلس الشورى شرفٌ للأدب والأدباء .. ولكن هل عملكِ كنائبة أثَّر من قريبٍ أو بعيدٍ على نتاجكِ الأدبى .. وإبداعكِ بشكلٍ عام ؟!**

ـ سؤال جميل .. أولاً أعترفُ .. أنه لم يحملنى إلى مجلس الشورى إلاَّ أجنحة الكلمة .. وقيادة قَدَّرت .. لأننى لا أملك إلاَّ الكلمة .. ليس لى فى الدنيا بعد الإيمان باللَّه سبحانه وتعالي .. من وجاهة أو قيمة إلاَّ الكلمة .. وما كتبتُ .. فى البداية أقول لك .. ربما كان الارتباط بالكلمة بحثاً عن هوية .. الكلمة ارتباط بالوجود بشيءٍ حقيقى .. المال يزول . والمكان يزول .. وكل شيء يزول .. ولكن لا تزول مكانة صنعتها بجهدٍ وعرق .. فما بالك بالكلمة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء .. مجلس الشورى حملتنى إليه أجنحة الكلمة .. فأنا بدون الكلمة ما كنت شَرُفْتُ بالتمثيل النيابى واختيار القيادة ـ فأنا من المعيَّنين ـ بالتأكيد إنَّه احترام للكلمة .. ثم إنَّ التجربة تجربةٌ شديدة الخطورة ـ لأنى أتمنى أن أجمع كل ماتحدثت به تحت القبة وأصدره فى كتابٍ متواضع لأقول : أنا النائبة لم أترك أبداً يدّ الكاتبة فى الانتماء إلى قضايا الناس .. وإلى همومهم الحقيقية .. مشكلة كبيرة عندما تنتمي للناس .. وتتعدد أشكال انتمائك صحفيا ونيابياً وأدبياً .. فما أكثر ما تأخذ منك التغطية الصحفية فكرة جميلة من الممكن أن تنتظر الإنضاج لقصة أو رواية .. وإذا سألتني أقول لك إن الانتماء إلى الناس والتعبير عنهم هو القضية الأولي .. والأدب شكل .. والنيابة شكل آخر .. والصحافة شكل ثالث .. إنما يظل الأدب الأكثر قيمة .. والأعمق أثرا .. ما أكثر ما ذهبت النائبة إلى مالم تستطع الاديبة أن تذهب إليه وحدها .. لاتنسى أن النائبة ساعدت الأديبة على أن تغوص فى أعماق مصر ..



فن القصة القصيرة

● **القصة القصيرة والرواية فنٌ أوربى نقله العرب عن الغرب .. أم فن تضرب جذوره فى أعماقنا ؟!**

ـ أنا ممَّن يرون فى جذورهم كل شىء .. ففى الأدب العربى القديم حكايات وسير ومقامات وقصص .. وقصر القصة على الغرب قولٌ مضحك .. لأن القصة جزء من الوجود الإنساني .. فمنذ وجد الإنسان على الأرض وهو يحكى .. والمأثور الشعبي مِلك كل الشعوب .. وراوى الربابة مِلك كل الشعوب .. من منا لم يحكِ ؟ ومن منًّا لم يقل ؟ .. فكيف تكون خاصة بأوربا ؟

● **هناك من يدَّعى أن القصة القصيرة قد استنفدت جميع أغراضها وحان وقت رحيلها عن الساحة الأدبية؟!**

ـ ليس أنسب للَّحظة الراهنة من القصة القصيرة فى مناسبتها لسرعة ايقاع الحياة ولا أنسب منها لالتقاط مشهد مثبت على كاميرا الزمن .. ولاتنسى أنَّ الرواية فن البناء والمعمار، والواقع أصبح أقوى من الفن .. نعم أنت الآن تعيش واقع حكايات لايرقى إليها أى جنون فنى .. كيف يمكن للقصة أن تسبق الواقع ؟ .. هى فى منافسة خطيرة مع الواقع .. لأنه إذا تصفحت صفحات الحوادث تقرأ قصصاً لو كتبتها وألَّفتها يقولون أنك مؤلف مجنون .. أنت الآن تقابل نماذج بشرية يصعب على القلم أن ينقلها على الورق .. الفن كان يتقدم الواقع من قبل .. الآن الواقع يتقدم الفن .. القصة القصيرة يجب أن تكون .. لحظة فيها شموليتها .. فيها عمق ورؤية .. وإلاَّ سيكون تصوير الواقع مجرَّد كتابة صحفية..

● **الانتماء للناس والتعبير عنهم هو قضيتي الأولى**

● **فن القصة أعلى من مجرد الكتابة التسجيلية للواقع**

● **قَصْرُ القصة على الغرب قول مضحك**

● **القصة القصيرة والرواية فن تضرب جذوره فى أعماقنا**

● **كيف تستطيع القصة أنْ تظل تمتلك مقومات فنية تجعلها أسبق من الواقع ؟ أم أن هذا صعب ؟**

ـ لا .. ليس صعباً على الإطلاق فى خلق الفنان .. من أجل هذا ربما تقل .. ولكن لاتنعدم .. ما أكثر الآن من يتصور .. أنه يمكن أن يكتب قصة أو رواية ! .. واختلاط الحابل بالنابل يجنى على الكثير من الأدب الذى له قيمة.. وعلى النقد أن يغربل ويقوم ويقيّم .. كتابة الواقع مهمة جداً .. وفن القصة أعلى من مجرد الكتابة التسجيلية للواقع .

● **وماذا عن أحلام وأمنيات سكينة فؤاد ؟**

ـ أن أنتمى لناسى وأهلى وبلدى بحبلٍ سُريّ .. تصنعه الكلمة التى كتبتها ببالغ الإخلاص .. وأكتبها مغموسة فى هموم الواقع وفى مشكلاته الحقيقية .

ليلة الإسراء

نوال مهنى
- مصر -

يا ليلة يزهو الزمانُ بمجدها
تختالُ فى جنباتها الأضواءُ
ذاكم رسول الله يرقى منزلا
يحدوه فيضُ كرامة وسناءُ
وتعطرتْ أرضٌ سرى من فوقها
وتزينتْ لصعوده الجوزاءُ
ضيفٌ كريمٌ فى السماءِ مكرمٌ
قد ظللته السدرةُ العلياءُ
رجب يتيه على الشهور بليلة
فيها لخير المرسلين عزاءُ
يا أخت قدر قد حبتكِ ملائكٌ
ركبُ الأمينِ معطرٌ ومضاءُ
يامنة الرب الفضيل لعبدهِ
جاء العُروج وقبله الإسراءُ
حتى يكون لكل مرتاب النهى
درساً يعيه فتسقطُ الأهواءُ
حدث لعمرى فوق كل تصور
واللهُ يفعلُ مايرى ويشاءُ

قراءة في تأملات

من الذى قال بأن الإنسان لا يمكن أن يكون سعيداً إلا إذا غدا خالداً ؟؟ ما مغزى ذلك؟ كيف يمكن للمرء أن يعرف اللغز الضخم للحياة والموت ؟؟

إن هذا يعنى إدراك المستحيل ، اللا منتهى .. ملاقاة كل المعاناة ، الشك والبحث والكفاح الممكن لتجريد الناس من معنى الحياة ذاتها - فرحتهم الوقتية فى التغلب على كل هذه العقبات - نعم كان هذا هو لب الموضوع ، أنت إن سلبت الناس هذا الحافز ، فإنهم سيتحولون إلى نمل ، ولسوف يلعنون خلودهم .. إن الإنسان فى وسعه أن يكون سعيداً سعادة كلية ، فقط عندما يمتلك السر الذى يعلو كل الأسرار - ألاّ يخاف الموت - ثم لايفكر فى حياته الماضية ، ويعجب ماهى السعادة ؟!! لأن الماضى بعد كل شيء كان حنيناً لما لايمكن تكراره مثل الحب الأول ، مثل تلك اللحظة التى مضت منذ أمد بعيد .. عندما كان واقفا على عبّارة تغمرها الشمس تقطع النهر الدافىء بفعل السماء ، لحظة لا تنسى فى طفولته ، واحساس بالشاطىء الذى يقترب أخضر واعداً ، زكى الرائحة فى سعادة صيفية عسلية ...»

بهذه التأملات الوجدانية التى يمكن الإحساس بها فى عمق ، والتى تبدو وكأنها تبزغ من لا وعي بطل الرواية الذى يموت ، يُنهى المؤلف السوفيتي : يوري بونداريف روايته «الشاطىء» التى نشرت عام ١٩٧٥ م ..

هذه التأملات تؤكد أن لا سعادة للنفس البشرية إلا فى الاستقامة وتلك الاستقامة لايمكن أن تكون إلا فى الدين الإسلامي .. فهو المخرج الوحيد للبشرية مما هى فيه .. إذ أن العالم فتكت أو ستفتك به الفتن وسيعظم فيه البلاء وستشتد قسوته على نفسه وعندها يعمد العالم كله الى الأمن ويشتد حنينه إلى الخروج من مأزق الطغيان الذى تردّى فيه .. كيف ؟؟؟

يستحيل العالم كله تلقائياً إلى مسلمين . ولكن مسلمين منهم من قرأ الكتاب الكريم والسنة النبوية ، وشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله .. وآخرون آمنت عقولهم ولمّا تؤمن قلوبهم.

جمعة بنت مسفر الزهراني
- مكة المكرمة -

١٠٢٣ ـ أبو عواد:

أتذكر بألم حداثة عهدنا بزواجنا أنك كنت حريصة على تفقد حاجاتي بطريقة تثير الإعجاب .. أما الآن فإن أشياء كثيرة قد تغيرت .. ثيابي تغسل وتكوى بالخارج وأحياناً الأكل من المطعم .. إنني أصبحت مجرّد محفظة تموّل الطلبات !!

١٠٢٣ ـ أم عمرو:

لقد بدأت الزوجة بداية صحيحة تثير الإعجاب عندما اهتمت بحاجات زوجها فهل عبّر الزوج عن إعجابه هذا بأي صورة من صور التعبير . لو حدث هذا لاستمر حرص الزوجة وبالشكر تدوم النعم.

١٠٢٤ ـ أبو عواد:

إنّ رجلاً واحداً ياسيدتي لم يتزوج من تزوّج وفي خلده احتمال ولو ضئيل للزواج عليها .. المرأة بطبعها وعشرتها تحمله على الاعتزاز باختياره أو تأتيها أخباره ..

١٠٢٤ ـ أم عمرو:

الكل يعرف أن كثيراً من الرجال يتزوجون للمرة الثانية لمجرد أن محافظهم تضخمت بالمال ولرغبتهم في التغيير والتبديل ، والترويح عن النفس . وفي هذا إساءة له ولأسرهم وللحق الذي أعطي لهم ليستخدموه عند الضرورة وعندما يكونون قادرين عليه بعقولهم ونفوسهم وليس بجيوبهم .

١٠٢٥ ـ أبو عواد:

إنني كلما رأيت امرأة بلباس فاضح أو غير محتشم ورأيت إلى جانبها رجلاً يدعى زوجها أدركت أن عروق الغيرة قد تيبست في وجدانه تماماً كما تيبست في عيون زوجته عروق الحياء!

١٠٢٥ ـ أم عمرو:

وأنا أقول من يحمل قربة مقطوعة ينزل حملها على أم رأسه .

١٠٢٦ ـ أبو عواد:

ثمة نساء تطل الواحدة كأنها شمس الضحى أو البدر وتتعطّف في دلالٍ ورقة متوشحة بكل ما يبرز المفاتن ويستفز الوقار .. يعتقد المراقب أنهن للوهلة هبطن من كوكب آخر .. وإذا سأل وتقصى وبحث وتعمق يكتشف أن الذي يلمع مجرّد صفر كأي صفر يحفظ في منزله !!

١٠٢٦ ـ أم عمرو:

والغريب أن الخطّاب يتهافتون على هذه الأصفار الملونة كما يتهافت الفراش على مصابيح الضوء .

١٠٢٧ ـ أبو عواد:

ذلك الذي يبخل على زوجته ؟ .. كيف يطلب منها أن تحبه والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس إنه إن كان غنياً فقد يكون

في رحيله حلّ للكثير من مشاكلها المعلقة .. وإن كان فقيراً وبخيلاً فلا أسفت على ذاك البخيل.

١٠٢٧ = أم عمرو:

البخل صفه مذمومة والبخيل لا يأخذ دنيا ولا آخرة .

١٠٢٨ = أبو عواد:

أنت كأي امراة يبدأ تفكيرها من قلبها ولا أستطيع أن آخذ برأيك إلا بعدما تدرسين الأمر دراسة كافية وبكل حياد وموضوعية .

١٠٢٨ = أم عمرو:

لم يعرف علم البيولوجيا إلى الآن كائناً بشرياً يفكر بقلبه . الوظيفة الوحيدة المعروفة للقلب هى ضخ الدم إلى أجزاء الجسم ، ربما تأتى هؤلاء النساء من كوكب آخر .

١٠٢٩ = أبو عواد:

لماذا تسعى بعض النساء لأمتلاك العصمة.. وما شأنها وشأن تلك المسؤولية التى تحتاج إلى جلد وصبر على الأذى .. لتترك العصمة بيد الرجل، والا تحولت العصمة بمرور الزمن إلى عصمه وهمية، لأن كل المفاتيح ستكون بيدها هي .

١٠٢٩ = أم عمرو:

المؤكد أن المرأة بطبيعتها تبحث عن زوج يشملها بحبه وحنانه لتثق به وتسلمه زمام أمرها. ولكن اذا كانت المرأة لا تثق تماماً فى نوايا الزوج فلها أن تحتفظ بهذا الحق.

١٠٣٠ = أبو عواد:

لا أعتقد أننى رأيت أو قد أرى إذا حييت لغدى أسخف من امرأة ترى فى تغيير لهجتها أو التصنع فى لغتها وفى اللهث خلف الموضة دليلاً على رجاحة عقلها ورفعة مستواها الاجتماعي والحضاري .

١٠٣٠ = أم عمرو:

عندما يستبدل عقل الإنسان بلسانه ، حدث ولا حرج .

١٠٣١ = أبو عواد:

من حق الزوجة التى لا ترى فى زوجها إلا أباً لأطفالها وسائقاً للعائلة وممولاً لطلباتها وأن كل ماتطلبه منه مجاب .. من حقها أن تطلب منه أن «يحفّظ لها أل بي بي» !! لأن الطلاء لم يجفّ بعد عن أظافرها .

١٠٣١ = أم عمرو:

تحديد الأدوار فى الزواج مسئولية كل من الزوجين وهو يتم من اللحظات الأولى .

١٠٣٢ = أبو عواد:

عندما تصل الصفاقة بالزوجة أن تنهر زوجها وتزجره .. من حقها كذلك أن تضع عليه سرجاً وتركبه وله أن يختار أية مرتبة له دون ذلك لأنه بكل تأكيد ليس حصاناً .

١٠٣٢ = أم عمرو:

التطاول باللسان من أى من الزوجين على الآخر صفه مذمومة تدل على سوء التربية والخلق .

رسالة من الديلمي إلى السيدة الجميلة

ـ هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي

ـ كان مجوسيا يتكسب بالكتابة فى الدواوين

ـ تخرج على الشريف الرضى فى الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله

ـ أسلم على يده وتشيع فى مذهبه وغلا فى التشيع

ياظالمي .. ياهاجرى .. يامن جعلت سعادتك فى تعذيبى .. يامن لاتعلو البسمة وجهك إلا إذا سمعت أنينى ..

ريك فى دموعى .. وأنسك فى شجونى .. وحبورك فى ضيعتى وأساي ..

ياظالمى ياهاجرى .. يامن سلواك فى شقوتى .. أهذا هو دينك فى الحب ؟ أهذا هو حبك للحب ؟ أقسم بالله ، لا أعلم أحداً من وجهاء العاشقين المتيمين ، كانوا على مثل شاكلتنا ، أو على مثل حبنا .. هل أقول إذن إنه حب بغير نظير فى تاريخ الحب ؟ يبدو أن الأمر كذلك ..

فما الذى دعاك يا «عبدُ» إلى أن تذيعى أسرارنا وتطلعى من حولنا على هوانا وكأن ليس لأسرار الهوى عندك قداسة وجلال .. الحق والحق أقول ، لقد عجزت عن تعليل هذه الخصلة التى لم يسبقك إليها أحد من نساء العالمين :

فى ليلة من الليالى زرت صديقى المهذب أبا منصور الحسن بن على . وأنت تعرفين جيداً أننى أثير إليه مقرب منه ليس بيننا تكلف أو تصنع . إنما طلاقة وتلقائية تحكم إخاءنا وصداقتنا .. زرت صديقى المهذب أبا منصور ففوجئت به يسألنى : ما الذى جرى منك لعبدة يا أبا الحسن ؟ قصة حبكما تعطر أجواء بغداد ، فضلاً على البصرة والحجاز والشام .. فهل مما يليق بك وللحب قيمه ومبادئه ، أن تظلمها فتماطل فى اللقاء بها وكأنها عيب تتحاماه، وتتهرب منه؟ إنها غاضبة منك يا أبا الحسن.. مرّت بي هنا وشكتك إليَّ، فما قولك ؟ قلت له : يا سيدى ، والله الذى لا إله إلا هو ، وهو خير العالمين بقلوب المحبين ، ما أسأت إليها أبداً . إنما هى التى أساءت وظلمت .. سيدى أبا منصور :

ما لكم لاتغضبون للهوى

وتعرفون الغدر فيه والوفا ؟

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
ـ مصر ـ



إن كنتم من أهله فانتصروا
من ظالمي أو فاخرجوا منه بُرا
أما ترون كيف نام وحمى
عيني الكرى فلم ينم ظبي الحمى ؟
وكيف خلاني بطيئاً قدمي
عنه ومرَّ سابقاً مع الونى
غضبان يالهفي كم أرضيته
لو كان يرضي المتجني بالرضا

حبيبتي عبدة :

ثم تركت أبا منصور وأنا أضرب كفاً بكف ، أحدث نفسي كالمجنون : ما الذي جرى لعبدة ؟ ترى أتكون صادقة فيما ادعته عليَّ ؟ إن جاز ذلك فلا بد أن أكون ظالماً لها ..

وفي يوم آخر قصدت بيت أبي طاهر بن حماد عميد الحضرة .. وما إن أخذت مجلسي حتى رأيته ينظر إليَّ تعلو محياه بسمة محببة مزاجها سخرية بريئة .. فسألته : ما الخبر ياسيدي أبي طاهر ؟ تنظر إليَّ وكأنني أتيت عملاً مزرياً .. فقال : أنت أدرى بنفسك ، لو لم تعمل عملاً مزرياً لما اختلجت عيناك ، ولما امتقع وجهك ، ولما تلعثم لسانك .. فقلت له : بالله ياسيدي ليس بي شيء مما ذكرت . فارحم فؤادي ولا تفْتِك بعقلي ، إنه يكاد يطير شعاعاً من كلامك هذا ؟ فقال : أريحك يا أبا الحسن .. أريح ضميرك . ألم تعلق بعبدة يارجل ؟ قلت : بلى ، قال : ففيم إذن الغدر بها فتوجه قلبك إلى غيرها ؟ لاتضنيها بالأسى الوجيع على أيامها التي قضتها في حبك ، والليالي التي نعمتما فيها بتبادل كؤوس الأشواق . الحق ، إنها جاءتني وقلبها يتفطر حسرة على حبها ، وندما على أيامها .. إن المسكينة حائرة : ماذا تصنع معك وقد وهبتك ذخر قلبها ، وصفو حبها ، وهبتك فوح شبابها وصباها . فهل يجوز بك أن تحب غيرها وتهملها ، تنوه بحبك الجديد وتصدح به صدح الطيور بين الروابي الخضر والجنات الباسقات ؟

فقلت : ياسيدي أبا طاهر ، أنت تكيل إليَّ الاتهامات بالكيل الوافي بغير أن تقدم دليلاً واحداً يثبت صدق ادعاءات عبدة وصدق ما تزعمه . فقال : عندك حق يا أبا الحسن . وهاك الدليل الذي يقنعك ، بل الذي يفحمك ، بل الذي يردك على أعقابك خاسراً .. ألم تنشأ علاقة حب بينك وبين الحسناء : «هند» ؟ فهي الآن التي تحتل قلبك ، فأنت هائم بها مدله فيها ، تبذل جهدك حتى لا تكشف عبدة سرك . ولكن خاب تدبيرك يامفكر ياحصيف فقد اعترفت بنفسك على نفسك ؟ قلت : كيف ياسيدي ؟ كيف ؟ قال : ألم تقل :

أيابانة الغور عطفا سُقيت
وإن كنت أكني وأعني سواك
أحبك من أجل من تشبهين
لو أني أراه كما قد أراك
ذكرت ويالهفتي هل نسيت
ليالي أسمرها في ذراك ؟
يخضر عودك من دمعتي
ويعطر من برد هند ثراك
وياهند إن عقل الكاشحون
وعندهم من ذنوبي نِداك

كفى الوجد أني إذا ما استرحت

الى اسـمك عـمـيـتـه بالأراك

قلت : ولكن هذا هو الظلم بعينه .. أجل ، أنا قلت تلك الأبيات ولكنها كانت مجرد رد فعل لهجرها لى ، وتكبرها على قلبى . فأنا لم أغدر ، ولم أتملص ، ولم أراوغ . إننى محبٌ وفيّ .. تعاتبنى لهجرى وهى الهاجرة ، وتعاتبنى لغدرى وأنا الوفى .. وها أنذا ياسيدى أولى بحجتى فاقول:

عـذيرى من باغ عليّ أحـبـه

ولم أر بغـيـاً قـبله جـره الحب

يعاتبنى فى الهجر والهجر دينه

وقد كان حلوا ـ لو حلا وده ـ العتب

وأسلك طرق الوصل وهو مجـبب

فـإن ضل حق بيننا فله الذنب

بأي وفـاء خلتنى حلت عن هوى

ومثل لا يسلو وفى الأرض من يصبو

فأنا الذى ، ياسيدى ، أتعذب لهجر عبدة لى ، فأنا الذى يحق لى أن أشكو منها .. وإننى لأشكو منها إليها فأقول :

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب

وأسـأل النوم عنكم وهو مسلوب

وأبتـغى عندكم قلبا سـمـحت به

وكـيف يرجع شيء وهو موهوب

مـا كنت أعـرف مـا مـقـدار وصلكم

حتى هجرتم وبعض الهجـر تأديب

فقال أبو طاهر : ماذا أقول ؟ قاضى الغرام اشتكى نفسه .. فضحكنا وانصرفت من عنده ..

حبيبتى عبدة :

وفى يوم آخر زرت مولانا مؤيد الدولة أبا على الرُّخْجى لأشكره لإنعامه عليَّ وإكرامه لي وذوده عنى لما افتراه عليّ العاذلون المتلصصون ، ولما أن انتهيت من ثنائى عليه رأيته يقول لى : إيه يا أبا الحسن ، مارأيك فيمن يقول :

أرضى وأسـخط أو أرضى تلونه

وكل مـا يفـعل المحبوب محبوب

أمـا وواشـيـه مـردود بلا ظفـر

وهل يجـاب ويذل النفس مطلوب

لو كان ينصف مـا قـال انتظر صلة

تأتى غـدا وانتظار الشيء تعـذيب

وكـان فى الحب إسـعـاد ومنعطف

منه كـمـا فـيـه تعنيف وتأنيب

تُرى هل قائل هذه المعانى محب صادق الحب ؟ أم أنه يتخذ من الحب أحبولة لاصطياد القلوب ثم تعذيبها ؟ فقلت له : سيدى مؤيد الدولة . هذا الكلام كلامى فأنا لا أنكره ، أنا قلته فى عبدة لأنها كثيرة

التلون بالمعاذير والعلل . فهي التي يغريها تعذيبي ، ويغريها بقلبي على جمر الهجران معذبا بين التأنيب والاعتذار والانتظار .. فهل تلك من خلائق الحب وتواد المحبين .. ومع ذلك ياسيدي العزيز فقد ذهبت الى نادي قومها وخاطبتهم علهم يرجعونها عن غيها فترضى عني فقلت :

يا أهل عبدة هل يد يفدى بها
قلب أسير بينكم لطليق
أشعرتكم زمنا بعبدة غيرها
لو رجم المكروه بالموموق
لله ناشطة جمعت بودها الـ
محفوظ باعي في حبال ربيق
ما كان أول عهد استودعته
من قلب غانية إناء مريق
ولقد أخالفهن غايات الهوى
وطريقهن من الشباب طريقي
كأن الهوى سكران تنظر عينه
حتى صحا فرأى بقلب مفيق

قال سيدي مؤيد الدولة : إذن فلا جناح عليك يأبا الحسن برئت ساحتك .. ولكنني سمعت من عبدة أنك مازلت على لقاءاتك مع غريمتها هند ، فما مدى صحة هذا الادعاء ؟

قلت : سيدي ومولاي ، والله ما أنا كذلك ، وإنني لأحب عبدة والله يعلم كم أنا مشوق إليها تواق إلى لقائها رغم جفائها وصدودها . قال سيدي مؤيد الدولة وهو يغالب الضحك ، فماذا كنت تقول لها يا أبا الحسن ؟ هِهْ ، قلت: كنت أقول :

إذا لم أحظ منك على التلاقي
فما بالي أروَّع بالفراق
بعادك حيث لا يرجوك راج
كقربك حيث لا يلقاك لاق
فمن يشك النوى أو يبك منها
فلا دمعي هناك ولا احتراقي
نواك من الملال أخف مما
على كبدي وأبرد لاشتياقي
ولولا البين لم أملك وصولا
الى قبل الوداع ولا العناق
على أني وأنت النجم بعدا
حديثك بين صدري والتراقي

فقال سيدي مؤيد الدولة : إذن فأنت سَكِرٌ بحب عبدة ؟ .. قلت : نعم ياسيدي :

قلبي له مرعى وصدري كلاً
ليت كلا ظبي الحمى مارعى

حبيبتي عبدة :

لاتظلميني ولا تشمتي بي وبك الوشاة والحاسدين .. واعلمي أنني :

أنا الجاري إذا الحلبات طالت
مراكضها على الخيل العتاق

مخطوط حمزة العربي [البتراء]

هذا مخطوط العلامة حمزة بن العربي التقرتي (المدني) . هذا ماجاء في مقدمة الكتاب المخطوط إذ ورد بالنص « وقفة بين الآثار بقلم الفقير الى مولاه الغنى حمزة بن العربى التقرتي ثم المدني القائل

ولقد وقفت على المنازل وقفة
ظلت دموع العين فيها تذرف
فطفقت ارمقها واندب معشرا
كم خلدوا اثرا بها واكفكف
يالوعة القلب الكليم وحرقة الـ
أحشاء يوم نظرت ماقد خلفوا
يادارهم هل تذكرين جوارهم
يوم الزمان اليهم يتلطف
يادارهم هل تذكرين جوارهم
والعصر عصرهم صديق مسعف
ياسلوة الاحزان بل يامسرح الـ
غزلان يعلوهن ذاك النفنف
فى ملعب بين القصور مدرج
قوس علا قوسا وأخر يشرف

هذه غالبية أبيات القصيدة التى وردت فى مقدمة المخطوط بقلم العلامة الراحل حمزة العربي وهو يخاطب مدينة البتراء، والآثار هى آثار البتراء، وتلاحظ ان الراحل حمزة العربي وقف بنفس الطريقة التى وقف بها البحتري وخاطب ايوان كسري فى قصيدته السينيه الرائعة [صنت نفسي - عما يدنس نفسي ....] وتذكرنا بقصيدة الراحل شوقي فى الاندلس وآثارها والتي نظمها على نفس قافية البحتري ومطلعها [اختلاف الليل والنهارينسى ....] .

وصاحب الترجمة العلامة العربي لم يختلف عنهما فى شيء من مخاطبة المكان والناس الراحلين الذين خاطبهم وتحسر على ماضي الزمان الذى كانوا فيه قبل أن ينزوي .

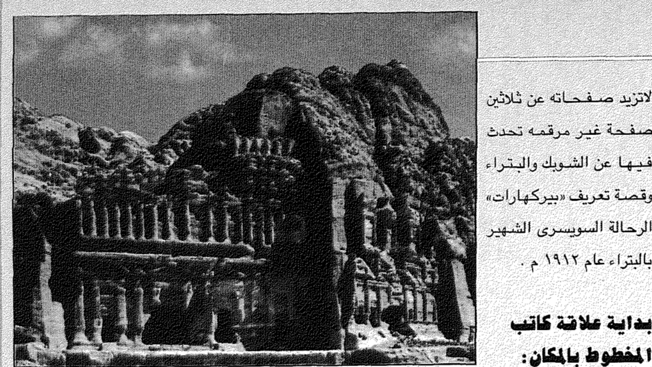
المخطوط :

يقع المخطوط فى قسمين:

القسم الاول : وهو المهم يتحدث فيه عن وادي موسي والبتراء فى (٦٠٩) صفحة مكتوبة بخط انيق مرتب للغاية ولاغرو فى ذلك فهو خطاط .

القسم الثاني : وهو ملحق قليل الصفحات إذ

بقلم : د. سعد أبو ديه
جامعة اليرموك - الأردن



واجهة مدينة البتراء وتحوى الخزنة والجزء الأيسر من الآثار

لاتزيد صفحاته عن ثلاثين صفحة غير مرقمه تحدث فيها عن الشويك والبتراء وقصة تعريف «بيركهارات» الرحالة السويسرى الشهير بالبتراء عام ١٩١٢ م .

بداية علاقة كاتب المخطوط بالمكان :

عُيِّن الكاتب قاضياً شرعياً فى معان عام ١٣٤١ هـ وعندما قام برحلة الى البتراء فانه دوَّن ماشاهد من قصور شاهقة ومبان ضخمة للأمم الماضية فى قرون غابره بعبارة سلسلة واشارة رقيقة كما جاء فى مقدمة مخطوطه .

لقد دون المخطوط دون ان يأخذ بعين الاعتبار آراء للاوربيين . اعنى بذلك انه كتب للقارىء العربى وخدمة العلم والمنصفين من أبناء الوطن عامة والدين خاصة .

ولقد اعتمد على كتاب الله وسنة رسوله وما ورد من نظائر ذلك فى الكتب المقدسة .

ويقول بانه يعادى الجهل وفساد الحقيقة ورقة الدين فإذا ورد ذكر الرسول محمد [صلى الله عليه وسلم] فإنه يعظمه التعظيم اللائق بمقامه الشريف ولايرمز لذلك بـ (ص) .

والغاية من المخطوط هى ليست الفوز برغبة عمرو او مايكنه ضمير زيد وانما كتبه لنفسه وليدخره فى خزانته ليرجع اليه فى يوم من الايام .

تسلسل المخطوط

بدأ المخطوط بمقدمة ومحتويات وتضمنت المقدمة شيئاً عن زياراته المتكررة للبتراء وتضمنت تعريفاً بالاسلوب والمضمون للمخطوط والغاية من كتابته .

وقد التزم بالحديث عن المواقع حسب ترتيبها فى الواقع غالباً، وان خالف ذلك الترتيب الرسوم الانجليزية، والهدف ان يكون ذلك بمثابة (دليل) فى اليد فإذا فرغ من زيارة موقع زار غيره .

ولقد اسهب المؤلف فى الحديث عن الغاية من كتابة المخطوط وانها بدأت عندما مر به ذكر الثموديين (قوم ثمود) فى القرآن وما أتاهم الله تعالي من قوة نحتوا بها الجبال وكان كثير الاشتياق للآثار وتشوق للاطلاع عليها ولكنه غير قادر على ذلك أمنياً كانت المنطقة مضطربة وتموج بنوع من الفوضى ولذلك كان من الافضل أن يظل قابعاً فى معان .

صحيح انه دخل معان قاضياً فى عام ١٣٤١ هـ إلا انه لم يبرحها إلا فى وقت لاحق .

في ذي الحجة ١٣٤٢ هـ تعين غالب الشعلان حاكماً لمنطقة معان وتعين في وادي موسى مديراً هو (محمد افندى الفالح النابلسي) بدلاً من هويمل الصياح الذى كان يتقاضى راتبه وهو فى معان والشيء ذاته فعله الشيخ صالح صلاح مدير الشوبك ، وبعد ذلك صمم على زيارة قبر هارون عليه السلام فى اواخر ذى الحجة من عام ١٣٤٣ هـ ومكث اربعة ايام .

رحلة عام ١٣٤٧ هـ

يقول انه وبينما كان جالساً بدكان الحاج على ابن رمان جاء جندى يسمي موسى اكرم وقدم اليه صورة للبتراء كانت تباع فى البتراء بـ ١٢ قرشاً فلسطينياً فكتب الى حاكم الوادى محمد بك الاسد فاهداه واحدة منها ، بذل جهداً كبيراً فى العثور على ماكتبه العرب عن البتراء فلم يجد الا جملا مختصرة ولاتفي بالمقصود .

وفى ١٣ شوال ١٣٤٧ هـ زار البتراء برفقة الشيخ محمد الامين محمد الخضر الشنقيطي والتقى بقائد الموقع نصرى بك سليم الذى ساعده بترجمة اوراق مكتوبة باللغة الانجليزية (ملاحظة: نصري بك هو شقيق عارف بك) الذي سبقه للموقع وفى عهد عارف وقعت احداث شباط ١٩٢٦ م فى وادى موسى وعلى اثرها حصلت تنقلات .

انتقل نصرى سليم وحل محله اميل بك فارس من السلط وعندما زار البتراء فى ٦ صفر الخير ١٣٤٨ هـ كان هناك محمد بك الاسد حاكماً ادارياً فالتقى به وعنده السيد احمد مسعود الدباغ وساعد اميل فى الترجمة التى اكملها محمد افندي العسال (مصري) فى مكتب الاستخبارات الانجليزية فى معان ، الأوراق موضوع الترجمة هى ماكتبه الدكتور نلسن .

بداية تدوين المعلومات

بدأ تدوين المعلومات يوم السبت الموافق ١٣ شوال ١٣٤٧هـ والواقع فى ٢٣ مارت ١٩٢٩ م .

وبدأت هذه الرحلة بهذه العبارات : «رب صدفة خير من معاد» «وذلك من الاتفاق العجيب والصدفة الحسنة حيث اننا لم نعلم بأن يومنا هذا هو ذلك اليوم المعهود لشم النسيم ... » .

وبدأ تسلسل الحديث عن الاماكن بتسلسل

عين موسي : وهى تلك العين الاثرية القديمة التى تتفجر ينابيعها من أثر ضرب سيدنا موسي الصخرة وهى بعينها التى ذكرها ياقوت الحموي في معجمه وبعد ذلك ساروا الى القرية ثم الى السيق وفى الدير خاطب هضابه :

الا ياهضاب الدير هل من مخبر
على امم كانت بكن تسود
الا ياقصور اين من كان ثاوياً
بكن فقد ضاقت بهن لحود
عفت بعدها الاثار دهراً وانما
احاديثها بين الانام نشيد
كما عفت الاثار من بعد تبع
وبادت على طول المقام ثمود

واسهاب فى الوصف للآثار والمنطقة ولكن لفت انتباهى انهم واثناء وجودهم فى القرية كان (احمد ابو راس المدني) يصدح مردداً أبياتاً فى مدح

الرسول الاعظم [صلى الله عليه وسلم] وظهر فيها حنينه الى ربوع المدينة المنورة، كان يردد :

لا الشام مقصدنا كلا ولا حلب
لكن لطيبة منا نرحل النجب
ارحل لطيبة لاتؤم سواها
فعساك ان تحظى برؤية طه

رحلة ٧ صفر الخير ١٣٤٨هـ:

في هذه الرحلة التى توجه فيها مع السيد احمد وعبدالعزيز الدباغيين والسيد سالم افندي بن رمضان صلاح فانه وصف المذبح . كان الدليل معهم غلام من البدول [سليمان بن عبيد السماخين]

وصف لمناطق اخرى:

وصف المخطوط بدقة مداخل البتراء ووادى موسى وطرقها العديدة ووصف عين السّدْر أو الصدر والشجرة الغريبة فى وسط البئر .

مقارنة بين الضرر الذى لحق بسكان وادى موسى وسكان مكة والمدينة من استخدام السيارات.

ان استخدام السيارات كان يخيف الناس لانها سوف تقطع ارزاق الناس والعيش .

ويتذكر الشيخ حمزة ان استخدام السيارات مابين مكة وجدة فالمدينة المنورة قد قطع ارزاق الناس مابين مطوف ومزور وسمكري ونجار وتاجر وصاحب حانوت او فندق وكلها تعود الى اوروبا ثمن استهلاك سيارات !!

مدرسة وادي موسى:

فى وادي موسى مدرسة فيها (٢٢) طالباً يداوم فيها عشرة فقط . الاستاذ هو محمد هاشم الرماوي اليافاوي . سبب الغياب عند الطلاب هو انتشار الناس وتنقلاتهم .

المجُلَّلَه فى معان ووادى موسى والشراه

تحدث فى المخطوط عن اكلة المجلله ووصفها كما يلي :

وهى ثريد من خبز البر وأفضله الملة فى نار الجلة والزيت او السمن واللبن الجميد أو الجديد وفى الحقيقة ان هذا النوع من الطعام مما كان يأكله النبى [صلى الله عليه وسلم] بل هو اول طعام قدم اليه يوم قدومه الى المدينة المنورة مهاجراً من مكة اليها قدمه اليه فى دار ابى ايوب الانصاري سيدنا زيد بن ثابت . قال لما نزل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] على ابى ايوب لم يدخل منزل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] هدية أول هدية دخلت بها عليه قصعة مثرودة خبز بر وسمنا ولبنا فاضعها بين يديه فقلت يارسول الله ارسلت بهذه القصعة امي قال بارك الله فيها ودعا اصحابه فاكلوا .

خاتمة

هذه لمحة عامة عن المخطوط الذى كتبه العلامة الراحل حمزة العربي المدني وتوجد نسخة منه مصورة لدى . أحببت ان اعرف القراء به طالما انه لم ينشر بعد ولا خير فى علم لم يُبَلَّغ .

بين السطور

الطب النفساني والمستشفيات العقلية

الطب النفسـانى القـائم على الاسـاطيـر ـ كأسطورة أوديب ـ مرفوض والطب النفسانى القائم على احترام ادامية الانسان مطلوب . ان الانسان يتكون من جسـد ونفس وعـقل وروح فـإذا مـرض الجسد ومرضت النفس ومرض العقل فالجوهر وهو الروح سليم ويجب ان يكون تعـاملنا مع الانسـان كروح قـد تكون نقـيـة رغم العـقل المريض والنفس المنهكة والجسد المتعب .

مـا الذى يجـرى خلف الأسـوار ـ أسـوار المصحات العقلية ـ تلك المصحات التى يحيط بها الغموض ويجللها الرعب وتمرح فيها الاشباح وتحاك حولها مئات القصص أكثرها كاذب وان كان له ظل من الحقيقة فلا دخان بدون نار كما قال أجدادنا . طيرت وكالات الانباء مايشبه الاساطير عن المصحات العقلية فى انحاء العالم المختلفة : ففى الهند خرج المرضى الهنود فى المستـشـفى العقلى فى مظاهرة كبيرة يحملون لافتات مكتوب عليها « أيها العقلاء ماذا فعلتم بإخوانكم المجانين»، وفى الارجنتين مدير مستشفى الامراض العقلية يتاجر فى أعضاء المرضى لصالح زراعة الأعضـاء، وفى اسـتـراليا تجرى محاكمة الطبيب النفسانى «چون بيل» بتهمه استخدام مرضاه كفئران تجارب مما أدى الى وفاة ٢٤ مريضاً بعد تجربة اسماها النوم العميق تجعل المرضى يدخلون فى غـيـبـوبة لمدة ثلاثة اسـابيع يتعرضون خلالها لصدمات كهربائية قوية، وفى أمريكا اجراء تجارب اشعاعيه على مرضى العقل فى الفترة من الاربعينيات وحتى السبعينيات، وفى جامعة كلورادوا فى امريكا زعم «چيل ايزينيـور» استـاذ التحليل النفسـانى أن ٧٠٪ من الامـراض النفسية سببها الارواح الشريرة أما الباقى فأمراض عضوية بالمخ وقد تمكن حسب زعمه من التقاط صور الارواح بالسايكوجرافى.

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
ـ مصـر ـ

الطب السايكولوجى

ـ شعار الطب النفسى : جلسة كهرباء لكل مواطن .

ـ ان فرويد رجل خبيث، عندما اراد أن يقتل اباه ويتزوج امه سربلها فى ثوب نظرية واعطاها صبغة التعميم .

ـ التحليل النفسى مؤامرة صهيونية .

ـ المحلل النفسانى هو الرجل الذى يغوص فى طفولتك ليثبت انك مجنون ويغوص فى طفولته ليثبت انه عاقل .

ـ ان تورم الذات يخفى مرض التكوين .

ـ المحلل النفسانى هو الذى يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب .

ـ العاقل وسط مجموعة من المجانين هو المجنون .

ـ تأخر الطبيب النفسى فى القيام من نومه عدة ساعات تقدم فيها الطب النفسى تقدماً هائلاً .

ـ على كل محلل نفسانى ان يدرس تاريخ وجغرافية الروح جيداً قبل ممارسة عمله .

ـ «تستطيع أن تتغلب على الصدمات باستبدال رأسك برأس من المطاط » طبيب نفسى

التجلى الاخير وشك الرحيل

رأيتها قبل الرحيل .. هل رأيتها حقاً ؟ كانت تقف فى ظلمة الدهليز تشع نوراً وتقول بكل جوارحها : أنا لك ثم اختفت . لم تكد روحى ترنو اليها حتى اختفت لكنها تركت النور المشع غذاء الروح للحظة اخرى تركت بعدها الروح مقفرة العرصات جائعة للنور . لم أرها منذ تلك اللحظة حتى الآن وكأننى لم أرها على مدى عشرات المرات التى رأيتها فيها إلا هذه المرة كانت فى تمام تجليها كروح نبيله . كانت تنتظر تحولاتى لكى اشف حتى استطيع ان امتزج بها ونحلق فى الآفاق حيث المجال ارحب من الدنيا الضيقة لكننى لم اكن ـ والحق اقول ـ قد اكتملت بعد الاكتمال الملائم لم تكن روحى قد شفت بعد فقد كان بها بعض الصدأ أو العتامة فلم امتزج بها حتى نكتمل معاً ونتحدى الدنيا ونقف فى وجهها ونعلو فوقها تلك الدنيا التى اكلت منى وشربت منها لكنها تغلبت عليها واستكملت نفائسها وابرزت كنوزها وكانت تنتظرنى لاكمل معها المسيرة روحاً واحدة وجسداً واحدا .

اننى فى نفس الساعة كل يوم اجلس فى نفس المكان احدق فى الدهليز المظلم انتظر تجليها مرة اخرى . كل يوم انتظر تجليها على مدى عشرين عاماً لم اتخلف يوماً واحداً ولا يساورنى الشك فى انها ستأتى وتستقبلنى على علاتى فلم اتخلص من الصدأ والعتامة وستأخذنى على عواهنى وبالحذافير.

الحنان الحزين

أقف فى اطلال اليوم، مغانى الامس «وقوف

شحيح ضاع فى الترب خاتمه» افكر فى الحنان الحزين الذى حُرمته واسأل نفسى ترى هل تعود تلك الايام ثم الوك شعراً كهذيان المحمومين أزفه على رياح الغضب التى أرصدها كأننى ذئب استعوى الذئاب فتأتى الرياح وتهب الذئاب من كل جانب وعندما ابتغى الصيد ابتغيه فى عرين الاسد ليس عن شجاعة وانما عن زهد فى الحياه بعد أن اخذت روح الحياه معها، ثم اهدأ قليلاً وابكى الديار لا كما بكاها السابقون ولا كما يبكيها اللاحقون فقد عصيت الناس فى حبى كأنى لست منهم وليسوا منى ثم رضيت من الغنيمة بالاياب لكن الاياب لم يرض، وظللت احدو بلا بعير وخرج الصوت حشرجه وقنعت بالشميم لكن ريح المسك هرول مبتعدا .

فأخذت استمع لأغربة البين تنعب من الجنوب والشمال وماذا افعل وقد توسدت قلبى، ونامت، ثم غابت غياب من يرفض الاياب، فأدمنت الشعر الرخيص يثقل الرأس ويخدر البدن ويشل الاطراف فلعلى انسى حزنى أو ينسانى الحزن .

فرار

فررت منها فى ذاتى وهربت منها فى العميق من تكوينى وابتعدت عنها بعدها فى اغوار روحى واوغلت فى النوى توغلها فى شغاف قلبى وجريت منها جريانها فى دمى فهل بمقدور الانسان ان يسلخ ذاته بذاته وهل بمقدوره أن ينسخ طبعه بطبع جديد .

طائر خارج السرب

فى اسطورة علي بابا يعطس شقيقه قاسم اثناء اختفائه فى المغارة من اللصوص الذين كان يسرقهم فيعرفون أن بينهم غريبا لم اكن فى حاجة لأن اسعل أو اعطس فقد كان واضحاً اننى الغريب «طائر خارج السرب وغزال خارج القطيع» فى جلسة العلاج الجماعى التى تتم باشراف احد اساتذه الطب النفسى وفى عيادته الفاخرة لماذا لازمنى احساس اللص المبتدىء الذى يحاول ان يسرق اللصوص الكبار، كانت اول جلسة علاج جماعى احضرها فى حياتى رغم عملى الطويل فى الطب النفسى كانت جلسة متميزة تديرها معالجة امريكية بدأت بالصاق طابع على يد كل مشترك يأخذ لونا معينا حسب المرض النفسى الذى يعانى منه ومن خوفى ان يكون عقار الهلوسة فى ذلك الطابع فقد رفضت تعاطيه رفضا اثار اندهاشها، فبدأت بى لكى احكى عن مشاعرى الآنيه وصارحتها بشعورى كمجرم صغير يجلس وسط عمالقة الاجرام مما اثار استياءها واستياء كل المشاركين فى الجلسة الذين يأخذون امورها بجدية شديدة فأخذوا ينظرون لى بتوجس شديد لم اسعل ولم اعطس فيكتشفوا ان بينهم غريبا أولئك الجادون فى العبث كل ما هنالك ان هستيريا الضحك الشديد قد انتابتنى عندما

قامت المعالجة الامريكية بركوب استاذ الطب الكبير كدابة فى طقس من طقوس جلسة العلاج الجماعى .. فطردونى .

العلاج بالكلام

انا مثلكم من هذا العالم فمن يصغي إليّ ؟

يتساءل الكثيرون ما الذى يجعل الطبيب النفسى يتحمل الاستماع الى كل تلك الألام التى يعانى منها مرضاه، ويندهش البعض كيف لا يُجنّ النفسانى والبعض يؤكد جنونه المسبق قبل ان يلتحق بسلك الطب النفسي والآخرون يؤكدون ان جنونه لاحق لمارسته الطب النفسي ومعاشرته المجانين ـ من عاشر القوم اربعين يوماً صار منهم ـ

كطبيب نفسانى قح اعتقد اننى لم اواجه هذه المشكلة قط فأنا انظر للمريض من وجهة معينه لا أتعداها تحمينى من السقوط فى براثن المرض النفسي، فإذا كان المريض قادراً على دفع الاتعاب الباهظة استمع اليه فهو هنا لا يعنى انه مريض قدر مايعنى أنه كنز، والكنز يسبب التفاؤل والسرور لكن الكنز يحيط به الطلسم دائما واذا كان الطلسم الذى يحيط بهذا الكنز هو سماع شكوى المريض ساعة أو ساعتين مع جعل اذن من طين واذن من عجين فهو ثمن بخس لكنز ثمين، واذا كان المريض فقيراً وغير قادر على دفع الاتعاب فلن احرمه ـ لهذا السبب ـ من العلاج النفسى لكننى هنا انا الذى اتكلم واشكو وهو الذى يستمع .

وهذا النوع من العلاج النفسى على قدر اتعاب المريض التى لم يدفعها ـ يقول المثل الشعبى كل برغوث على قدر دمه ـ وأعالج نفسى أو يعالجنى مريضى فلا اعانى من مرض نفسى .

عندما اتت لى فى العيادة النفسية بتوصية من صديق كان معى، هذا انها لن تدفع اتعابا، فاتبعت معها طريقة العلاج المجانى وظللت اتحدث مدة طويلة دون أن ادع لها فرصة للشكوى حتى فوجئت بها تنفجر باكية وقالت من خلال دموعها انها لم تجد حتى الآن من يصغى اليها حتى الطبيب النفسانى .

عروة بن الورد:

«من قال ان حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد» عبدالملك بن مروان، امتشق الفارس الانجليزى سيفه لا ليطيح برقاب الاشرار وانما ليشق عروه فى اعلى سترته ليرشق فيها وردة اهدتها له فاتنة، مجسداً بذلك معنى الفروسية عند الأعاجم . لم يشق عروه بن الورد عروة ليرشق فيها وردة الفاتنة وانما كانت الفروسية عنده هى الشجاعة والسماحة والنبل والكرم والجود والسخاء ونصرة الضعيف واغاثة اللهفان . الفروسية لن تكون عروة الوردة، أو عروة بن الورد .

أ.د. أبو حسام - المنصورة -

٤١٠ ـ حتي أبو العلاء :

نعم حتي أبوالعلاء ، هذا الشاعر الحساس الرقيق ، شارك في مأساة زوج الشاعر (القنوع) المعري فقد كانت هذه الزوج شاعرة حساسة، ذات وجدان مشبوب ، ومن مأساتها أنها وقعت في حب والي المعرة ، أحبته من جميع جوارحها ، ولم تستطع أن تقاوم وجدها ، فأعلنت حبها في أبيات رقيقة قالت فيها:

ماذا يضرك أيها الوالي
لو كنت مفتقدا لأحوالي ؟
ياواليا أنا من رعيته
وعلي الرعية طاعة الوالي
شُغلي ببعدي عنك يشغلني
ويصدني عن كل أشغالي

وطارت الأبيات إلي شعراء المعرة ، فجعل كل شاعر ينسج علي منوالها في قصائد من البحر والقافية حتي صار حديث العاشقة المسكينة خبرا يتلي ، وكان أبوالعلاء في زهو شبابه ، فلم يستطع أن يرحم الوالهة المسكينة ، ولكنه شارك في التشهير بها ، اذ نظم قصيدة من البحر والقافية كما فعل زملاؤه ! ولعله راجع نفسه بعد أن ذاع شعره ، فأنا أعرفه حساسا رقيق الشعور لا يجيز لنفسه أن يسهم في تجويف مأساة وجدانية ، ولكنه فعل وكان مما قال

علقت حبال الشمس منك يدي
وجديدها في الضعف كالبالي
وطلبت عندك راحة وعلي
حسب اعتقادي كان إذلالي
وظننت في البلوى مناي ولم
تكن المنية لي علي بال
ياجنّة عرضت معجلة
فاخترتها ونسيت عذّالي

والحقيقة جميعها في « سقط الزند » ولها شروح عدّة ! حتى أبوالعلاء!

٤١١ ـ غزل المرأة:

أما غزل المرأة في الشعر الحديث، فحدث عنه ولا حرج، فقد امتلأت دواوين الشاعرات العربيات ـ وغير العربيات ـ برائع العزل الرقيق، ولكن غزل المرأة في الشعر القديم قليل قليل، وكنت نشرت بحثا متواضعا بمجلة الرسالة الزياتية تحت عنوان (من غزل المرأة) عرضت فيه لهذه الظاهرة، وعللتها بما فتح الله به عليّ، ومن بعض ما جاء به حديث الشاعرة العاشقة (شقراء بنت الحباب) وكان من مأساتها أنها أعلنت حبها لشاب يسمى (يحيى)

أعلنته في شعر واضح، وصل حديثه إلى زوجها، فجعل يضربها بالسياط، فقالت بصدد ذلك من شعر مؤثر:

أأضربُ في يحيي وبيني وبينه
فدافد لو سارت بها الريح كلّت
ألا ليت يحيي كل يوم يزورني
وإن نهلت مني السياط وعلّت

ويظهر أن الزوج الملتاع واصل الضرب بالسياط ، فأخذت الشاعرة تكيده وتخزيه حين قالت:

أقول لعمرو والسياط تلفني
لهن علي متنيَّ شرٌ دليل
فاشهد ياغيران أني أحبه
بسوطك فاضربني وأنت ذليل

ولا يعرف مقدار انتقام العاشقة الجريئة إلا من يُقدّر حرج الزوجة وتحديه بالمذلة ، لأن الوصف بالذل فوق كل احتمال ، وصف تتقدم به زوجة ناشز ، لتكيد الزوج المجروح

ومما قالت شقراء بنت الحباب أبيات أخرى ذكرها الأستاذ العقاد في مجموعة عرائس وشياطين وهي :

خليليَّ إن أصعدتما أو هبطتما
بلادا هوى نفسي بها فانكرانيا
ولا تدعا إن لامني ثمَّ لائمٌ
عليّ سخط الواشين أن تغدرانيا

فقد شفَّ قلبي بعد طول تجلدي
أحاديث من يحيي تُشيب النواصيا
سأرعي ليحيي الود ماهبّت الصبا
وإن قطعوا في ذاك عمدا لسانيا

كما أذكر أني في بحثي المشار إليه بالرسالة ، قد استشهدت لها بهذا البيت الذي توجهه الي زوجها متحدية

وأنت إذا منعت كلام يحيي
أتمنعني علي يحيي البكاء !

٤١٢ - شاعرة متحفظة:

وإذا كانت شقراء بنت الحباب ، لم تتحفظ حين أعلنت غرامها المشبوب ، وتحدت العشيرة والأهل ، فإن غيرها من العاشقات قد اعتصمت بالحيطة ، ولاذت بالتجمل ، حين أعلنت حبها واشتياقها لمنازل الحبيب في (نعمان) وكأنها تشتاق للمكان لا لساكنيه ، غير منتبهة لقول الشاعر:

وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

فقد تزوجت أعرابية - علي غير رغبتها - ونزح بها زوجها إلي مكانه البعيد ، ولكنها لم تنس من فارقته بنعمان فعبرت عن شجاها بقولها المشبوب

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا
علينا فقد أضحي هوانا يمانيا

نسائلكم هل سال نعمان بعدنا
وحب إلينا بطن نعمان واديا
فإن به ظلا ظليلا وموردا
به يقع القلب الذي كان صاديا

وقاريء هذه الأبيات يدرك ماوراءها من زفرات صاعدات !

٤١٣- غزل هندي:

وللشاعرة الهندية (زين النساء) مأساة ، حين عشقت زوجها وقاسمته الاخلاص والوجد ، ولكن والدها القاسي قد اختلف مع صهره ، وظنه يطمع في ملكه من بعده ، فاغتاله دون رحمة ، وترك لقلب فلذته أن يحترق ويتمزق ثم عاود الكرَّة مرة أخرى حين حرمها من حبيب كانت تريد أن تكون حليلته الشرعية في كنف الطهر والعفاف ، فثارت الفتاة وغضبت ، وعز علي والدها أن تخالف رأيه، فأودعها السجن كي تسكت عن حنينها ، ولكنها واصلت حنينها الرائع في قصائد باكية نظمتها باللغة الفارسية (لغة الثقافة الهندية لمسلمي الهند في ذلك الحين) وكان مما قالت : والترجمة للأستاذ النشار والأستاذ حسين البشبيشي ، حيث نظما كثيرا من قول الشاعرة في أبيات عربية:

ياجمالا مثله ماشهدت
أعين العالم في دنيا الشباب
أين لا أين طريقي أقتفي
أثر الأقدام في داجي التراب
قلبي المجروح أدماه الهوى
فتنزى قطرات من دم
فانظر الآن تشاهد عجبا
زهرا أنتج تحت العندم
زهرات يانعات نبتت
من عروق فجرتها الحسرات
موضع الأشواك لما دسته
نبت الزهر مكان الخطوات

٤١٤- من الغزل الانجليزي:

من قصيدة للشاعرة الانجليزية الرقيقة (لورنس هوب) نقلا عن ديوانها الذائع (الغرام الهندي) والترجمة للأستاذ عباس محمود العقاد

ياحبيبي ، حين تشتهي استجابة الحب الكبرى ، أقبل اليّ والصباح يرتع في الأنوار ، والبلابل من حولنا مشوقة تصدح بالغناء بين الورود من حمر وبيض.

وكذاك حيث يقضي الله لي تلك الفريضة الحلوة القدسية ، مذعنة لشيئته الإلهية كي أمنح الدنيا صورة من جمالك ، لأسلمها للدنيا ومعها فرحي فيك

ليس بي ياحبيبي أن أكتمك أمرا ألست وشيكا أن تلمس الخداع في ذلك العناق ؟

آه ، علي هذا لا قبل لي بنأيك ، فلا تنصرف عني ، إن روحي تهب لك عزتها فاقتسمها وخذ نصيبك منها !

دع شعاع النجوم حيث يتفرق السحاب الوئيد ،

يفضفض مُحيّاك في تمامه

إنهم للقديسون من لهم نظائر تلك الوجوه

عجبي لهذا الوجه ، ينشد في فؤادي ملاذه ومأواه

٤١٥ - شاعرية إيطاليه :

هي الشاعرة الايطالية (كرستينا روزتي) والترجمة للعقاد أيضا ، تقول:

وددت لو ذكرت اليوم الأول ، والساعة الأولي ، واللحظة الأولي لحظة اللقاء ، أول لقاء !

وددت لو أذكرها أكانت مصحية أم غائمة ، وفي الصيف كانت أو في الشتاء ، إنها انطلقت بنا غير مرصودة ، وفي غير سجل محفوظ

كنت في غفلة عن النظر إلي ما أرى ، وما سوف أرى ، كنت في غفلة عن شجرتي وهي تنبت من جوف الثرى تلك الشجرة التي سينقضي كم من ربيع ، وهي لا تحمل زهرة ، ليتني أذكر ساعتها

يوم من الأيام أتي وانقضي ، ولا أثر، كأنه ذوب الثلج الذي مضي

كأنها لم تكن تعني شيئا ، أو كانت تعني كل شيء ، فلا يسأل عنها

ألا ليتني أستعيد اليوم ذكراها

ذكرى اللمسة الأولي ، إذ اليد تصافح اليد الأخرى.

آه لو كنت أعلم!

٤١٦ - شاعرة عربية :

أما الشاعرة العربية ، فهي الشاعرة الأصيلة ذات الروح العالية ، والحس النبيل ، ذات العواطف الحارة التي ارتفعت ولم تبتذل ، والتي حلقت في السماء وتركت الأرض ، هي الشاعرة الفلسطينية (فدوى طوقان) فمن قصيدة لها بمجلة الرسالة :

ماذا أحس هنا بأعماقي
ترتج أهوائي وأشواقي
بي ألف احساس يحرقني
متدافع التيار دفاق
ألف انفعال ، ألف عاطفة
محمومة بدمي بأعراقي
ماذا أحس أحس بي لهفا
حيران يغمر كل آفاقي
جفت له شفتاي وارتعشت
أظلاله العطشي بأحداقي
قلبي تفور به الحياة وقد
عمقت ، ومدّت فيه كالأمد
فتهز أغواري نوازعه
صخّابة دفاقة المدد
ويظل منتظرا علي شغف
ويظل مرتقبا علي وقد
أحلام محروم تساوره
متوعد في العيش منفرد
ويود لو تمضي الحياة به
للحب ، مصدر فيضها الأبدي

مقدمة للكتابة

الكتابة تلخص قضية التحدي لدى الانسان ، الكتابة التي لا تتحدى هي ليست بحاجة لأن تكتب ، الكتابة الموالية ليست غير تضييع للوقت لأن الصواب لا ينقصه التمجيد كما الجمال الذي يعبر عن نفسه ولا يحتاج الي المساحيق وعمليات التجميل ، المنافقون يستهزؤن من أنفسهم ومن القبيحين حينما يسعون بالكتابة لاحالة قبحهم الي جمال، وهذا يطيب للقبيحين علي الأغلب اذا كانوا أصحاب نفوذ فيعلقون الأوسمة لهؤلاء الكتاب الذين يُعْرفون - فيما بعد - بالوطنيين حينما يعرف الذين يحافظون علي النزاهة العامة بـ (ناكري النعمة) وهذه النعمة هي السماح لهم بالعيش رغم عدم التطبيل وعيشهم علي أرض الوطن في الدرجة المواطنية والمعيشية العاشرة .

هؤلاء الكتبة يسيئون الي اخوانهم الكتاب بفعلهم المنافي للنزاهة، هذا ولسوء حظ التراث الأدبي العربي ان بعض النوابغ وقد اضطروا غير راضين لمدح بعض أصحاب النفوذ والثروات لأجل أن يجنبوا أنفسهم الخوف والجوع والاعتقال

يلخص الشاعر العربي البارز والمعروف بهذا الاتجاه حاله وحال زملائه قائلا :

ومن نكد الدنيـــا علي الحـــرّ أن يرى

عـــدوا له مـــا من صـــداقـــتـــه بُد

لقد اعترف المتنبي بهذا ليجنب نفسه بعض المواقف المحرجة التي اضطرته الظروف للانسجام القسري معها، ولكن تبقي غالبية هذه الكتابات ميتة، وهي قد ولدت ميتة حتي لو قالها المشاهير والعباقرة المشهود لهم، لأن الضمير الشعبي لا يمكن الضحك عليه، والخلود دوما يكون الي جانب الحقيقة ، فالعظماء قدمتهم أعمالهم الانسانية الكبري الخالية من أية مصالح شخصية بل ربما سببت لهم الآلام والجوع والنفي. والعمل الانساني يتقدم العمل الوطني، لأن الانسان يتقدم الوطن ولا يوجد وطن بدون انسان ، ولكن يوجد انسان بلا وطن، والانسان السعيد في خيمة مجهولة أو

بقلم : عبد الباقي يوسف - سـوريا -

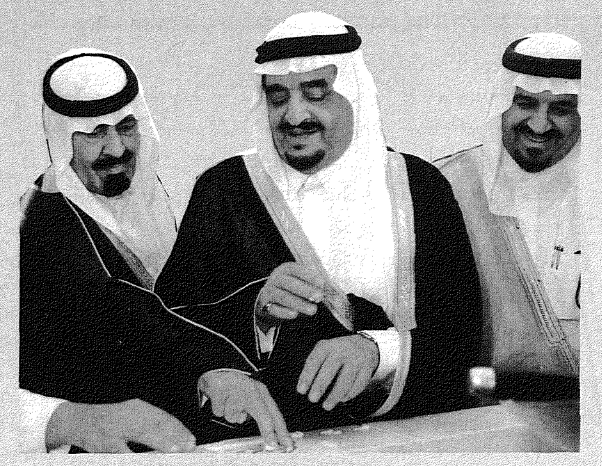
في كوكب مجهول هو أفضل من انسان مسحوق ومنتهك الكرامة والحرية في وطن هو (وطنه) الذي يلصقونه به وهو يحاول الهرب منه ويمنعونه من هذا الهرب ويرغمونه على هذا النمط من العيش . ان الكرة الأرضية كلها هي وطن الانسانية الكبير .

الأدب الفاسد يفسد الحياة والانسان والسياسة والاقتصاد، لأن الأدب للانسان كالملح للطعام وانسان غير مثقف لهو انسان ناقص في جميع الاحتمالات ، وللكاتب ان يقول ما لا يقوله غيره وهو يعيش حالة استثنائية في مجتمعه ، انه يعيش حالة خاصة وتجارب شخصية غنية ويلاحظ التفاصيل أكثر من غيره ، انه قنديل مجتمعه .

والكاتب الذي تكون تجربته غنية في الحياة يكون أدبه غنيا بالمعرفة ، فالأدب في الأوساط العربية محاصر إما بالتيارات الدينية المتعصبة أو بالنزعات السياسية السيكوباتية أو بالمعتقدات الاجتماعية البالية ، وحتي الآن فالأديب الجريء يكون على شفا حفرة أو يضطر للهرب خارج أقفاص الوطن ، ان قائمة الممنوعات ترتسم علي الصفحة البيضاء التي سيكتب عليها وكذلك شروط الطباعة والنشر والتداول من بلد الي آخر وكل هذه الشروط تختلف من بلد الي آخر فعليه ان يكون ملما بقائمة الممنوعات في الدول ان اراد ان يكتب في مجلة متنقلة بين البلدان حتي لا يتسبب مقاله في مقاطعة المجلة من قبل رقيب ما وربما من السخرية في مكان، اننا عندما نريد ان نقرأ أدبا عربيا جريئا نعود الي التراث العربي.

ولسوء حظ الثقافة في العالم العربي انها عاجزة عن الاستقلالية الاقتصادية وتبقي تتسول قوتها من السياسة، وتقدم تنازلات هائلة حتي لا تموت، فالأدب هو الذي يرعي السياسة معنويا والسياسة ترعاه اقتصاديا . ومن المفروض ان يكون العكس ليتطور الأدب وتزدهر السياسة النزيهة وهذا ما يجعل بعض الرقباء الثقافيين يتحولون الي رؤساء مخافر بثياب مدنية.

الأدب جاء ليفتح العيون لا أن يغلقها .. جاء ليقول مالم يُقل ، لا أن يكرر ماقيل ، الأدب هو الانسان المتجدد دوما والانسان كائن مظلم والحياة مظلمة يأتي الأدب ليضيء روح الانسان بقنديله ويضيء تفاصيل الحياة، والكتابة هي حاضر الانسان وهي مستقبله .



بمناسبة اليوم الوطني

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل ومنسوبوها يتشرفون
برفع أسمى آيات التهاني وأجمل عبارات الأماني إلى مقام

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

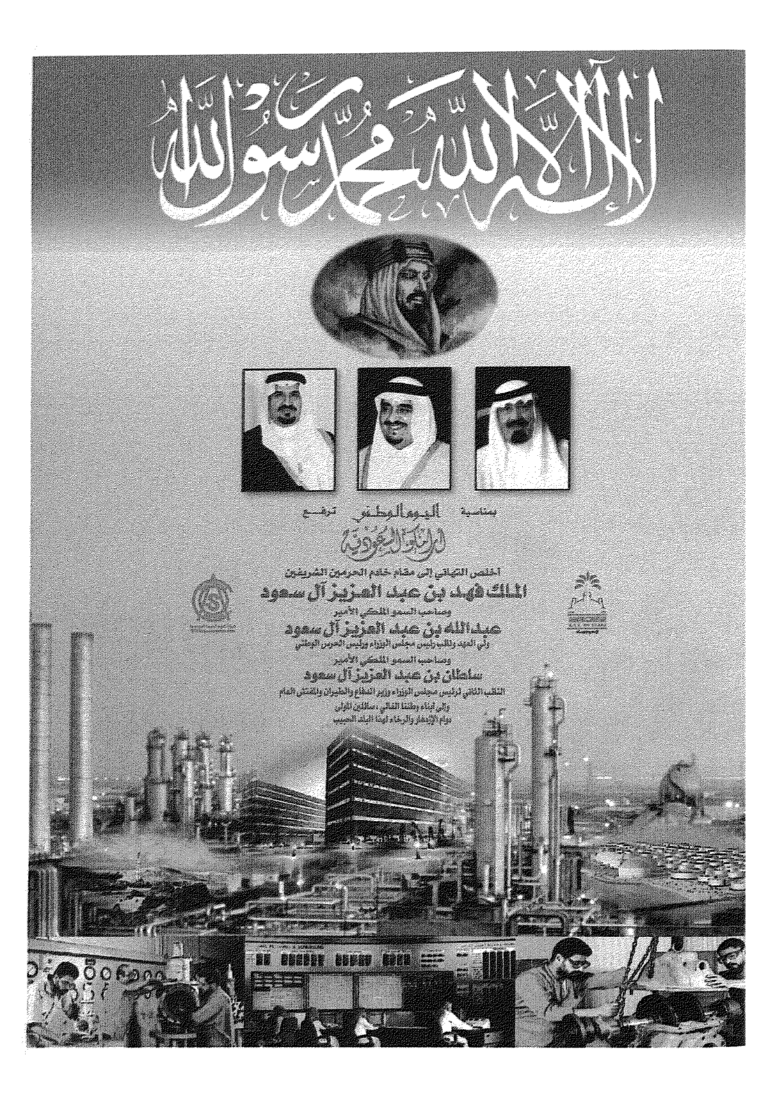
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وبهذه المناسبة العزيزة نبتهل إلى المولى سبحانه أن يحفظ لبلادنا الغالية دينها وعزها وأمنها في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين ورعاية حكومته الرشيدة وأن تعود هذه الذكرى العاطرة عاماً بعد عام وبلادنا في تقدم وازدهار.



لا إله إلا الله محمد رسول الله
بمناسبة اليوم الوطني ترفع
أرامكو السعودية
أخلص التهاني إلى مقام خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
وصاحب السمو الملكي الأمير
عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير
سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وإلى أبناء وطننا الغالي ، سائلين المولى
دوام الإزدهار والرخاء لهذا البلد الحبيب